مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة التاسعة والعشرون : العدد مئة وأربعة عشر ـ ذو القعدة ١٤٤٢ هـ / جون (حزيران ـ يونيو) ٢٠٢١ م

العنوان: نجاة القاري من فضل الباري والحاوي لأنوار التنزيل والصلاة على النبي الجليل
المؤلف: الشيخاني: محمود بن محمد بن علي، القادري، الشافعي ١١١٠هـ
تاريخ النسخ: ١٢٩٥هـ

Title: Najat Al-Qari min fadl albari walhawi li'anwar altanzil walsalaat ealaa alnabii aljalil
Author: Al-Sheikhani: Mahmoud bin Muhammad bin Ali, Al-Qadri, Al-Shafi'i, 1110 AH
Publication date: 1295 AH

شروط النشر في المجلة

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

– قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.

– قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون البحث جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحو كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوص شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون البحث سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ بحث مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون البحث مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا على الآلة الكاتبة، أو بخطٍ واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة مبيّنًا، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون البحث تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطّية المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقلّ البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

ملاحظات

١ – ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

٢ – لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلاّ لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.

٤ – تستبعد المجلة أيّ بحثٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أيّ أعمال فكرية.

٦ – يعطى الباحث نسختين من المجلة.

مركـــز جمعـة المـاجـد للثقـــــافة والتـــــراث
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و بعد ،

فإنه يسرنا أن نبعث إليكم بنسخة من العدد (١١٤) من مجلة آفاق الثقافة و التراث.

راجين التفضل بإرسال إشعار التسلم المرفق بالمجلة إلينا.

مع خالص شكرنا و تقديرنا لحسن تعاونكم معنا

و تفضلوا فائق الاحترام و التقدير

Dear Sir ;

Attached is one copy of Afaq Al-Thaqafa wa Al- Turath magazine, issue No (114). Please send back the enclosed receipt of Acknowledgement after filling in the required infomation.

Thank you for your kind cooperation

We remain

Gift ☐ إهداء

Exchange ☐ تبادل

Subscription ☐ اشتراك

قسيمة اشتراك

Subscription Order Form

سنة ☐ One Year

أكثر من سنة ☐ More Than One Year

عدد السنوات ☐ of Years

للأعداد : ..... Issues

عدد النسخ : ..... of Copies:

ابتداء من تاريخ : ..... Subscription Date :

شيك ☐ Check

حوالة مصرفية ☐ Bank Draft

حوالة بريدية ☐ Postal Draft

التاريخ : ..... Date :

التوقيع : ..... Signature :

إشعار بالتسلم

Acknowledgement of Receipt

Name : ..... الاسم الكامل :

Institution ..... المؤسسة :

Address ..... العنوان :

P.O. Box : ..... صندوق البريد :

No. of Copies: ☐ عدد النسخ : Issues No.: ☐ العدد :

Subscription ☐ اشتراك Exchange ☐ تبادل Gift ☐ إهداء

Signature : ..... التوقيع : Date : ..... التاريخ :

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصـــدر عن قسم الدراســـــات والنشر والشؤون الخارجية
بمركـــز جمعـــة الماجـــد للثقـــافة والتـــراث
دبـــي ـ ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتـــف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكـــس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولـــة الإمـــارات العربيـــة المتحـــدة
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org
الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

السنة التاسعة والعشرون : العدد مئة وأربعة عشر ـ ذو القعدة ١٤٤٢ هـ / جون (حزيران ـ يونيو) ٢٠٢١ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ ـ ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليـــل
أولريخ الدولي للدوريات
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيـــئة التحـــرير

مديـر التحرير
د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير
د. منى مجاهد المطري

هيئة التحرير
د. أبوبـــكـــر الصديـــق
د. محـمـد أحـمـد الـقـرشـي
د. فكـري عبـد المنعـم النجار
د. محـمـد فـاضـل الـحـطـاب

الاشتراك السنوي	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٥٠ درهم
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها
ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــــرس

الافتتاحية

أسباب القصور في تدوين السيرة النبوية

مدير التحرير ٤

المقالات

آثار الأزمات وأساليب تدبيرها بالمغرب والأندلس خلال العصر الموحدي:

"بحث في علاقة الدولة بالرعية"

هشام المتوكل ٦

إشكاليةُ التكرارِ في المعاجمِ الجغرافيةِ الناجمِ عنِ التَّصحيفِ والتحريفِ والترجمة

معجمُ البُلدانِ أُنموذجا

عبد الله يحيى السريحي ٢٦

ببغاء الهند، الشاعر أمير خسرو، ومكانته في الأدب العربي

د. محمد علي الوافي كرواتل ٤٤

سيرة الشّاعر معيارًا في النّقد الأدبيّ عند العرب

أ. د. وليد إبراهيم القصّاب ٥٨

التَّجنيسُ في التّراث النّقدي العربيّ:

كتاب "البرهان في وجوه البيان" لابن وهب الكاتب أنموذجًا

كريم الطيبي ٧٣

الحرير في بلاد المغرب والأندلس صناعة عربية بامتياز خلال العصر الوسيط

د. عصام منصور صالح عبد المولى ٧٨

"الأمراض والأوبئة المعدية في الدولة العثمانية"

دراسة على القرن التاسع عشر

د. أحمد صالح علي محمد ١٠٤

تحقيق المخطوطات

كتاب

الثَّلاثين الَّتي عن الإمام أحمد

في "صحيح مُسلم"

تأليف: الحافظ يوسف بن حسن بن عبد الهادي

المقدسي الصَّالحي الحنبلي المعروف بابن المَبْرد

(٨٤٠ هـ - ٩٠٩ هـ)

يُنشر لأوَّل مرَّة محقَّقًا على نسخة خطِّيَّةٍ نفيسةٍ بخطِّ المصنِّف

تحقيق: عبد الله بن محمَّد سعيد الحسيني ١٤١

تقييد على قول أبي الضّياء خليل "وخصّصت نيّة الحالف" التّسولي محمّد بن عليّ

(ت: ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٩م)

تقديم وتحقيق

دراسة وتحقيق: الدّكتور عبد القادر باجي ١٦١

الملخصات ١٩٨

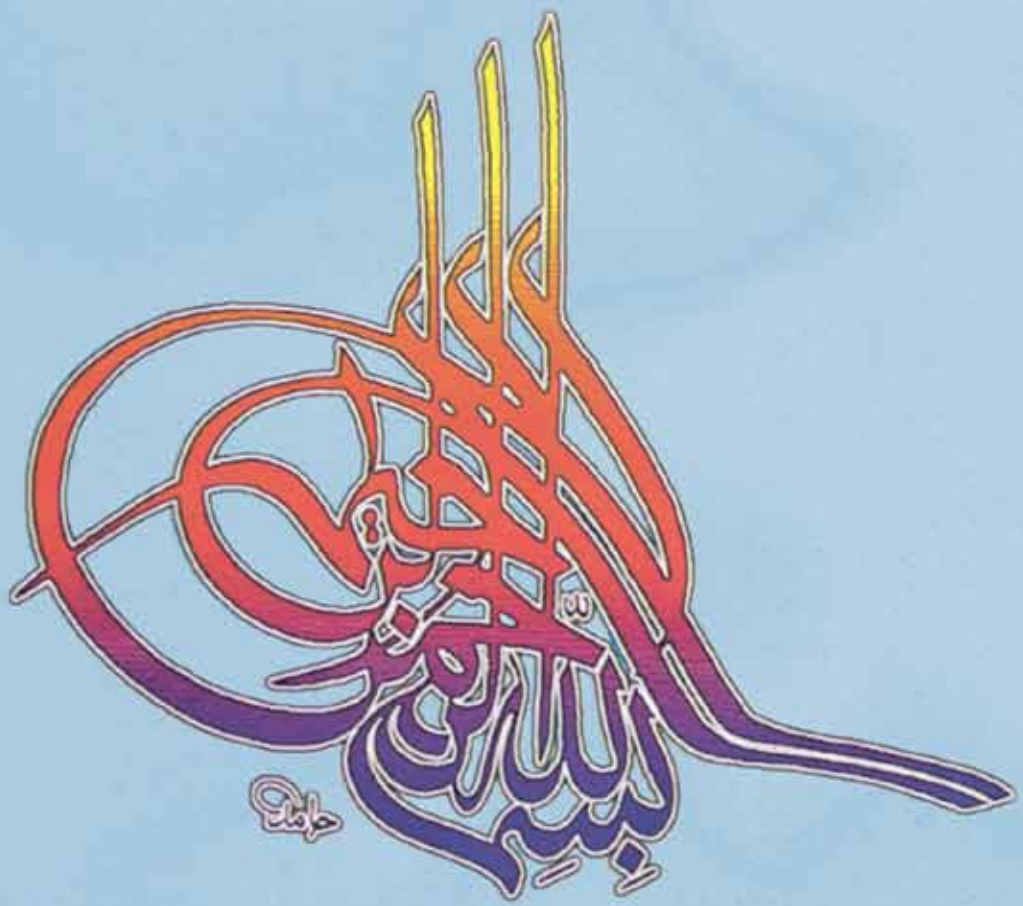
بسم الله الرحمن الرحيم

أسباب القصور في تدوين السيرة النبوية

إننا إذا تأملنا فيما كتبه المدونون الأوائل للسيرة النبوية، ومن تبعهم من المؤرخين حول المغازي والسرايا وما يلحق بها، وما بثوه من تفاصيل دقيقة لتلك الأحداث، وربما توغلوا في دقائق يصعب التثبت من صحتها، فإننا نجدهم وغالب المؤرخين لم يتحدثوا عن أسباب تلك السرايا والغزوات، إلا ما كان من ابن سعد في طبقاته - حيث أورد سبب كل سرية من هذه السرايا تقريبًا، ولكن باختصار شديد، كأن يقول: بعث النبي صلى الله عليه وسلم السرية الفلانية لردع القبيلة الفلانية؛ لأنها كانت تستعد للإغارة على المدينة - وقد تبعهم معظم كتاب السيرة في ذلك، وهو ما أعطى الذريعة وأتاح الفرصة للمستشرقين والكتاب الغربيين الخوض في تلك الأسباب والعلل وتفسيرها على حسب مرئياتهم ودوافعهم الشخصية، وجعلوها في كثير من الأحيان منطلقا لمهاجمتهم الدين الإسلامي الحنيف والطعن فيه وفي نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، الذي وصفوه - والعياذ بالله - بالهمجية، وأنه كان يحب إراقة الدماء.

الخوض في الأسباب والعلل لتلك الغزوات هو تجنب أي تأثير لرأيهم الخاص في مجريات الأحداث، فهم يرون ذلك من باب تحرى الصدق والعدل والأمانة في النقل والرواية.

وبالنظر في النصوص التاريخية التي دونها المؤرخون قبل الإسلام من شتى الحضارات ونصوص السيرة النبوية التي دونها علماؤنا الأوائل تمكننا من حصر تلك الأسباب في سببين رئيسين هما:

١ - لم تكن العرب قبل الإسلام تعرف كثيرا من الفنون والعلوم، ولم تكن تحفظ سوى أيامها وحروبها ومعاركها القبلية، وتخلدها في معلقاتها وأشعارها وأهازيجها وأغانيها لدى الكبير والصغير والرجل والمرأة، فكان القياس يتطلب أن تنتشر روايات مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أقواله وأفعاله والأحداث الأخرى، وأن يتأسس فن المغازي قبل غيره. ولكننا نلحظ تأخر روايات المغازي عن الروايات الأخرى، وذلك بسبب اهتمام الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله المتعلقة بالشريعة، وتلك التي تستنبط منها الأحكام الفقهية المتعلقة بالحلال والحرام؛ لأن المهم كان هو بناء الحياة الإسلامية على الأصول والقواعد الشرعية وتوحيد الأمة، ومن ثم لم يكن هناك مجال لاسترجاع تلك الذكريات التي قد تؤدي إلى إحياء تلك النعرات وغيرها، وبناء عليه لم يهتم أحد من الخلفاء وكبار الصحابة بالمغازي والسير حتى جاء عمر بن عبد العزيز الذي أولاها اهتمامًا خاصًا، فأمر بتكوين حلقات علم خاصة بغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، فأمر عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري المتوفى سنة ١٢١هـ -وكان عالمًا بالمغازي- أن يجلس في مسجد دمشق، ويحدث الناس بها وبمناقب الصحابة، فصادف هذا الوضع السلطاني رغبة مكينة لدى عامة الناس في حب الاستماع لمرويات تلك المغازي والسرايا التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع المشركين من أجل نشر دعوة الإسلام، فتعلق الناس بأخبار تلك الأيام والأحداث من سيرته صلى الله عليه وسلم، وزاد تبعا لتلك الحاجة اهتمام الرواة بها، والتدقيق في تفاصيلها بشكل لم تستطع المرويات من الأخبار الصحيحة والحسنة مجاراتها، وطغى ذلك طغيانا كبيرا على تفاصيل حياته اليومية وتصرفاته الاجتماعية وتراتيبه الإدارية، وغدا ذلك واضحا في سلوك الروات والمدونين المهتمين بالسيرة النبوية المطهرة، ولم يمض زمن طويل على هذا الوضع حتى قام الإمام الزهري بتأليف كتاب خاص عن المغازي، وكان هذا الكتاب هو الأول من نوعه، كما صرح بذلك الإمام السهيلي، قال الشبلي النعماني: ويغلب الظن على أن الإمام الزهري ألف كتاب المغازي بناء على طلب الخليفة عمر بن عبد العزيز. ومن الملحوظ أن الإمام كانت له صلة بقصور السلاطين، بل كان من الخاصة، المقربين من الحكام الأمويين، فقد أوكل إليه هشام بن عبد الملك مهمة تعليم وتربية أبنائه.

وبفضل مجالس عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري وغيره من الرواة، وتآليف الإمام الزهري وغيره من المدونين، شاع علم المغازي، واشتهر بين الناس فكثر عليه الطلب ومن هذه السدرة نسل علم موسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، والواقدي في المغازي والسير، ومضى الناس على ذلك المنوال في تناول السير إلا القليل منهم.

٢ – لقد كان مدونو التاريخ في القديم وفي الأمم السابقة للإسلام يهتمون كثيرا في تدوينهم لتاريخ أممهم بالمعارك والأحداث الكبرى وتسجيلها بالتفصيل، وأما ما يتعلق بالأحداث الخاصة بنظم الدولة وتسيير أمورها وبالمدنية والاجتماع، فكانوا يعرضون عنها في غالب أعمالهم، وإذا تعرضوا لها مروا عليها مرور الكرام، قال الشبلي النعماني: "ولم يكن ممكنًا أن يبقى التاريخ بمنأى عن هذا التأثير، وقد ظهر بعض هذا التأثير في المغازي. وفقا للطريقة القديمة لكتابة التاريخ كانت الفتوحات والمعارك والأحداث الكبرى تسجل بالتفصيل، وأما ما يتعلق بالأحداث الخاصة بنظم الدولة وتسيير أمورها وبالمدنية والاجتماع، فكان كتّاب التاريخ يعرضون عنها، وإذا ما تعرضوا لها اكتفوا بإشارات بسيطة لا ينتبه لها القارئ. ولما بدأ التأليف والتصنيف كانت هذه الطريقة هي السائدة، ومن أولى نتائج هذه الطريقة إطلاق اسم المغازي على السيرة النبوية، تمامًا كما يُكتب تاريخ السلاطين تحت عنوان أخبار الحروب أو أخبار السلاطين كالشاهنامه. لذلك نجد الكتب الأولى التي ألفت في السيرة مثل سيرة موسى بن عقبة وسيرة ابن إسحاق تعرف باسم المغازي. وهذه الكتب رتبت الأحداث حسب تاريخ وقوعها تحت عناوين السنين، كأحداث السنة الأولى بعد الهجرة وأحداث السنة الثانية وهكذا، مثل الكتب التي تتحدث عن تاريخ السلاطين. لم يكن بين دفتي هذه الكتب سوى الحديث عن المعارك والحروب".

إذا كانت هذه الطريقة في كتابة تاريخ السلاطين والدول ليست صحيحة، فإنها من باب أولى لا تناسب كتابة السيرة النبوية. لا شك أن المعارك والحروب جزء لا يتجزأ من حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذه الأحوال الخاصة نراه في صورة مقاتل أو قائد عسكري، ولكن هذا لا يمثل إلا جانبًا واحدًا من شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وليس كل الجوانب، فكل صغيرة وكبيرة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم تتمثل فيها النزاهة والقدسية والحلم والكرم والعطف والرحمة والإيثار وما إلى ذلك. ولكننا قد ننخدع بتلك الصورة الجزئية، التي تصوره لنا قائدًا عسكريًا كالإسكندر المقدوني الذي لا هم له إلا القتال، ولكننا حين نجيل البصر في حياته الشريفة نجده ملكا في صورة إنسان.

وقد كان لهذا المنهج أثر كبير في بنية التفكير لدى المسلمين، الذين أصبحوا ينظرون للسيرة النبوية من زاوية المدونين الأوائل، وبمعزل عن السنة الشريفة؛ حيث غطت مظاهر القوة المعاني الإسلامية السامية في سيرته العطرة، مع العلم أن تلك المعاني كانت أوسع زمانا ومكانا وبشكل كبير عن مظاهر القوة في حياته صلى الله عليه وسلم، ولذلك نجد أن أغلب استدلالات أولئك الذين اختار طريق العنف طريقا للدعوة وتمكين الشريعة من سياسة الناس في حياتهم تستند إلى أحداث ووقائع من مدونات السيرة أو نصوص تتعلق بتلك الأحداث يجتثونها عن سياقها ويخرجونها عن مسارها وموقعها ليحققوا بذلك ما أرادوا، وقد يكون ما أرادوه هو مقصد الجميع في النهاية لكن سلوكهم الذي سلكوه ليصلوا إلى تلك الغاية ليس سلوكا مرعيا، ولا مقصد شرعيا، ولا هو المنهج الأمثل والطريق المبتغى الذي يقره المنقول والمعقول، والأثر والنظر، ولا هو المنهج الذي ترتاح إليه النفوس وتقبل عليه إقبال المقتنعين المتثبتين.

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

آثار الأزمات وأساليب تدبيرها بالمغرب والأندلس خلال العصر الموحدي:

"بحث في علاقة الدولة بالرعية"

هشام المتوكل
دكتور وباحث في التاريخ الوسيط
وزارة التربية الوطنية، مكناس/ المملكة المغربية

يعد التأريخ للأزمات نمطا جديدا في الكتابة التاريخية، ظهر مع التطور الحاصل في المناهج العلمية، وانفتاحها على مواضيع كانت تصنف للأمس القريب ضمن التاريخ المهمش والمنسي، لينفتح بعد ذلك على آفاق أكثر شمولية متحررا من قيود الرؤى التقليدية[١]. ولعل الفضل في التأصيل لهذا النوع من الكتابة التاريخية يعود لمدرسة الحوليات التي ظهرت سنة ١٩٢٩م[٢]، في حين تأخر اهتمام المؤرخين العرب بهذا النوع من الدراسات، على الرغم من أن ابن خلدون أشار لبعض مواضيعه تحت مسميات "القحوط، والمجاعات، والغلاء..." باعتبارها مؤشرا لتحديد عمر الدول[٣]. كما ألف المقريزي بدوره كتابا أرخ به لموضوع الأزمات أسماه بـ"إغاثة الأمة بكشف الغمة"[٤].

وعلاقة بموضوعنا فقد شهد الغرب الإسلامي إبان الحكم الموحدي سلسلة من الأزمات، جعلت المنطقة تعرف على إثرها سلسلة من التحولات والمنعطفات، فكانت أزمات **القحط والمجاعة والغلاء** من أشد البلايا وقعا على مسار الدولة ونسق الحياة خلال العصر الموحدي[٥]. ومن هنا جاءت هذه الالتفاتة لإماطة اللثام عن بعض المراحل العصيبة من تاريخ الحكم والمجتمع الموحدي، خاصة وأن الدراسات قد أفاضت الحديث عن مراحل الرخاء والارتقاء الحضاري بذلك العصر[٦]، وأهملت في المقابل مراحل الضعف والأزمات فظلت هذه الأخيرة حلقة من حلقات التاريخ المنسي، التي يجب وصلها إذا أردنا بناء نسق تاريخي متكامل حول تاريخ المنطقة وتحولاتها، مما يسهم في قراءة تاريخ عصرنا نظريا اعتمادا على أسلوب التركيب، لهذا فإن دراسة **"آثار الأزمات وأساليب تدبيرها بالمغرب والأندلس خلال العصر الموحدي: بحث في علاقة الدولة بالرعية"**، يدخل ضمن هذا المعنى من الكتابة التاريخية الهادفة لإزالة الحجب عن واقع أزمات كان لها آثارها الواضحة على واقع الحياة، مع مراعاة نقاط التواكب

والتفاعلات بينها وبين نتائجها على مختلف المستويات.

الدراسات السابقة:

يعد الخوض في موضوع الأزمات كما أسلفنا، من المواضيع النادرة ضمن الكتابات العربية؛ حيث قلما نطالع عنوانا يحمل هذا المعنى، باستثناء نوادر وصلت إليها أيدينا استثمرناها في الخروج بإطار نظري ومنهجي أفادنا في موضوعنا، وأهمها على الإطلاق الدراسة القيمة **"الموحدون وأزمات المجتمع"**[٧]، والتي بين فيها صاحبها مظاهر ونسق تطور الأزمات في علاقتها بالمجتمع إبان الحكم الموحدي، وكذلك تلك المعنونة بـ: **"جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين"**[٨]، التي تناول فيها صاحبها الحديث عن مختلف المجاعات والأوبئة التي اجتاحت المجال المغربي، ولا نغفل الإشارة إلى البحث الموسوم بـ: **"المجاعات والأوبئة بالمغرب الوسيط (٥٣٤هـ-٧٧٦هـ/١١٣٩-١٣٧٥م)"**[٩]؛ حيث نحت صاحبته إلى تقديم دراسة موسعة عن الكوارث الطبيعية وآثارها على المجتمع المغربي الوسيط، هذا فضلا عن المقالات التي تناولت موضوع الأزمات ونتائجها من قبيل: **"المجاعات والأوبئة في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط، النتائج الديمغرافية"**[١٠]، والمساهمة التي حملت عنوان **"الجراد والجوع والأمراض في المغرب خلال العصور القديمة الوسطى"**[١١]؛ ليتوج البحث بأهمية التأريخ للأزمات ودوره في فهم تطور المجتمعات باعتبار أن **"الكوارث الطبيعية والحتمية التاريخية"**[١٢]، علاقة تفاعلية.

لذلك نحت مجموعة من الدراسات إلى تضمين أبوابها فصولا عن تاريخ الأزمات وآثارها، لا يسع المجال لذكرها جميعا في هذا المقام.

إشكالية الموضوع ومنهج الدراسة:

تحديد إشكالية الموضوع وبناء تصورها العام، يعد خطوة منهجية لا محيد عنها. وبما أن التاريخ من التخصصات المتشعبة، نجد لزاما علينا طرح مجموعة من الفرضيات بخصوص تاريخ الأزمات؛ حيث من الضروري الكشف عن مختلف جوانب الأزمات والتساؤل عن آثارها، وأبرز السلوكات وردود الفعل التي أفرزتها داخل الدولة والمجتمع إبان الحكم الموحدي، حتى نتمكن من فهم وتحليل هذه الحقبة من التاريخ بمقتضى نظر منهجي الهدف منه الإسهام في الإجابة عن استفهام محوري هو:

ما أهمية الأزمات في فهم تاريخ الدولة الموحدية؟.

ما طبيعة العلاقة بين مقدمات الأزمات ونتائجها؟.

ماهية ردود الفعل تجاهها وأساليب تدبيرها ومواجهتها؟.

ومن أجل الإجابة عن هذه التساؤلات وجب الاعتماد على منهجية علمية قائمة على استقراء مختلف النصوص التاريخية، متسلحين في ذلك بتقنيات المنهجين الوصفي والتحليلي، عن طريق استخراج المعطيات النصية من ثنايا المصادر التاريخية، وتحليلها بغرض بناء تصور عام انطلاقا من نتائجها، وإن واجهتنا في خضم ذلك صعوبات جمة نظرا لغياب معطيات إحصائية دقيقة تفيد الموضوع وإشكالاته.

I- الأزمات خلال العصر الموحدي بين الحتمية والإكراهات:

١- دورية الأزمات في المغرب والأندلس:

عرف المجال المغربي والأندلسي خلال العصر الموحدي، العديد من المساغب والأزمات[١٣]، واتخذت الدولة والمجتمع إزاءهما

مواقف متعددة، فاستطاعا أن يمتصا آثارها أحيانا وانكسرا أمامها أخرى، وقد يخيل للباحث كما رأى محمد المغراوي أن العصر الموحدي عصر أزمة طويلة تخللتها بعض لحظات من الانفراج بسبب التزامن الذي شهدته بعض تلك الأزمات[١٤].

ويشير مصطلح الأزمات إلى وجود قوى قاهرة، لها قدرة التأثير على موارد الإنسان[١٥]، بدليل أنها وردت تحت مسميات عديدة منها **"شدائد الدهر" و"الاستئصال والهلاك"**[١٦]، وهي ما ينزل بالإنسان من **"الملمات والحوادث"**[١٧]، وهي **"المصيبة تحل بالرجل في ماله"**[١٨]، وموارد رزقه فيقال مجازا **"أصابهم الدهر بنفوسهم وأموالهم**[١٩].

وهكذا تكون الأزمات حدا فاصلا بين زمنين: زمن الرخاء وزمن الشدة، وبينهما تتباين السياسات وتختلف الخطابات؛ حيث إن توالي الشدائد التي عصفت بالمغرب والأندلس إبان الحكم الموحدي، سببت تحولا جذريا في فكر الإنسان وسلوكياته والأمر مرده إلى اختلال نظام التوازن بين احتياجات الإنسان وموارده، مما دفعه لابتكار صيغ تدبيرية تستجيب لحتميات الظرفية.

فالمتأمل للمشهد المغربي والأندلسي إبان الحكم الموحدي، يجد نفسه أمام صورة معقدة، تتسم بانهيار الأمن الغذائي والذي عزاه **"بروديل"** إلى التقلبات المناخية والتقنية التي شهدها حوض البحر المتوسط[٢٠]، وإن كان الغوص في ثنايا المصنفات التاريخية يحيل بالضرورة على آثار العوامل السياسية في إحداث شلل يترتب عنه حدوث أزمات غذائية[٢١]، وإن كانت العوامل الطبيعة المفسر الحتمي لمثل هذه المشاكل؛ حيث أن المناخ يعمل على إعاقة الأنشطة الفلاحية، فقد ذكر الحسن الوزان بعض الاضطرابات المناخية التي غالبا ما تحدث وتؤدي إلى حدوث المجاعات[٢٢]؛ حيث إن الرياح القادمة من الصحراء والمتسمة بارتفاع الحرارة والجفاف تتسبب في إتلاف المحاصيل الزراعية[٢٣]. وحجتنا ما ذكره ابن نظيف الحموي بخصوص سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، وفيها **"كان في الغرب من الغلاء مالا يعبر عنه... وذلك أن المطر احبس عنهم من سنة ستة عشر إلى سنة تسعة عشر وستمائة"**[٢٤]، وكذا الحال في سنة ٦٣٧ هـ/١٢٣٩م، كان القحط وقلة الأمطار[٢٥]، وهنا يعلل ابن خلدون الأمر بقوله: **"فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف، ويقل ويكثر الزرع والثمار والضرع على نسبته"**[٢٦]، ولعل المغرب والأندلس قد عرفا سنوات شداد، إما بسبب القحط أو الفيضان، إذ تسببت هذه الآفات في إتلاف المزروعات... وهو ما يعكس العلاقة التفاعلية بين المناخ والأزمات.

إذ مهد القحط الذي عرفته مراكش عام ٥٤١هـ/١١٤٦م[٢٧]، للمجاعة التي بلغت ذروتها مع الحرب المستعرة بين المرابطين والموحدين، والتي تسببت في تراجع الإنتاج ومصادرة أغلبه، مما انعكس سلبا على الساكنة فـ**"نفد طعامهم، وفنيت مخازنهم حتى أكلوا دوابهم، ومات منهم بالجوع ما ينف على مئة وعشرين ألفا. ولما طال عليهم الحصار واشتدت أحوالهم فهلكوا جوعا حتى أكلوا الجيف، وأكل أهل السجن بعضهم بعضا"**[٢٨]، وهو ما شهدته فاس عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م[٢٩]، فزاد الضيق بالناس وانهارت عزائمهم، وبدورها عانت إشبيلية سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، من مجاعة شديدة جراء انقطاع ميرتها من المغرب بسبب الحصار الذي ضرب عليها، فلحق بالناس شدة عظيمة[٣٠]، فارتفعت أسعار المواد الغذائية، حتى **"بيعت خبزة بدرهم ونصف، وبيع قدح القمح بستة وثلاثين درهما، وباع الناس أموالهم بإشبيلية بالأيسر اليسير،**

واستوى الغني بها والفقير"[٣١]. كما يصف لنا ابن عذاري حالة الاضطراب التي عرفتها مراكش في الربع الثاني من القرن ٧ الهجري/١٣ الميلادي، بعد حصارها من قبل عرب الخلط، ثـأرا لزعيمهم مسعود بن حمدان بعدما غدر به عبد الواحد الرشيد؛ فيقول: **"واجتمعوا من كل أوب وفج، واستقبلوا الحضرة... فأحدقوا بجنباتها، وشرعوا في تدمير البحائر وقطع مياهها وشجراتها... وعظم انتقامهم وعيثهم في الحوز، فضاقت الأرض بما رحبت على الناس لانقطاع المرافق والمواد، وارتفعت الأسعار، وعدمت الأقوات"**[٣٢]. ذلك أن المناوئين للسلطة قد يضربون حصارا على الحواضر ويقومون بتخريب أحوازها على سبيل الضغط العسكري والسياسي.

وببلاد الأندلس عانت إشبيلية من محنة شديدة نتيجة الحصار المسيحي الذي ضرب عليها سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٧م، وهو الوقت الذي كانت فيه السلطة الموحدية منشغلة بمواجهة الزحف المريني، فهلك من سكانها: **"بالجوع خلق كثير، وعدمت الأطعمة من القمح والشعير"**[٣٣]. وهنا يتجلى لنا تداخل العوامل الطبيعة والسياسية في تفسير الأزمات، ومثال ذلك أيضا ما حدث بمراكش إبان الصراع الموحدي المريني عام ٦٦٥هـ/١٢٦٧م؛ حيث عرفت المدينة نتيجة التنافس على السلطة بين أبي دبوس آخر خلفاء الموحدين ويعقوب بن عبد الحق المريني **"شدة المجاعة"**[٣٤]. ولعل هذا ما جعل ابن خلدون يذهب في تفسيره إلى القول بأن: **"المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول"**[٣٥].

ومما سبق نخلص إلى أن أسباب هذه الأزمات تتجلى في:

الجانب السياسي: ويتمثل في الإجراءات المتبعة من قبل السلطات، بفرض الضرائب المجحفة على الفلاحين بما يؤدي إلى تدهور الواقع المعيشي، زد عليه تعرض البلاد إلى الحروب والصراعات[٣٦]، حيث ذهب ابن خلدون إلى إيجاد تفسير منطقي لحدوث المجاعات فوجد أن عدم اهتمام الناس بـ: **"الفلح في الأكثر، ـ يقع ـ بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات، أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة"**[٣٧].

هنا شخص ابن خلدون سبب العلل المرتبطة بالأزمات الاقتصادية، إذ أن السمة الأساسية للدولة المغربية الوسيطية، هي الصفة العسكرية. وإذا أخذنا بالاعتبار شساعة المجال الذي سيطرت عليه الدولة الموحدية وقوة المنافسين لها وكثرة الثائرين عليها، علمنا حجم الأموال التي كان على الدولة توفيرها، بغرض الانفاق على الجيش وأعطياته ومعداته، خصوصا في مراحل أفول الدولة بسبب ظهور طموح العصبيات المنافسة لها، ورغبتها في السيطرة على زمام الحياة السياسية. مما يستدعي توجيه جل الإمكانيات الانتاجية لخدمة الأهداف الحربية، بما يحيل بالضرورة على اضطراب الأمن والشطط الجبائي من قبل السلطات الموحدية؛ لذلك فإن المنتجين يصبحون عازفين عن الأنشطة الاقتصادية وإلى هنا أشار ابن خلدون بقوله: **"اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها، لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم، وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك، وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب"**[٣٨].

وهكذا حاول ابن خلدون أن يبحث عن السر الكامن وراء الأزمات داخل أسلوب الإنتاج السائد خلال العصر الوسيط، وهو أسلوب نعت بـ**"أسلوب الانتاج الحربي"**[٣٩].

الجانب الطبيعي: وهذا أكثر ما يكون مرتبطا

بالعوامل المناخية التي أشرنا لها آنفا، ورغم قلة الإشارات المصدرية عما قد تخلفه من نتائج سلبية على الإنتاج الفلاحي فإننا نعثر ارتباطا بإشبيلية التي تعرضت للسيل سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، بسبب الأمطار الغزيرة التي تهاطلت عليها، مما تعذر معه على المزارعين استغلال الحقول الزراعية حيث **"امتلاء الأودية وحملها وثقل الأرض ووحلها"**[٤٠]، **وغدت تربتها "مريضة لا يصلح أن يزرع فيها شيء"**[٤١]، مما انعكس سلبا على المحاصيل مهددا منظومة الأمن الغذائي.

ولعل حدوث بعض التغيرات المناخية كان يزيد من استفحال ظاهرة الأزمات الغذائية؛ حيث يؤدي تأخر الأمطار عن موعد الحرث والزرع إلى تفاقم الأزمة مثل ما حدث ببلاد الأندلس سنة ٥٦٥هـ/١١٧٠م[٤٢]، وجعل أهل بطليوس يعانون من **"عدم القوت"**[٤٣]. أضف لذلك ما كابده سكان مراكش سنة ٥٦٨هـ/١١٧٣م، من محن شديدة بسبب **"توالي القحط وامتناع الغيث"**[٤٤]، ولا شك أن هذه القحوط وما ينتج عنها من مجاعات كانت تؤدي حتما لحدوث نزيف بشري، دليلنا في ذلك ما نقله لنا العباس بن إبراهيم عن حوادث سنة ٥٧١هـ/١١٧٦م والتي صحبها **"مجاعة رهيبة عصفت بأرواح سكان فاس"**[٤٥]. ولم تمض سنوات حتى وجد المغاربة أنفسهم من جديد في مواجهة مجاعة مشابهة نزلت بهم سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م[٤٦]؛ حيث قلت الأقوات ولم يجد الفقراء ما يواجهون به قلة الغذاء.

ومع بدايات القرن ٧هـ/١٣م، توالت دورية القحط والمجاعة في أرجاء المغرب والأندلس، فبعد المجاعة التي ألمت بقصر كتامة عام ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م، كان الغلاء المفرط الذي اجتاح غرناطة سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م[٤٧]، ومما زاد من حدته إعداد الناصر لمعركة العقاب، مما أدى إلى مصادرة المؤن والبضائع من الأسواق، كما عصفت بإشبيلية مجاعة مشابهة عام ٦١٢هـ/١٢١٥م،[٤٨]؛ حيث توالت موجة القحط والمجاعة ابتداء من سنة ٦١٤ هـ/١٢١٧م، وهو ما أكده ابن عذاري بقوله: **"وفي سنة ست عشرة وستمائة كان المحل العظيم والمجاعة التي شكاها الظاعن والمقيم، وتناهى الحال في مزيد السعر إلى ما لا نهاية له، وكان ابتداء الحال فيه في السنتين المتقدمتين لهذه السنة المؤرخة"**[٤٩].

والأمر نفسه شهدته مدينة فاس سنة ٦٢٧هـ/١٢٣٠م، مما اضطر سلطات المدينة إلى **"إغلاق باب الجوف ... في زمن المجاعة"**[٥٠] خوفا من تدفق الجياع على المدينة طلبا للميرة، وما قد ينجم عن ذلك من فتن مرتبطة بسلوكيات السلب والنهب.

ولعل هذه الأزمات الدورية ارتبطت أساسا بالتغيرات المناخية التي عرفها المغرب والأندلس حينئذ، والتي لم يكن موقف سكان المجال منها إلا الترقب. وفي هذا السياق نقدم نصا ذا دلالة نقله ابن عذاري عن المجاعة التي عصفت بمراكش سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م؛ حيث **"لم يبق لأحد سبد ولا لبد... ولا ذخيرة ولا مال... واستولت المجاعة على جمهور الناس ورأوا محنا يستعاذ بالله منها، وانتهى المد الواحد من القمح الفحصي إلى سبعة دراهم كبارا... وأما أسواق المدينة في هذه المجاعة فلم يكن بها ما ينطبق عليه اسم شيء بوجه من الوجوه والحوانيت مغلقة... وتغيرت الصور الجميلة وتنكرت الدنيا باستيلاء المجاعة"**[٥١]. صورة مأساوية نستشف من قسماتها عمق المحن التي عاركها الخواص والعوام.

وفي سياق متصل بالقرن ٧هـ/ ١٣م، نجد حضورا لأزمة أسراب الجراد الذي اجتاح المغرب عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م[٥٢]، فترك السهول خاوية والأغراس تالفة، ومصداق ذلك ما ورد عند ابن أبي زرع: **"وفي سنة سبع عشر**

[وستمائة] كان الغلاء الشديد بالمغرب والقحط والجراد"[٥٣]، كما تكرر هجوم الجراد على بلاد المغرب عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م، وتكررت بسببه محن العوام[٥٤]. ولم يجد الجياع بدا في إطار الصراع من أجل البقاء إلا تناوله فكان يباع منه في **"مراكش يوميا ما يقرب من ثلاثين حملا"**[٥٥]. وفي هذا الصدد ينقل لنا ابن أبي زرع موضحا العلاقة بين هذه الأزمة والجراد **"وفي سنة أربع وعشرين وستمائة اشتد الغلاء بالمغرب والأندلس... وفيها كان الجراد المنتشر بالمغرب"**[٥٦]. ولا شك أن الجراد زاد من تفاقم حالة الخصاص في المواد الغذائية بسبب إتلافه للمحاصيل الزراعية.

وبدورها ألحقت الحرائق رغم ندرة الإشارات، دمارا فادحا بموارد عيش الإنسان وفي هذا الصدد تنقل المصادر أنه في سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م، شب حريق مهول بقيسارية مراكش أتى على متاع التجار وأموالهم، وذلك بالنظر إلى ما كانت تحويه القيسارية من حوانيت ومخازن[٥٧]. ومما يدل على الدور التجاري الحيوي الذي كانت تقوم به تلك القيسارية ما قام به الخليفة المنصور الموحدي الذي استقطب إليها المهرة من التجار سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م بقصد تطوير المبادلات التجارية بين المدينة وضواحيها[٥٨]، وخير من وصف لنا هول الفاجعة ابن عذاري بقوله **"كان الحريق الشائع الضرر الجاري بقيسارية مراكش، وما اتصل بها وذلك ليلة الخميس ١٣ جمادى الأولى والناس آووا إلى مضاجعهم... فتمكنت النار بيابس العيدان وشفوف الثياب وأسرعت كالشهاب في سقف الأسواق، فما هب الأقربون إليهم من نومهم... إلا وقد شب لهبها بين الآفاق وعلت ضجته المدينة، وهتكت العامة بما والاها من الدروب المقفلة واتصل الصراخ والضجيج بالناصر لدين الله فخرج مسرعا من قصره وتخطى إلى الصعود بصومعة الجامع المتصل به فعاين أمرا لا مرد له"**[٥٩]. وشبيه بذلك الحريق الذي شب سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م **"بأسواق فاس فاحترقت أسواق باب السلسلة بأسرها إلى حمام الرحبة"**[٦٠].

ومن بين آثار هذه الحرائق حدوث خلل في التوازن الاجتماعي فقد ارتد الكثير من مياسير الناس فقراء معدمين بعد أن **"ذهب في هذه الكائنة - حريق مراكش - للتجار الواردين والقاطنين، والقاصين والدانين من الأموال الجسيمة ما لا يحصى، وافتقر فيها أمة من ذوي اليسار وأصبحوا يتكففون الناس حيارى على أقطارهم"**[٦١]، مما يكشف فداحة الخسائر الاقتصادية والاجتماعية التي ترتبت عن هذا الحريق المهول.

وعموما إن اهتمام المؤرخين بإدراج أخبار الحرائق ومصادرها قد لقي اهتماما ضعيفا؛ حيث لم يدونوا من أخبارها إلا ما كان وقعه خطيرا ولا يمكن إغفاله بحال من الأحوال، لما خلفته آثارها من خسائر فادحة على النظام الاقتصادي الموحدي وأسسه، التي تتجلى في الأسواق والحوانيت وموارداها من السلع والبضائع، وما خلفته من آثار سلبية على أوضاع السكان المعيشية تجارا كانوا أو مستهلكين.

٢- غلاء الأسعار في علاقته بالأزمات:

على الرغم من أن المصادر لا تكشف لنا الكثير عن ماهية الغلاء وأسبابه، باستثناء ما قدمه لنا ابن خلدون من علل بشرية مرتبطة بالسياسية الجبائية[٦٢]، فإن المتفحص في دلالة النصوص المصدرية يستطيع الخروج برؤية تفسيرية عن وضعية الأسعار وتذبذباتها داخل السوق التجارية المغربية والأندلسية، إبان الحقبة الموحدية؛ حيث غالبا ما نجد تلك المصادر وهي تتطرق إلى إحدى الأزمات ترفقها بأحد أبرز آثارها وهو الغلاء.

إذ أفـرزت هـذه الأزمـات مجموعة من الممارسات، تؤمن باستغلال الظرفية الطارئة، فاتجهت فئة من المجتمع إلـى اتباع سياسة الاحتكار، مما كان يؤدي إلى تفاقم الأزمات بسبب نـدرة أو غياب البضائع التموينية في الأسواق، مع ما يرافق ذلك من المضاربة في السوق السوداء؛ حيث كشفت نصوص الحقبة الانتقالية بين المرابطين والموحدين تداخل كل من العوامل الطبيعية والسياسية في تفسير الغلاء فـ **"غلت الأسعار بمراكش ووصل فيها الربع من الدقيق بمثقال حشمي ذهبـا"**(٦٣). حيث يتضح أن المجاعات الدورية التي ألمت بمجالنا خلال هذه الحقبة، نتجت عنها موجات للغلاء شديدة، سببها انكماش مـوارد الإنتاج وتزايد الاستهلاك، مما حدا بالمضاربين إلى تصيد هذه الفرص للرفع من الأسعار(٦٤). ومرد الأمر في أساسه تراجع الإنتاج والمعروض منه بالأسواق، في مقابل ارتفاع الطلب بسبب توجه المستهلكين إلى تخزين البضائع(٦٥)، الأمر الذي ينهك القدرة الشرائية للفئات الهشة من المجتمع التي لا تستطيع مجاراة تقلبات السوق التجارية في مثل تلك الظرفية(٦٦).

هذه الظاهرة تركت بصماتها على مجالنا إذ ينقل لنا البيدق أصداء حمى الأسعار التي اتقدت سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م، تزامنا مع المجاعة التي ضربت المغرب، فقال: **"وبلغ عندنا في ذلك سعر الشعير ثلاثة دنانير للسطل"**(٦٧). كما أسهمت مضاعفات القحط والمجاعة التي ألمت بالمغرب السنة الموالية في تأثر فئات عريضة من العوام إذ **"تتابع الغلاء في جميع بلاد المغرب"**(٦٨). مما حال بين شرائح واسعة من العوام وبين ما يسدون به الرمق، ويقاومون به الجوع؛ حيث إن **"الغلاء تتابع في جميع بلاد المغرب من سنة سبع وثلاثين [وخمسمائة] إلى هذه السنة (٥٤٣هـ)، وكان أشده في سنة اثنتين وأربعين وأكل الناس بعضهم بعضا"**(٦٩).

من الطبيعي جدا أن تتأثر فئات المجتمع بمختلف شرائحها من ظاهرة الغلاء، خصوصا تلك التي لم تكن تنهج أسلوب الادخار في زمن الرخاء، نظرا لضعف مواردها أو بسبب غياب نهج اقتصادي واضح لديها، ومن ثم تفاقمت محن الفقراء جراء الغلاء، خصوصا أن هذه المرحلة تعد مرحلة انتقالية ما بين العصبية الصنهاجية والمصمودية(٧٠)؛ حيث ورد في ثنايا المصادر أن سكان مكناسة اضطروا إبان حصار الموحدين لمدينتهم ونفاذ الأقوات منهم إلى "أكل خسيس الحيوان حتى عدم كل ذلك، وهلك الناس قتلا وجوعا"(٧١).

كما عصفت ببلنسية مجاعة عظيمة سنة ٥٦٧هـ/١١٧٢م، نتج عنها غلاء مفرط، انعكست نتائجه على فقراء المدينة الأمر الذي يصفه لنا ابن صاحب الصلاة باعتباره شاهد عيان بقوله: **"وزاد بالناس الجوع والعدم، والضعف والألم ... وقد وصل الدقيق أربعة دراهم للرطل الواحد منه، ومد الشعير المراكشي أربعة دراهم، وكذلك القمح غير موجود..."**(٧٢).

الملاحظ أنه كلما اندلعت أزمة من الأزمات من قبيل الحرب أو القحط أو المجاعة، أو هجوم الجراد على المحاصيل الزراعية، إلا وارتفعت أسعار المواد الاستهلاكية وبخاصة منها الحبوب باعتبارها أساس الغذاء، ولم يكن بمستطاع المستضعفين من السكان الحصول على احتياجاتهم منها، نظرا لإقبال الأغنياء على تخزينها أو تهافت الناس على شراء كميات كبيرة منها، خوفا من اختفائها من الأسواق أو ارتفاع أثمانها مما يخل بالتوازنات التجارية فينتج عنه غلاء مفرط، وحسبنا أنه من بين **"معظم الأسباب الجلية لتقلبات الأسعار الإقليمية هو نقص المؤن بسبب المجاعة والقحط"**(٧٣). الأمر الذي يلجئ ضعاف العوام إلى استهلاك الأصناف

الرديئة من الحبوب مثل الحنطة والشعير(٧٤)؛ حيث إن عوام الأندلس ارتبط غذائهم في ظل مثل هذه الأزمات ببعض الحبوب الرديئة مثل **"الدخن والسلت"**(٧٥).

وقد اتخذت سلسلة الأزمات المرتبطة بالغلاء طابعا دوريا، ففي عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م **"اشتدت الحال في تناهي غلاء الأسعار بالبلاد الغربية والأندلسية"**(٧٦)، وفيها أيضا **"كان الغلاء الشديد بالمغرب والقحط"**(٧٧)، كما ألم قحط شديد بمراكش عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، وجد الفقراء فيه أنفسهم عرضة لندرة الأقوات وغلاء الأسعار(٧٨).

وقد توالت الأزمات الناجمة عن المجاعات ففي سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، ضربت مجاعة شديدة مدينة سبتة وبلغ الشعير سبعة دراهم للمد(٧٩). وهو ما يعكس صورة البؤس والمعاناة التي عرفها سكان هذا المجال في سياق رهان مواجهة مخلفات الغلاء.

ولهذا فإن ارتفاع أسعار البضائع قد يكون مؤشرا لقياس مدى حدة الأزمات، ومقياسا للتعبير عن درجة المعاناة بسبب قلة القوت أو انعدامه، وفي هذا الصدد اعتبر أحد الباحثين **"القمح صاحب القول الفصل في تاريخ بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط"**(٨٠).

وقد شكلت الأزمات التي عرفها المغرب والأندلس إبان الحقبة الموحدية فرصا مناسبة لنشاط الاحتكار والمضاربة، مما أدخل الإنسان في منافسة غير عادلة مع توهج شرارة الغلاء، ويتضح ذلك من خلال تردد مقولات من قبيل **"وغلت الأسعار وقلت الميرة في الأسواق"**(٨١). وتعد هذه الظروف مناسبات يتحينها بعض التجار للمضاربة في المواد الأساسية والتي يتزايد الطلب عليها في مثل هذه الظروف، قصد تحقيق الأرباح الزائدة من خلال عمليات البيع بالأجل **"الذي كان أكثر الأنواع انتشارا، وربما كان نقدا بنقد أو نقدا بسلعة...والظاهر أن بيع السلف ساعد التجار على استغلال الزراع، والاحتكار لاسيما للطعام..."**(٨٢).

ولهذا أقبل المحتكرون وقت الرخاء على **"شراء البضائع والسلع وادخارها، يتحين بها حوالة الأسواق بالزيادة في أثمانها"**(٨٣)، وذلك على الرغم من المحاذير الشرعية التي تمنع هذا الأسلوب في الممارسات التجارية، وبالفعل فقد امتنع المحتكرون في مراكش عاصمة الموحدين، عن إخراج الحنطة إلى الأسواق في وقت اشتدت فيه المجاعة سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٥م، فقلت الأقوات وارتفعت أسعارها علما أنه **"كان عندهم منها ما تتمشى به أحوال الناس مدة طويلة، لكن حب النفس منعهم من إخراجه والتمسك به"**(٨٤)، إلى أن اشتدت وطأة الأزمة بانعدام الطعام **"فتغيرت الصور الجميلة وتنكرت الدنيا باستيلاء المجاعة"**(٨٥). وحينئذ بلغت الغاية من الاحتكار وأخرج التجار ما بحوزتهم من الحنطة والشعير فبذل الناس من الأموال فيها ما كان يطمح إليه المحتكرون **"فإن ظهر في السوق بعد أيام كثيرة شيء من خبز الشعير يحشر الناس عليه، وإنهم لقيام ينظرون"**(٨٦).

وكان من الممكن التخفيف من وطأة هذه المجاعة، لو تم الضرب على أيدي المحتكرين، وثوار عرب الخلط الذين توجهوا إلى مصادرة المواد الغذائية وتخزينها، بحيث لم تظهر الحنطة في أسواق مراكش إلا عندما عزم الرشيد الموحدي على مغادرتها **"فأخذ الرشيد ورجال دولته والموحدون في حركتهم، وخفف الناس أثقالهم ببيع ما لا يحتاجون إليه، وعند ذلك ظهرت الحنطة في البلد مما باعه المحتكرون... [إذ أن] حب النفس منعهم من إخراجه والتمسك به"**(٨٧).

وفي هذا المنحى يضيف ابن عذاري نصا بخصوص حوادث ٦٣٤هـ/١٢٣٦م، يميط به اللثام عن ندرة المواد المعيشية في الأسواق

وارتفاع أثمانها؛ فقال: **"وفيها كان الغلاء المفرط الذي انتهى فيها الربع الواحد من الدقيق إلى سبعة وثلاثين درهما... فإن السلع كلها نفقت أسواقها ودرت أرزاقها"**(٨٨).

واستمرت هذه المحن إلى حدود سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م، وهو ما أكده ابن أبي زرع بقوله: **"وفيها اشتد الغلاء والوباء بالعدوة فأكل الناس بعضهم بعضا"**(٨٩)، كما اصطلى المغاربة بدورهم بنار محنة امتدت إلى حدود سنة ٦٣٧هـ١٢٣٩/م، وهي المعروفة بـ**"أيام المجاعة"**(٩٠)، فكان بها: **"الغلاء المفرط والمجاعة العظيمة بمدينة سبتة حتى عدم فيها الطعام بالكلية في هذا العام... ومن هذا العام صار أهل سبتة يختزنون الطعام في المطامير في كل عام حيطة على أنفسهم من مثل هذه المجاعة.... وكانت أكثر بلاد الغرب غالية الأسعار بسبب كثرة الفتن وقلة الأمطار في تلك الأقطار"**(٩١).

مثل هذه السلوكيات عرقلت النشاط التجاري بالمغرب والأندلس، وفتحت آفاقا ملائمة للمضاربين للتلاعب بأسعار المواد المعيشية وفي مقدمتها القمح؛ ليجدوا بذلك السبيل إلى التربح غير المشروع على حساب إضعاف قدرة الناس الشرائية؛ لذلك نجد فقهاء المرحلة يحاربون السلوكيات الاحتكارية وفي طليعتهم ابن زكون الذي أكد أن **"احتكار الطعام لا يكون أبدا إلا مضرا بالناس"**(٩٢).

ولم يختلف تقييم بعض أصحاب الدراية لأبعاد ومساوئ آثار هذه الظاهرة على معاش الناس وفي هذا الصدد قال ابن خلدون: **"ومما اشتهر عند ذوي البصر والتجربة في الأمصار، أن احتكار الزرع لتحين أوقات الغلاء مشؤوم، وأنه يعود على فائدته بالتلف والخسران"**(٩٣)، ويقدم ابن عبد الملك نموذجا لذلك أواخر عهد الخليفة المستنصر الموحدي من خلال تزايد ثروة المرابعين والقشاشين في ظروف الشدة التي واكبت المجاعة العظمى حيث "اتسعت أحوالهم وبناؤهم بما صار إليهم في تلك المدة من الفوائد لتوالي غلاء الأسعار، ونفاق سلعهم، وارتفاع أثمانها إلى حد لم يعهد مثله فيما تقدم"(٩٤).

ولعل هذه الآثار الناتجة عن الغلاء كان فضاؤها الأساسي هو الحواضر الكبرى، بسبب ارتفاع عدد سكانها مما يؤدي إلى اشتداد مظاهر الخصاص في السلع التموينية، وهو ما فطن إليه ابن خلدون عندما أشار إلى أن **"الموتان يكون في المدن الموفورة العمران"**(٩٥).

ولعل كل ما سبق يعد أسبابا مفسرة لمجموعة من الانتفاضات والثورات قامت ضد النظام السياسي الموحدي الحاكم؛ حيث يعد الجوع محفزا طبيعيا للانتفاضة والثورة، يستغله البعض لتحقيق مجموعة من المآرب، مما يعكس مدى وعي الثوار بأهمية مثل هذه الظروف الاستثنائية في تحقيق مطامحهم الثورية، ونضرب المثال بمنطقة سوس التي شهدت مجاعة شديدة عام ٥٤٢هـ/١١٤٨م، والتي تزامنت مع ثورة الماسي(٩٦)، كما واكبت الثورة التي أعلنها مززدغ بغمارة عام ٥٥٩هـ/١١٦٤م، والذي تبعه خلق عظيم من الناس(٩٧)، مجاعة في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، وهو ما نجده مرة أخرى مع ثورة علودان الذي استغل انشغال الناصر بمواجهة أثار مجاعة فاس ليعلن تمرده على حكمه ببلاد غمارة(٩٨).

II- السلطة ودورها في تدبير الأزمات إبان الحكم الموحدي:

١- توفير المؤن وتقنين أسعارها:

من الواجبات التي تناط بالدولة إبان الأزمات، التدخل بما يخفف من حدتها على بعض الفئات(٩٩)، وذلك نابع من مبدأ الحفاظ على كيان الدولة السياسي والاجتماعي وشراء الولاءات، بغية تأكيد شرعية السلطة وأحقيتها

في ممارستها[١٠٠]، وتندرج هذه السياسة ضمن الوصايا السلطانية؛ حيث إنه **"إن كان زمن القحط ومحل ومجاعة... فترفق بهم - أي الرعية - في المخازن والمجابي، وتحسن لضعفائهم المحتاجين وتحابي...، فإذا كنت... على هذا الأسلوب جبلت على محبتك القلوب...، وفي ذلك الصلاح التام لدولتك والخير العام لرعيتك"**[١٠١]، ولذلك نجد الدولة تعمل على تسخير مختلف أجهزتها وآليات سلطتها من أجل توفير احتياجات الرعية في الأسواق، ومنع سلوكيات الاحتكار والمضاربة في زمن الأزمات، وإن تباينت فاعليتها بين مرحلتي القوة والضعف، ففي طور النفوذ والقوة قامت مؤسسة الحسبة بدورها في ضبط ومراقبة الأسواق، بالضرب على يد المحتكرين من التجار والمتلاعبين بالأسعار، حماية لضعاف الناس من تلك التجاوزات[١٠٢]؛ حيث أسندت الدولة هذه المهمة للمحتسب والذي تجلى دوره في ضبط النظام التجاري العام[١٠٣]، وإذا ما ضبطت لدى المحتكرين أو المضاربين سلعا يتوقف عليها المعيش اليومي تأمر الدولة من خلال المحتسب وأعوانه، بتطبيق إجراءات زجرية يطبعها التدرج في تنزيل العقوبات، منها أن تباع السلع التي تم ضبطها **"ويكون لهم رأس مالهم، والربح يتصدق به أدبا لهم وينهون على ذلك، فمن عاد ضرب وطيف به وسجن"**[١٠٤]. حيث إن تعاليم الشرع واضحة في هذا الصدد، فهي تمنع الاحتكار المضر بالناس، بدليل قول أحد الفقهاء: **"فأما من جلب طعاما، فإن شاء باعه وإن شاء احتكر، إلا إن نزل فادحة وأمر ضروري بالمسلمين، فيجب على من كان عنده ذلك أن يبيعه بسعر وقته، فإن لم يفعل أجبر على ذلك إحياء للهمم وإبقاء للرمق، وأما إن كان اشتراه من الأسواق واحتكر وأضر بالناس، فيشترك فيه الناس بالسعر الذي اشتراه به"**[١٠٥]

مثل هذه السلوكيات المضرة بفقراء الرعية فطن إليها ابن خلدون وصنفها ضمن **"التسلط على أموال الناس بشراء ما بأيديهم بأبخس الأثمان ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان... فتكسد الأسواق ويبطل معاش الرعايا"**[١٠٦]، ثم تمتد الإجراءات الاحترازية لتشمل تشديد الرقابة على المواد الاستهلاكية التي تشكل دعامة الأمن الغذائي، كأصناف الحبوب التي تبلغ أعلى مستويات غلائها إبان الشدائد[١٠٧].

كما لا نعدم بعض النصوص المصدرية التي تشهد على دور الدولة في توفير المؤن وتقنين أسعارها بغرض إسعاف المستضعفين والمساكين، وفي هذا الصدد أمر الخليفة المستنصر الموحدي إبان الغلاء المفرط الذي تزامن مع مجاعة ٦١٦هـ/١٢١٩م **"بفتح المخازن المعدة لاختزان الطعام، ففتحت للعامة وفرقت عليهم فذكر أنها كانت بثمن للأقوياء، وبغير ثمن للضعفاء"**[١٠٨]. الأمر الذي أحبط خطط المحتكرين للاستفادة من ظروف المسغبة وقلة المؤن والمضاربة في الأسعار.

ومنه يبدو جليا أن الإجراءات التي كان يتخذها الحكام من أجل ادخار الطعام في أوقات الرخاء هو إجراء احترازي هدفه مواجهة مثل هذه الظروف الطارئة بما لها من آثار قوية على الدولة والرعية.

كما عملت الدولة على سن مجموعة من الإجراءات بهدف الحد من خطورة الأزمات الغذائية، من خلال اقتراح مجموعة من الأساليب الكفيلة بتأمين الاحتياجات الاستهلاكية وتطبيق طرق علمية لحفظ المؤن الغذائية، وهذا هو القصد من تشييد مخازن الطعام ومستودعات الحبوب الرسمية في المغرب والأندلس إبان الحقبة الموحدية، فهي ضمانة تحقيق الأمن الغذائي واحتياجات السوق التجارية، في أزمنة السنين العجاف، هذه المهمة أي الإشراف على - **مخازن الطعام** - كانت تسند لعمال المدن

وولاة الأقاليم، مع إبقاء الإشراف العام بيد السلطة المركزية؛ حيث عرفت بـ **"مخازن السلطان"**[١٠٩]. ويدعى القائم بأمرها بـ **"صاحب الطاعم"**[١١٠]، أو **"خازن الطعام"**[١١١]، وفي هذا السياق قدم الخليفة المنصور الموحدي لها عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م، **"السيد أبو الحسن بن العم أبي حفص، على تلمسان، وتمكن يده في المخازن بوجوه الإمكان"**[١١٢].

وفي سياق متصل مرتبط قبل ذلك بخبر الحصار الذي تعرضت له إشبيلية عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م، أرسل الخليفة عبد المؤمن لما وصلته الأخبار، يوسف بن سليمان واليا على إشبيلية فسكن روعة أهلها بعدله واجتمع بناظر المخزن، واتخذا الإجراءات اللازمة للخروج من الأزمة حتى تم لهما ذلك[١١٣].

وبقدر ما أغدق الخلفاء على ولاة المخازن وتعهدوهم بالهبات والصلات والعطايا، بمقدر ما تشددوا في معاقبة المتهاونين منهم في تدبيرها، بواسطة رسائل تتضمن ضوابط التصرف في المستودعات الرسمية، مثلما جاء في رسالة العدل، التي بعث بها الخليفة عبد المؤمن الموحدي إلى ولاته جاء فيها: **"وإن ممن يسعى في نوع من أنواع الفساد... وتمتد أيديهم إلى المخازن هنالك فيعبثون فيها...ولا سبيل لكم أن تنفذوا منها قليلا ولا كثيرا إلا بعد استئذاننا وهذا أمر منا لكم"**[١١٤]. كما لم تتوان أجهزة الدولة في إنزال العقوبات بالمتهاونين من ولاة المستودعات، والنكاية في المتورطين منهم في نهبها، وفي هذا الصدد أورد ابن عذاري[١١٥]، أن الخليفة أبا يعقوب يوسف الموحدي، تفقد المخازن عام ٥٧٩هـ/١١٧٣م، وهو عام شدة وضيق، فلما فتحت بقصد دعم الفقراء وتكسير حاجز الغلاء، ثبت للمخزن تعرض بعضها للنهب والسرقة، فبالغ الخليفة في محاسبة الولاة والعمال المشرفين عليها، وزج بهم في السجن بعدما ستصفى أموالهم ومتعاهم[١١٦].

ومنه نلاحظ أن المغرب والأندلس عرف نظاما دقيقا في تدبير المخازن، وترشيد مؤنها تحسبا لحدوث أزمات طارئة، سيما وأن بلاد الأندلس مثالا **"غير مامونة لتردد القحوط فيها"**[١١٧]. لذلك نجد الموحدين مهتمين ببناء المخازن للادخار فبمجرد دخولهم فاس أمروا ببناء مخازن ومدخرات محصنة للحبوب[١١٨]، وفي هذا الصدد أشار أبو بكر بن زهر (ت ٥٩٦هـ/١٢٠٠م) على الخليفة المنصور الموحدي الذي عزم على بناء حصن إشبيلية باتخاذه في موقع ملائم **(على بعد ميلين منها لصحة الهواء... بحيث بقيت الحنطة فيه ثمانين سنة لم تتغير لصحته)**[١١٩].

ونظرا لأهمية المخازن فقد رصد الخليفة المنصور الموحدي لحراستها منذ عام ٥٨٧هـ/١١٩١م، **"رسوما مشاهرة ومسانهة في مخازن إشبيلية وسبتة على الاستمرار والدوام"**[١٢٠]. كما اهتم الموحدون بزيادة طاقتها الاستيعابية، وبناء عليه زودنا أحد الباحثين بوصف للمخازن إبان الحقبة الموحدية بقوله: **"تتراوح سعة المخازن الموحدية بين ٢٠٠٠ و٥٠٠٠ متر مكعب كلها مبنية بالحجارة، وتخصص الدولة لكل قبيلة حيزا معلوما بعد أن تسجل مخزونها لديه"**[١٢١].

ولعل الطريف الذي شكل إضافة فارقة في سلوك الادخار الرسمي لدى الموحدين، هو أنهم حددوا مسبقا مصادر تمويل مخازنهم بالأقوات حينما احتكروا محاصيل ثلثي الأراضي المزروعة حسبما يستفاد من إجراء التكسير العقاري الذي عملوا على سنه[١٢٢]، هذا الإجراء يدخل ضمن هيكلة الرسوم **"الجبائية العينية التي تقتطعها الدولة من مداخيل الفلاحين وتجار المواد الغذائية لتقوم بخزنها قصد التصرف فيها عند الحاجة، والراجح أن تكون دولة**

الموحدين هي أول دولة في الغرب الإسلامي تقوم بهذا الإجراء، وليس من الصدفة في شيء أن يطلق على الدولة لفظ المخزن بدءا من هذه الفترة"[١٢٣].

وفي الأندلس اهتم الموحدون بملء أهراء غرناطة حيث **"اتصل إخزان المخازن المذكورة من جميع الأقوات فيها من عام سبعة وخمسين إلى عام ثلاثة وستين وخمسمائة حتى فني وقسم على الموحدين في مواساتهم"**[١٢٤].

وقد سبقت الإشارة إلى أن الدولة الموحدية قد أحدثت في عهد قوتها جملة إجراءات زجرية للحد من أثر الأزمات، منها الحرص على محاربة الغش والفساد، كما قامت من خلال مؤسسة الحسبة بمراقبة الأنشطة التجارية بغرض محاربة الاحتكار والمضاربة بالأسعار[١٢٥]، وتماشيا مع ظروف الأزمة وواقعها فقد منع المحتسب الأفراد من شراء أكثر من حاجياتهم داخل الأسواق حتى لا تتاح الفرصة للمحتكرين لزيادة الأسعار[١٢٦].

ونظرا لحضور التراث الفقهي ضمن المنظومة العامة المغربية والأندلسية، فقد تم مراعاة التغيرات التي يعرفها الواقع المعيشي بذلك المجال، فتم صياغة إطار نظري وتشريعي هدفه التخفيف من آثار الأزمات على الفئات المتضررة، إذ نصت القاعدة الفقهية على إسقاط الكراء على الأراضي التي تسببت الآفات في إتلاف محاصيلها وقد نقل الونشريسي عن الباجي في ذلك فتوى مفادها: **"إذا اكترى الأرض على أن تزرع بطونا فزرع الأولى فأكلها الجراد، وكثر حتى خاف أن يزرع غيرها فيأكلها الجراد فلا كراء عليه إلا قدر ما أقام الزرع الأول"**[١٢٧]. وهذا بغض التخفيف من الثقل المالي على المتضررين من الأزمات[١٢٨].

٢- الدعم المالي والتآزر المعنوي:

حيث أعربت أجهزة الدولة عن تضامنها مع الرعية من خلال الإسهام في توفير الاحتياجات الأساسية، إما ماليا أو عينيا كشكل من أشكال الدعم الهادف إلى تحرير الأسعار. ومن بين الإجراءات التكافلية التي تحسب للخليفة الموحدي عبد المؤمن، أنه لما اشتد الضيق بالجيوش المرابطة بثغر غرناطة في العقد السادس من القرن ٦هـ/١٢م، اضطر إلى فتح مخازن الأقوات من سنة ٥٥٧هـ/١٢٦٢م، حتى ٥٦٣هـ/١١٦٨م، وقسمت على الموحدين في سياق **"الإحسان إليهم في أعطياتهم، فحييت بعد موتها بهذا النظر الجميل"**[١٢٩]، كما أنه مع محنة الزلازل التي ضربت مدينة بطليوس عام ٥٦٥هـ/١١٧٠م، والتي كان من آثارها السلبية ما كان، استغل الروم الأزمة وقاموا بضرب حصار حول المدينة، فتضامن مع المحاصرين سلطات وأهالي إشبيلية، وأرسلوا لهم ميرة موفورة من الطعام والآلات، فاجتمع في ذلك نحو خمسة آلاف دابة موفورة بما ذكر[١٣٠].

وكان للأزمات التي عرفها المجال في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن دور في إحصاء الفقراء والمساكين حتى يتسنى لهم الاستفادة من دعم الدولة وهباتها، ففي سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م، **"تصدق أمير المؤمنين على الضعفاء والوافدين الغرباء، وجاد عليهم بجوده كالسحابة الوطفاء، وحاز بصدقته الأجر من الله، وعند الناس بجميل الثناء، فمن رجل ترى بيده ثلاثين دينارا صدقة وآخر كذلك، إلى جميع من كتب اسمه ضمن الصنف المسكين الملحوظ بعين الدين"**[١٣١]، وللعبارة الأخيرة مغزى عميق يكشف عن حالات الضيق التي عانى منها من قطاع عريض من الناس، ذلك أن الفاقة شملت فئات جمة لم تستطع الدولة تلبية كل متطلباتها، فوضعت معايير دقيقة لانتقاء البؤساء بحيث لم يكن هؤلاء يتوقعون

التفاتة رسمية من هذا القبيل، يفهم ذلك من تعليق ابن صاحب الصلاة بقوله: **"وقد عم الفضل والإنعام ورحل عن الضعفاء الفقر والإعدام وتخيلوا الصدقة كأنها أحلام"**(١٣٢).

وبالمثل عانى سكان **"قونكة"** من أزمة غذائية بسبب الغارات المسيحية عليها سنة ٥٦٧هـ/١١٧٢م، وأخذت المجاعة تهدد ما يقرب ٧٠٠ إنسان من سكانها، فأعطى الخليفة أبو يعقوب يوسف أمره بإسعاف الناس فتوالت الهبات من الوزراء ووجوه الناس وأعيانهم فاجتمع لهم **"زرع وضرع... وتتابعت لهم من أعيان الناس الصدقات والأعطيات والهبات"**(١٣٣).

وإذا كانت مجاعة ٥٩١هـ/١١٧٥م، قد تزامنت مع حملة الأرك فإن حرص الخليفة المنصور الموحدي على أعمال البر والإحسان ظل حاضرا مع ذلك، ومما يعزز هذا الرأي ما أورده أحد المؤرخين من أن الخليفة المذكور تصدق قبل خروجه لملاقاة العدو **"بأربعين ألف دينار"**(١٣٤). والغالب على الظن أن هذا المبلغ قد وزع على الفقراء والمحتاجين حيث **"أخرج منها للعامة نحوا من نصفها"**(١٣٥). ومن ثم أدرك الخليفة أهمية الدعم في التخفيف من حدة الأزمات التي قد تعرفها المجتمعات بين الفينة والأخرى.

وبعد هزيمة العقاب توالت على المغرب والأندلس أزمات غذائية كان أشدها عليه **"المجاعة العظمى"** التي انطلقت بوادرها منذ ٦١٤هـ/١٢١٧م، وبلغت أوجها سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، إلى درجة أن نوائبها تركت بصمات واضحة في الذاكرة الجمعية، فأرخوا بها لأحداثهم حين دعوها **"سنة وقليل"**(١٣٦).

هذه الوضعية المأساوية أملت على الخليفة المستنصر الموحدي ركوب موجها، مبديا تضامنا فعليا مع المتضررين بهدف إرجاع هيبة الدولة التي تزعزعت بعد هزيمة العقاب(١٣٧)، فقام بالإحسان للرعية وإمدادهم بالمؤن الضرورية **"ذلك أنه لما علم ما حل بالمسلمين في بلاده من المجاهدة في غلاء السعر والشدة، أمر بفتح المخازن المعدة لاختزان الطعام، ففتحت للعامة وفرقت عليهم، فذكر أنها كانت بثمن للأقوياء وبغير ثمن للضعفاء، وبالجملة فإنه أصدق منها شيئا كثيرا، وأعطى من الأموال عطاء جزيلا فحسنت أحوال الناس بذلك"**(١٣٨).

كما حافظ آخر خلفاء الموحدين على سلوك الدعم، ففي الوقت الذي كان فيه الغلاء والجوع يفتك بالمغاربة في العقد الثاني من القرن ٧هـ/١٣م، اشتد الصراع حول السلطة بين أبي محمد بن عبد الله ابن الخليفة المنصور، وعمه أبي محمد عبد الواحد، وفي ظل هذه الظروف ظل التكافل حاضرا، بدا ذلك حين أمر الخليفة العادل بإخراج **"جملة وافرة من أمداد الزرع وعدد كبير من المال والكساء، وكان الزرع أحظاها لما كان عليه الوقت من الشدة والتناهي في غلاء الأسعار، وقد كان ذلك توالى على مراكش نحو سبعة أعوام حتى أثر ذلك في كثير من أهلها"**(١٣٩).

كما كان السبتيون في رهان دائم مع الأزمات الغذائية ذلك ما نصادفه في مجاعة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، التي لم تعرها الدولة الموحدية أي اهتمام لضعف قوتها وتبدد هيبتها وتقلص مجال سلطانها، فانقطع حبل الرعاية بين الدولة ورعاياها، وكانت سيرة فقيهها أبي القاسم العزفي في التكافل والتضامن المدخل لالتفاف السبتين حوله ودعوته لتدبير شؤون المدينة سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م(١٤٠).

ومنه فإن مظاهر التضامن المبني على المساعدات المالية والغذائية الهادفة إلى دعم القدرة الشرائية وتحرير الأسعار وإطعام الطعام، وتوزيع الهبات وتكسير طوق الاحتكار... كلها إجراءات تزامنت مع مراحل قوة الدولة أو مع

مراحل التنافس على الولاءات.

ولم تكن المساعدات المادية التي وفرتها الدولة، إبان هذه الأزمات خصوصا زمن القحط والمجاعات، هو السبيل الوحيد لتخفيف من معاناة الرعية، بل حرصت على إحداث نوع من الدعم النفسي بالأوبة إلى الله[١٤١]، قصد تحقيق توازن معنوي وإيماني في علاقة الإنسان بالمجال، تجلى ذلك في إعطاء الأمر من قبل السلطات السياسية العليا لتنظيم صلوات الاستسقاء، وفق طقوس يسعون من خلالها إلى تدعيم شرعية السلطة، وذلك بالحرص على إشراك القضاة والفقهاء والصلحاء فيها، مثل أبي يعقوب المبتلى وأبي الحسن البلنسي، وأبي يعقوب الحكيم[١٤٢]، وفي هذا الباب نجد أن القحط أصاب أهل مراكش قبيل نهاية القرن ٦هـ/١٢م، فأمر الخليفة يعقوب المنصور الموحدي **"الناس بالخروج حتى لم يبق أحد في المدينة وخرج إليها اليهود والنصارى والبهائم والنساء وأولادهم وبقوا مدة طويلة والقحط واقع بهم"**[١٤٣].

وهنا يمكن القول إنه إذا كان الرأسمال المادي الذي أنفقه الحكام في مراحل قوة سلطانهم هبة وصدقة، قد عزز مراكز نفوذهم داخل المجتمع، فإن الرأسمال المعنوي قصر بهم؛ لأن مداره على الصدق والنية والسعي فيما فيه مصالح الرعية، وفي غياب هذا الفهم يئس الخليفة المنصور من تكرار صلوات الاستسقاء، فأرسل في طلب أبي العباس السبتي، فمثل بين يديه فقال له: **"أما تنظر ما نحن فيه يا سيدي؟ فقال الشيخ: أنت أردت. فقال: وكيف الأمر؟ فقال له الشيخ: لو أردت صلاح المسلمين ينزل المطر الآن"**[١٤٤].

دعوة صريحة لم يحاب فيها السبتي الخليفة، بل أنكر عليه تقصيره في النظر في حاجات المساكين من الرعية، وما القحط الذي ألم بالبلاد إلا صورة من صور المسغبة التي تكون فيها الرعية في أمس الحاجة إلى التفاتة الحكام، أما الخلاص فيكمن في توسيع دائرة التضامن لتشمل كل مستضعف محتاج، وفق منهج قائم على الصدقة، فطلب الشيخ السبتي من الخليفة أن يفوض له الأمر ساعة واحدة، فاستجاب الخليفة المنصور لطلبه، وقال: **"فوضت لك الأمر في كل ما أردت، فأمر الوكلاء على بيت المال لأن يعطوه كل ما يحتاج الشيخ من الثياب والزرع، ولا يمنعه أحد في كل ما أراد فصار- رضي الله عنه - يفرق المال على الفقراء والمساكين والضعفاء ويقول: لا يرحم الله من عباده إلا الرحماء، اليوم تمطرون إن شاء الله[قال الراوي] فلما صلينا العشاء بعث الله ريحا باردة لا رعد ولا برق فيها فأمطرت بماء منهمر ثلاثة أيام بلياليها حتى أشفق الناس من الغرق والهدم"**[١٤٥]، ذلك أنه بانخراط الخليفة المنصور في المنهج التكافلي، الذي صاغه أبو العباس السبتي قصد تجاوز معضلات السنوات العجاف، صار تصدره للاستسقاء يكلل بالغيث ذلك "أن الناس كانوا محتاجين للمطر فقال أبو العباس ليعقوب بعد أن خرجوا للمصلى: استسق للمسلمين فإنه بذلك أمرت، فصلى يعقوب [المنصور الموحدي] ثم دعا فنزل المطر على القوم"[١٤٦].

وقبيل العقد الثاني من القرن ٧هـ/١٣م، كان **"بفاس غلاء السعر واشتدت المسغبة، وكان أهل فاس مع أميرهم يستسقون، فاتصل خبره أي - أبو الحسن الشاذلي - بهم ... فجاءوا إليه وسألوه أن يستسقي بهم فامتنع، وقال: "لعلكم أصبتم في هذه السنة بقدومنا عليكم..."** فذهب لزيارة شيخه عبد السلام بن مشيش... فعاتبه هذا الأخير على عزوفه عن التضامن مع الممحلين، فرجع إلى فاس والقحط متصل، فقال أبو الحسن **"فعند وصولي لفاس وبيت هناك وكان آخر الليل أزعجت وأبرقت ونزل غيث كأنه من أفواه القرب"**[١٤٧].

ومن خلال هذه النصوص نسجل مدى التضامن الروحي الذي اضطلعت به السلطة في علاقتها مع الرعية بهدف تجاوز آثار المساغب والأزمات، ولهذا اعترف الخلفاء بضرورة التنسيق مع الصلحاء ذوي الكرامات **"المسيطرة على الطبيعة وقوانينها"**[١٤٨]، والقصد تلميع صورة الدولة وإظهارها في صورة الملاذ التي تلجئ إليه الرعية في المحن والملمات.

خاتمة:

لقد تعدد الأزمات التي ألمت بالمجال المغربي والأندلسي إبان الحكم الموحدي؛ لتفرض حالة من الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، بكساد عرفه الإنتاج الفلاحي، تمخض عنه حالة من انعدام الأمن الغذائي، بسبب اختلال التوازن بين العرض والطلب، وما ينتج عنه من غلاء في سعر المؤن والغذاء، وانهيار في قدرة الشراء عند بعض الفئات، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى انتشار موجات من الإمحال وضعف الحال[١٤٩].

وتعد الحروب والصراعات من أهم المسببات المفسرة لهذا النوع من الأزمات، لما ينتج عنها من آثار على مستوى العمران، يضاف إليها دور العوامل الطبيعية باعتبارها من الحتميات التاريخية التي تعرفها المجتمعات، وتؤدي في نهايتها إلى اختلال التوازنات المجالية، مع ما لها من انعكاسات على نسق الحياة[١٥٠].

مما حتم على السلطة الزمنية تعبئة مختلف مواردها وأجهزتها للتخفيف من آثار الأزمات على الرعية، لأهداف كانت في الأساس سياسية أو تضامنية؛ حيث أن أوجه التكافل تجلت في تزويد الأسواق بالمؤن الضرورية، من خلال تقديمها للرعية بثمن أو بغير ثمن جبرا لآثار الضرر. زيد على ذلك محاولتها ضبط المعاملات التجارية والمالية، بغرض ضبط التجاوزات التي تشتد في مثل تلك الحالات، من قبيل الزيادة في السعر أو تعمد احتكار البضائع للمضاربة بها والاغتناء.

كما تم الحرص على إحداث نوع من التوازن الروحي من خلال الاهتمام بالدعم الإيماني بتنظيم صلوات الاستسقاء، والحرص فيها على إشراك الصلحاء والأولياء.

نهاية فهذه الأزمات وإن تباينت آثارها وأشكال التدخل لمواجهتها فإن محصلتها كانت هي الإخلال بالبنيات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية داخل المجال على حد سواء، فهي أزمات مؤذنة بالفناء، فعدت لذلك مؤشرا على نهاية الحكم والدول.

الحواشي

١- انظر كلمة الافتتاح، تدبير المغاربة لمواجهة الجوائح والأوبئة: ٦.

٢ - لمزيد من الاطلاع حول إنجازات رواد مجلة الحوليات في الميادين المذكورة، انظر كتاب جاك لوغوف، التاريخ الجديد.

٣ - انظر المقدمة: ٢٨٨.

٤ - قام بنشره محمد مصطفى زيادة، وجمال الدين الشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. ١٩٥٧م.

٥ - يعد محمد زنيبر تلك الآفات ضمن مسببات الأزمات لا ضمن نتائجها، ينظر ذلك ضمن مساهمته أزمة الحكم لموحدي في النصف الأول من القرن السابع الهجري (الثالث عشر للميلاد): ١١.

٦ - المغرب في العصر الموحدي: جدلية القوة والأزمة: ٧٥.

٧- لمحمد المغراوي، جذور للنشر. الرباط. ٢٠٠٦م.

٨ - للحسين بولقطيب، مطبعة النجاح الجديدة. منشورات الزمن. الدار البيضاء. ٢٠٠٢م.

٩ - لسميرة المزكلدي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. فاس. ظهر المهراز. ١٤٢٤-١٤٢٥هـ/٢٠٠٣-٢٠٠٤م.

١٠ - ضمن كتاب: الديمغرافية التاريخية في تونس والعالم العربي:٢٧-٤٨.

١١ - الجراد والجوع والأمراض في المغرب خلال العصور القديمة الوسطى:٢٨٥-٣٢٣.

١٢ -الكوارث الطبيعية والحتمية التاريخية:٦٧-٨٨.
١٣ - ينظر في ذلك الجداول المرفقة في آخر الدراسة المعنونة بـ الموحدون وأزمات المجتمع: ١٧٩-١٨٧.
١٤ - الموحدون وأزمات المجتمع: ١٥٥.
١٥ - أُنظر مناقشة محمد زنيبر لمصطلح الأزمة، ضمن مساهمته أزمة الحكم لموحدي: ١٠.
١٦ - لسان العرب: ٥٢٨/١.
١٧ - نفسه: ٧٣٧/٢.
١٨ - نفسه
١٩ - نفسه: ٤٩٨/٣.
٢٠ - المتوسط والعالم المتوسطي: ٩٤.
٢١ - أُنظر على سبيل المثال، خبر حصار الموحدين لمكناسة الزيتون، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون: ٩.
٢٢ - وصف إفريقيا: ٧٩/١-٨٠.
٢٣ - وصف إفريقيا: ٨١/١.
٢٤ - التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان: ١٠١.
٢٥ - البيان المغرب: ق م ٣٥٤.
٢٦ - المقدمة ٢٨٨.
٢٧ - البيان المغرب: ق م ١٢٦.
٢٨ - الحلل الموشية: ١٣٨.
٢٩ - نظم الجمان: ١٨٣.
٣٠ - البيان المغرب: ق م ٣٨.
٣١ - نفسه: ق م ٣٨-٣٩.
٣٢ - البيان المغرب: ق م ٣١٨-٣٢١.
٣٣ - نفسه: ق م٣٨٠. المعجب: ٢٠٢.
٣٤ - الأنيس المطرب: ٣٩٨.
٣٥ - المقدمة: ٢٨٨.
٣٦ - المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط: ٧٤.
٣٧ - المقدمة: ٢٨٨.
٣٨ - نفسه: ٢٧٢.
٣٩ - جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين: ٣١-٣٢.
٤٠ - البيان المغرب: ٤٠.
٤١ - كتاب الفلاحة:٥٨.
٤٢ - المن بالإمامة: ٣٩٧.
٤٣ - البيان المغرب: ق م ١١٠.
٤٤ - نفسه: ق م ١٢٦.
٤٥ - الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام: ٢٠٤/١٠.
٤٦ - الأنيس المطرب: ٣٣٥.
٤٧ - الذيل التكملة: س ٨/ ق٢/ ٤١١.
٤٨ - رسائل موحدية (مجموعة جديدة): ٣٠٢/١.
٤٩ -البيان المغرب: ق م ٢٦٦-٢٦٧.
٥٠ - نفسه: ٣٥/١.
٥١ - نفسه : ق م ٣٢٥.
٥٢ - الذخيرة السنية: ٥٤.
٥٣ - الأنيس المطرب: ٣٥٨.
٥٤ - جذوة الاقتباس: ٣٤/١.
٥٥ - نزهة المشتاق:٢٣٥/١.
٥٦ - الأنيس المطرب: ٣٥٩.
٥٧ - البيان المغرب: ق م ٢٥٧ -٢٥٨.
٥٨ - كتاب الاستبصار: ٢١٠.
٥٩ - البيان المعرب: ق م ٢٥٧-٢٥٨.
٦٠ - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى :٢٦٤/٢.
٦١ - البيان المغرب: ق م ٢٥٨.
٦٢ - المقدمة: ٢٧٢.
٦٣ - البيان المغرب: ق م ١٦.
٦٤ - ثقافة الطعام وتنوع خطاباتها في زمن المجاعات: ٤٥.
٦٥ - التجارة في المغرب الإسلامي:٣٠.
٦٦ - المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط:٢١٣، أُنظر أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى: ١٩٢.
٦٧ - أخبار المهدي بن تومرت: ٥٢-٥٣، البيان المغرب: ٩٩/٤.
٦٨ - البيان المغرب: ق م ٢٦-٣٧.
٦٩ - نهاية الأرب في فنون الأدب:٣٧٠/٢٢.
٧٠ - المجاعات والأوبئة بين الآفات السماوية والجائحة الإنسانية: ١٣٦.
٧١ - الروض الهتون: ٩
٧٢ - المن بالإمامة: ٥١١، ٥١٢.
٧٣ - التجارة والتجار في الأندلس: ٢٠٩.
٧٤ - نزهة المشتاق: ٢٢٨/١.
٧٥ - يقصد بالسلت الحنطة، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ق ١/ رقم ٦٠٧ هـ/٢٣٣.
٧٦ - البيان المغرب: ق م، ٢٦٦-٢٦٧.
٧٧ - الأنيس المطرب: ٣٥٨.
٧٨ - الذيل والتكملة: س ٨/ ق١/: ١٧٥.
٧٩ - اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني

الآثار: ٨٣.

٨٠ ـ البحر المتوسط والعالم المتوسطي، ٣٢.

٨١ ـ البيان المغرب: ١٦٦/٢.

٨٢ ـ النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي: ٢٩٥-٢٩٦.

٨٣ ـ المقدمة: ٣٧٨.

٨٤ ـ البيان المغرب: ق م ٣٢١.

٨٥ ـ نفسه: ٣٢٥.

٨٦ ـ نفسه: ٣٢٥.

٨٧ ـ البيان المغرب: ق م ٣٢١.

٨٨ ـ نفسه: ق م ٣٣٩.

٨٩ ـ الأنيس المطرب: ٣٦٢.

٩٠ ـ نفسه: ٨١.

٩١ ـ البيان المغرب: ق س ٣٥١.

٩٢ ـ اعتماد الحكام في مسائل الأحكام: ٤١٤، لأبي الحسن بن زكون، نقلا عن الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان: ١١٢.

٩٣ ـ المقدمة: ٣٧٨.

٩٤ ـ الذيل والتكملة: س٨/ق١/ ١٧٨. **"المرابعون: المتصرفون بأموالهم وأعمالهم في مستغلات الأملاك... وهم في عرف أهل مراكش المرابعون، لأنهم كانوا يعملون في ذلك أن يكون لهم الربع من فوائدها، او للمحاولين شراء غللها من زيتون وعنب... وغير ذلك ثم يبيعونها، وهم في عرف أهل مراكش أيضا القشاشون"**، الذيل والتكملة: ٨/ق١/١٧٧-١٧٨.

٩٥ ـ المقدمة: ٢٨٨.

٩٦ ـ آنظر البيان المغرب: ق م ٢٥-٣٠.

٩٧ ـ انظر الأنيس المطرب: ٢٧٤.

٩٨ ـ أنظر الأنيس المطرب: ٣٠٥.

٩٩ ـ أُنظر على سبيل المثال، الكوارث الطبيعية والأوبئة ومدى تأثيرها على العلاقة بين الرعية والسلطة السياسية: ٥٤، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين: ٦٨-٦٩.

١٠٠ ـ أُنظر بدائع السلك في طبائع الملك:٥٨٤، ٢٠١-٥٩٣، ، أُنظر أيضا الشهب اللامعة في السياسة النافعة: ١٢٣-١٣٥، ١٥٦-١٨٩، ١٦١-١٩٥.

١٠١ ـ واسطة السلوك في سياسة الملوك: ٨٧-٨٨.

١٠٢ ـ المعجب: ١٦٨.

١٠٣ ـ آداب الحسبة: ٨-١٠.

١٠٤ ـ المعيار المعرب: ٤٢٥/٦.

١٠٥ ـ تأليف في الفقه والبيوع، لمؤلف مجهول، مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، رقم ١٦٢٧، ص١، نقلا عن جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين: ٦٤.

١٠٦ ـ المقدمة: ٢٧٤،٢٧٥..

١٠٧ ـ البيان المغرب: ١٦٨/٢.

١٠٨ ـ نفسه: ق م ٢٦٧.

١٠٩ ـ البيان المغرب: ق م ٢٥٩.

١١٠ ـ نفسه: ق م ١٣٧.

١١١ ـ كتاب العبر: ٣٩٢/٧.

١١٢ ـ البيان المغرب: ق م ٢٠١.

١١٣ ـ نفسه: ق م ٣٨-٣٩.

١١٤ ـ الظهير من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية، نظم الجمان: ١٩٨-١٩٩.

١١٥ ـ البيان المغرب: ق م ١٥٨.

١١٦ ـ نفسه: ق م ١٥٨.

١١٧ ـ المقنع في علم الشروط: ٢٣٥.

١١٨ ـ جذوة الاقتباس: ٦٨/١.

١١٩ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ١١٢/٣.

١٢٠ ـ البيان المغرب: ق م ٢١٤.

121 - "Reconnaissances Archéologiques dans le Massif des Rehamna et la Bahira" , p.450-455.

١٢٢ ـ الأنيس المطرب: ٢٦٠. المجاعات والأوبئة بين الآفات السماوية والجائحة الإنسانية: ١٤٠.

١٢٣ ـ جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين:٦٩، المجاعات والأوبئة بين الآفات السماوية والجائحة الإنسانية: ١٤٠، أُنظر مفهوم المخزن، للطيب بياض، مجلة أمل، مج ١٥، ع٢٠٠٨/٣٣م.

١٢٤ ـ المن بالإمامة: ١٣٧.

١٢٥ ـ نفح الطيب: ٢١٨/١-٢١٩، المعيار المعرب: ٤٢٦/٦.

١٢٦ ـ الظاهرية والمالكية وأثرهما في المغرب والأندلس: ٢١٣.

١٢٧ ـ المعيار المعرب: ١٦٤/٨.

١٢٨ ـ أُنظر فتاوى ابن رشد: ١٢٨٤/٣، وثائق المرابطين والموحدين: ٢٦٤-٢٦٥، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط:١١١-١١٢.

١٢٩ ـ المن بالإمامة: ٢٠٢.

١٣٠ ـ البيان المغرب: ق م ١١٠.

١٣١ ـ المن بالإمامة: ٤٢١.

١٣٢ ـ المن بالإمامة: ٤٢١.

١٣٣ -نفسه: ٤٢١.
١٣٤ - المعجب: ٤١١.
١٣٥ - نفسه: ٤١١.
١٣٦ - البيان المغرب: ق م ٢٦٧.
١٣٧ - المغرب في العصر الموحدي: جدلية القوة والأزمة:٨٨.
١٣٨ -.البيان المغرب: ق م ٢٦٧.
١٣٩ - الذيل والتكملة: س٨/ق/١٧٥
١٤٠ - البيان المغرب: ق م٣٩٨-٣٩٩.
١٤١ - آنظر جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين: ٦٦.
١٤٢ - الموحدون وأزمات المجتمع: ١٧٤.
١٤٣ - الإعلام بمن حل مراكش: ٢٧١/١.
١٤٤ - نفسه: ٢٧١/١.
١٤٥ - الإعلام بمن حل مراكش: ٢٧١/١.
١٤٦ - نفسه: ٢٧٧/١.
١٤٧ - مناقب الشيخ الكامل والقطب الجامع سيدي عبد السلام بن مشيش: ٢٤٦-٢٤٧، لمؤلف مجهول نقلا عن الكوارث الطبيعية: ٢٦٥.
١٤٨ - العقلية الصوفية ونفسانية التصوف: ١٨٧-١٨٨.
١٤٩ - أُنظر على سبيل المثال، الكوارث الطبيعية والأوبئة ومدى تأثيرها على العلاقة بين الرعية والسلطة السياسية: ٦٢-٦٣.
١٥٠ - أُنظر أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى: ٢٠٢-٢٠٥.

لائحة المصادر والمراجع

المصادر:

١. أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، للبيدق. دار المنصور للطباعة والوراقة. الرباط. ١٩٧١م.
٢. **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، للسبتي. تح عبد الوهاب بن منصور. الرباط. ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٣. **آداب الحسبة**، للسقطي. نشر ليفي بروفنسال، وج. كولان. مطبعة إرنست لورو. باريس. ١٩٣١م.
٤. **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، للناصري. أبو العباس أحمد بن خالد. تح جعفر الناصري، ومحمد الناصري. دار الكتاب. الدار البيضاء. ١٩٥٤م.
٥. **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، للعباس بن إبراهيم السملالي. مراجعة عبد الوهاب بن منصور. المطبعة الملكية. الرباط. ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٦. **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، للمقريزي. قام بنشره محمد مصطفى زيادة، وجمال الدين الشيال. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. ١٩٥٧م.
٧. **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، لإبن أبي زرع. راجعه عبد الوهاب بن منصور. المطبعة الملكية. الرباط. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٨. **بدائع السلك في طبائع الملك**، لابن الأزرق، أبو عبد الله محمد بن علي بن قاسم الأصبحي. تح محمد بن عبد الكريم الجزائري. الدار العربية للكتاب. تونس – ليبيا. د ت.
٩. **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ق م. لابن عذاري. تح محمد إبراهيم الكتاني، وآخرون. دار الغرب الإسلامي بيروت – دار الثقافة. الدار البيضاء. ١٩٨٥م.
١٠. **التاريخ المنصوري**، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان. لأبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. تح. أبو العيد دودو. راجعه عدنان درويش. مطبعة الحجاز بدمشق. ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
١١. **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، لابن القاضي. دار المنصور للطباعة والوراقة. الرباط. ١٩٧٤م.
١٢. **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، لإبن السماك العاملي. تح سهيل زكار، وعبد القادر زمامة. الدار البيضاء. المغرب. ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
١٣. **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، لابن أبي زرع. دار المنصور للطباعة والوراقة. الرباط. ١٩٧٢م.
١٤. **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، لابن عبد الملك. تح. محمد بنشريفة. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية. الرباط. ١٩٨٤م.
١٥. **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، لابن غازي. دار الأمان. الرباط. ١٩٥٢م.
١٦. **الشهب اللامعة في السياسة النافعة**، لابن رضوان المالقي. تح. محمد حسن إسماعيل، وأحمد المزيدي.

دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٧. **عمدة الطبيب في معرفة النبات،** لأبو خير الإشبيلي. تح. محمد العربي الخطابي. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية. الرباط. ١٩٩٠م.

١٨. **عيون الأنباء في طبقات الأطباء،** لإبن أبي أصيبعة. دار الفكر. بيروت. ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

١٩. **فتاوى ابن رشد،** تح المختار بن الطاهر التليلي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

٢٠. **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار،** وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب. لمؤلف مجهول. نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد. دار النشر المغربية. الدار البيضاء. ١٩٨٥م.

٢١. **كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،** لابن خلدون. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢٢. **كتاب الفلاحة،** لابن بصال. تعليق خوسي مارية بييكروسا، ومحمد عزيمان. معهد مولاي الحسن. تطوان. ١٩٥٥م.

٢٣. **لسان العرب،** لابن منظور. دار الجيل –دار لسان العرب. قدم له عبد الله العلايلي. أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط. بيروت لبنان. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٤. **المعجب في تلخيص أخبار المغرب،** للمراكشي عبد الواحد. تح. محمد سعيد العريان. دار الكتاب. الدار البيضاء. ١٩٧٨م.

٢٥. **المعيار المعرب، والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب،** لأبي العباس للونشريسي. خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي. نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. ١٤٠١هـ. ١٩٨١م.

٢٦. **المقدمة،** لابن خلدون. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢٧. **المقنع في علم الشروط،**لابن مغيث الطليطلي. تح. فرانثيسكو خابيير أغيري شاداباً. المجلس الأعلى للأبحاث العلمية. معهد التعاون مع العالم العربي. مدريد. ١٩٩٤م.

٢٨. **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين،** لابن صاحب الصلاة. تح عبد الهادي التازي. دار الأندلس للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

٢٩. **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق،** لأبي عبد الله محمد بن محمد. المعروف بالشريف الإدريسي. مكتبة الثقافة الدينية. ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٣٠. **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان،** لان القطان. تح محمود علي مكي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. ١٩٩٠م.

٣١. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،** لأبي العباس المقري. تحقيق إحسان عباس. دار صادر. بيروت. ٣٨٨هـ.١٩٦٨م.

٣٢. **نهاية الأرب في فنون الأدب،** للنويري. تح. أحمد أبو ضيف. دار النشر المغربية. الدار البيضاء . د- ت.

٣٣. **واسطة السلوك في سياسة الملوك،** لأبو حمو موسى الزياني التلمساني. مطبعة الدولة التونسية. تونس. ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م.

٣٤. **وثائق المرابطين والموحدين،** لعبد الواحد المراكشي. تح حسين مؤنس. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. ١٩٩٧م.

٣٥. **وصف إفريقيا،** لحسن بن محمد المعروف بليون الأفريقي. ترجمه محمد حجي. ومحمد الأخضر. منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. ١٩٨٣م.

المراجع:

٣٦. **أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى خلال أواخر العصر الوسيط،** للهلالي، محمد ياسر. ضمن الأيام الوطنية العاشرة: المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب. الجديدة. الجمعية المغربية للبحث التاريخي. ٢٠٠٢م.

٣٧. **أزمة الحكم الموحدي في النصف الأول من القرن السابع الهجري (الثالث عشر للميلاد)،** لمحمد زنيبر. ضمن أعمال اليوم الدراسي: الإسطوغرافيا والأزمة: دراسات في الكتابة التاريخية والثقافية. الجمعية المغربية للبحث التاريخي. الجديدة. ١٩٨٩م.

٣٨. **التاريخ الجديد،** لجاك لوغوف. ترجمة محمد الظاهر المنصوري. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ٢٠٠٧م.

٣٩. **التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة،** لنجاة الباشا. منشورات الجامعة التونسية. تونس. ١٩٧٦م.

٤٠. **التجارة والتجار في الأندلس،** أوليفياريمي كونستيل. تعريب فيصل عبد الله. مكتبة العبيكان. ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م.

٤١. **تدبير المغاربة لمواجهة الجوائح والأوبئة،** لمحمد أبيهي. مجلة ليكسوس. ع ٢٠٢٠/٣٣م.

٤٢. **ثقافة الطعام وتنوع خطاباتها في زمن المجاعات، المغرب والأندلس من القرن ٦ حتى القرن ٨ هـ/١٢-١٤م نموذجا،** لإبراهيم القادري بوتشيش، عبد الهادي بياض. مجلة عصور الجديدة، ع٧-٨. ١٤٣٣هـ-١٤٣٤هـ هـ/٢٠١٢م/٢٠١٣م.

٤٣. **الجراد والجوع والأمراض في المغرب خلال العصور القديمة الوسطى،** محمد الأمين البزاز. مجلة المناهل. الرباط. ع ٦٩-٧٠. ٢٠٠٤م.

٤٤. **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين،** للحسين بولقطيب. منشورات الزمن. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. ١١٣٨هـ/٢٠٠٢م.

٤٥. **الديمغرافية التاريخية في تونس والعالم العربي،** لأحمد السعداوي. دار سراس للنشر. تونس. ١٩٩٣م.

٤٦. **رسائل موحدية (مجموعة جديدة)،** لأحمد عزاوي. منشورات جامعة ابن طفيل. القنيطرة. ١٩٩٥م.

٤٧. **الظاهرية والمالكية وأثرهما في المغرب والأندلس في عهد الموحدين،** لعبد الباقي السيد عبد الهادي. دار الآفاق العربية. القاهرة. ٢٠١٤م.

٤٨. **العقلية الصوفية ونفسانية التصوف،** لعلي زيعور. دار الطليعة. بيروت. ١٩٧٩م.

٤٩. **قراءة المدينة الموحدية والمرينية من خلال أزمة المجاعات والأوبئة،** لماجدة كريمي. ضمن الأيام الوطنية العاشرة: المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب. الجديدة. الجمعية المغربية للبحث التاريخي. ٢٠٠٢م.

٥٠. **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس ق ٦-١٢/٨-١٤،** لعبد الهادي بياض. دار الطليعة. بيروت. ٢٠٠٨م.

٥١. **الكوارث الطبيعية والأوبئة ومدى تأثيرها على العلاقة بين الرعية والسلطة السياسية خلال حكم المرابطين،** لعز الدين جسوس. ضمن الأيام الوطنية العاشرة: المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب. الجديدة. الجمعية المغربية للبحث التاريخي. ٢٠٠٢م.

٥٢. **الكوارث الطبيعية والحتمية التاريخية،** لمحمد الناصري. مجلة كلية الآداب العلوم الإنسانية. الرباط. ع ١٥. ١٩٨٩-١٩٩٠م.

٥٣. **المتوسط والعالم المتوسطي،** لفرناند بروديل. ترجمة عمر بن سالم. منشورات البحر الأبيض المتوسط. تونس. ١٩٩٠م.

٥٤. **المجاعات والأوبئة بالمغرب الوسيط (٥٣٤هـ-٧٧٦هـ/١١٣٩-١٣٧٥م،** لسميرة المزكلدي. جامعة سيدي محمد بن عبد الله. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. فاس. ظهر المهراز. ١٤٢٤-١٤٢٥هـ/٢٠٠٣-٢٠٠٤م.

٥٥. المجاعات والأوبئة بين الآفات السماوية والجائحة الإنسانية خلال العصر الوسيط شمال المغرب، للحسين أسكان. ضمن الأيام الوطنية العاشرة: المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب. الجديدة. الجمعية المغربية للبحث التاريخي. ٢٠٠٢م.

٥٦. **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(٥٨٨-٩٢٧هـ/١١٩٢-١٥٢٠م)،** لسمية مزدور. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. قسم التاريخ والآثار.جامعة منتوري. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. الجمهوية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. السنة الجامعية ١٤٢٩-١٤٣٠ هـ/٢٠٠٨-٢٠٠٩م.

٥٧. **المغرب في العصر الموحدي: جدلية القوة والأزمة،** لمحمد المغراوي. ضمن الأيام الوطنية العاشرة: المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب. الجمعية المغربية للبحث التاريخي. الجديدة. ٢٠٠٢م.

٥٨. **مفهوم المخزن،** للطيب بياض. مجلة أمل. مج ١٥. ع٢٠٠٨/٣٣م.

٥٩. **الموحدن وأزمات المجتمع،** لمحمد المغراوي. جذور للنشر. الرباط. ٢٠٠٦م.

٦٠. **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري،** لعز الدين موسى. دار الشروق. بيروت ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م.

61. Allain, "Reconnaissances Archéologiques dans le Massif des Rehamna et la Bahira " , Hésperis, 3-4 Trimestre, 1954.

إشكاليةُ التكرارِ في المعاجمِ الجغرافيةِ الناجمِ عنِ التَّصحيفِ والتحريفِ والترجمة
معجمُ البُلدانِ أُنموذجا

عبد الله يحيى السريحي
دائرة الثقافة والسياحة – أبو ظبي

أعكف منذ أكثر من عشر سنوات على تحقيق (معجم البلدان)، لياقوت الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦هـ، بتكليف من (دار الكتب الوطنية، بدائرة الثقافة والسياحة -أبو ظبي)، بدولة الإمارات العربية المتحدة، (المجمع الثقافي - سابقا)، وقد واجهني في تحقيقه صعوبات جمَّة، ومن بينها التكرار في أسماء المواضع والأعلام الجغرافية، فقد تكررت العشرات من (المواضع والأعلام الجغرافية) في المعجم، ومعرفة أمر هذا التكرار غير يسير على من يتصدى لتحقيق المعاجم الجغرافية مثل معجم البلدان؛ حيث تسبَّب للمحقق مزيدا من العنت والمشقة، وتشتيت الجهد والوقت في سبيل تلمس الصواب من بينها، ووقع التكرار في مواد المعجم نتيجة لعدد من الأسباب، من أبرزها:

- التصحيف والتحريف في المصادر القديمة التي نقل عنها المؤلف، ومن المعروف أن داء التصحيفِ والتحريفِ قد طـالَ معظمَ تراثِنا القديمِ بصورةٍ عامةٍ، نتيجةَ تشابهِ كثيرٍ منَ الحروفِ وتقاربِها في الرَّسْم، وقد نالَ أسماءَ المواضعِ والبلدانِ النصيب الأكبر مِن هذا الدّاء نظرا لغرابة تلك الأسماء وعُجمة بعضها.
- تكررت طائفة أخرى من أسماء الأماكن (الأعجمية) عند ترجمتها إلى اللغة العربية نتيجة الاختلاف في نطق بعض الحروف الأعجمية مثل الباء الفارسية المثلثة (پ)، البعض ينطقها باءً، وآخرون ينطقونها فاءً، وكذلك الـزاي المثلثة في الفارسية (ژ)، ونطقها في الفارسية مثل الحرف (J) في اللغة الإنجليزية، بعضهم يكتبها جيما كما تنطق في الفارسية، وبعضهم يظنها زايا فيكتبها بالزاي.
- وتكرر عدد غير قليل منها نتيجة لتقارب مخارج بعض الحروف في النطق، سواء في اللغة العربية أو اللغات الأخرى التي تُرجم

منها إلى العربية، مثل تقارب مخرج حرفي التاء والطاء، ومثل ذلك التقارب بين مخرج حرفي الجيم والشين، والثاء والذال، وغيرها؛ لأن بعضها دُوِّن عن طريق السماع.

وقسمت البحث إلى مقدمة موجزة، وتمهيد عرضت فيه لجهود العلماء في تراثنا العربي لمعالجة ظاهرة التصحيف والتحريف التي تـؤرق كل مشتغل بالتراث قديما وحديثا، ثم انتقلت إلى بيان التصحيف الواقع في المصنّفاتِ الجغرافية وأسبابها، وعرضت بعد ذلك لنماذج منَ (المواضعِ) التي تكررتْ في (معجمِ البلدان) نتيجةَ التصحيفِ، أو الترجمة من اللغات الأخرى، وذكـرت أمثلة لها من غير استقصاء؛ لأن استيفاءها يحتاج إلى مجلد، وختمت البحث ببيان مصادر البحث مرتبة على الحروف الهجائية.

تمهيد: أسـباب شيوع ظاهرة التصحيف والتحريف وجهود العلماء لمعالجتها:

ابتُلِيَ تراثُنا القديمُ بصورةٍ عامّة، والتراثُ الجغرافيُّ بصورةٍ خاصة، بِـدَاءِ التصحيفِ والتحريف، فلا يَـكـادُ كتابٌ منها يَسلمُ مِن ذلك، وتعددَتْ أسبابُ هذه الظاهرةِ وتنوَّعَت، واختلفَ المتقدّمونَ في تعريفِها، ولكنَّ المحقّقِينَ المعاصرِينَ أَجمعُوا على أنَّ التصحيفَ يَقعُ في النَّقْط؛ كتَحويلِ الياءِ إلى باءٍ أوِ الغَينِ إلى عَيْن، أمَّا التحريفُ فيَقعُ في شَكْلِ الحروفِ المتقاربة؛ كتحويلِ الواوِ إلى راءٍ أوِ الدّالِ إلى زاي، أوِ الدالِ إلى راء، أو الدَّالِ إلى لام، أوِ النُّونِ إلى زاي، وقدْ يكونُ التحريفُ بالزيادةِ في الكلامِ أوِ النقصِ منه، وقد يكونُ بتبديلِ بعضِ كلماتِهِ أو بحمله على غيرِ مُرادِه، فهو بهذا المفهومِ أعمُّ منَ التصحيف، وإنْ كانَ بعضُ القدماءِ لا يفرِّقُ بينَ التصحيفِ والتحريفِ ويجعلُهما مترادفَيْن، وقد فرّق ابنُ حَجَرٍ في شرحِ "نخبةِ الفكرِ في مصطلحِ أهلِ الأثرِ" بينَ النوعَيْنِ بشكلٍ واضحٍ ودقيق، قال[1]: "إنْ كانتِ المُخالفةُ بتَغْييرِ حرفٍ أَو حُروفٍ مَعَ بَقاءِ صورةِ الخَطِّ في السِّياقِ. فإنْ كانَ ذلك بالنِّسبةِ إلى النَّقْطِ؛ فالمُصَحَّفُ. وَإنْ كانَ بالنِّسبةِ إلى الشَّكْلِ؛ فالمُحَرَّفُ".

فهو يجعلُ التصحيفَ خاصًّا بالالتباسِ في نَقْطِ الحروفِ المتشابهةِ في الشَّكْلِ كالباءِ والتاءِ والثاء، والجيمِ والحاءِ والخاء، والدّالِ والذال، والراءِ والزاي، والسينِ والشين، والصادِ والضاد، والطاءِ والظاء. فإنَّ صورَ تلكَ الحروفِ واحدة، لا يتميّزُ بعضُها مِن بعضٍ في الكتابةِ الحديثةِ إلا في النَّقْطِ أو مقدارِه.

وأمّا التحريفُ فهو خاصٌ بتغييرِ شكلِ الحروفِ ورسمِها، كالدالِ والراء، والدالِ واللام، والنونِ والزاي في الحروفِ المتقاربةِ الصورة، والميمِ والقاف، واللامِ والعينِ في الحروفِ المتباعدةِ الصورة.

وأبرزُ أسبابِ ومسبِّباتِ التصحيفِ والتحريفِ كامنةٌ في طبيعةِ وبِنيةِ الخطِّ العربيِّ نتيجةَ تشابهِ كثيرٍ منَ الحروفِ وتقاربِها في الرَّسْم، ومنَ المعروفِ أنَّ حروفَ اللغةِ العربيةِ كانتْ في أولِ نشأتِها خاليةً منَ الإعجامِ (النَّقْطِ) إلى زمنِ عبدِ الملكِ بنِ مـروان، في الربعِ الأخيرِ منَ القرنِ الأولِ الهجريّ، ومعَ اندماجِ أبناءِ الشعوبِ الأخـرى التي دخلَها الإسـلامُ، في المجتمعِ العربيِّ، لم تَعُدِ العربيةُ وقفًا على العربِ وعلى سَليقتِهِمُ اللغوية، وبدأَ اللَّحْنُ والتصحيفُ يتسرّبانِ إلى اللغةِ العربية، ويَجدانِ طريقَهما إلى مختلفِ فئاتِ المجتمع، فأصبحتْ هذهِ الظاهرةُ تؤرِّقُ الغَيُورينَ على سلامةِ اللغة، ودفعَتْهم إلى البحثِ عن حلولٍ لحمايتِها وتحصينِها مِمّا يَشُوبُها، فقامَ

يَحْيى بنُ يَعْمَرَ ونصرُ بنُ عاصمٍ بوضعِ النِّقاطِ على الحروف، وتولَّى الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديُّ في العصرِ العباسيِّ الأول، نهايةَ القرنِ الثاني للهجرة، مَهمَّةَ تشكيلِ الحروف، ووَضَعَ لها ثمانيَ علاماتٍ: الفتحةَ، والكسرةَ، والضمةَ، والسكونَ، والشدَّةَ، والمدَّةَ، وعلامةَ الصِّلةِ والهمزة، واستقرَّتْ عليها الكتابةُ العربيةُ حتى يومِنا هذا، مما وفّرَ للكتابةِ العربيةِ قَدْرًا كبيرًا منَ الحمايةِ من خلالِ العنايةِ بالضبطِ والإعجام، وقلّلَ مِن حدوثِ التصحيفِ والتحريف، ولكنْ لم تختفِ تلك الظاهرة، فظهرَتِ الحاجةُ إلى التعويلِ على التلقِّي والأخذِ مِن أفواهِ العلماءِ بالروايةِ والإسناد، والقراءةِ أوِ السماع، حتى ينطقَها المتلقي ويكتبَها سليمةً منَ اللَّحنِ والتصحيف، وكانَ لعلماءِ الحديثِ الفضلُ في ترسيخِ دعائمِ هذا المنهج، وتابَعَهم فيه علماءُ اللغةِ والأدبِ وسائرِ فنونِ التراث[٢]. ولكنْ بعدَ القرنِ الرابعِ الهجريِّ قلَّ الاعتمادُ على الرواية، وبخاصةٍ في علومِ الأدبِ والفلكِ والجغرافيا...إلخ، وكان المُعوَّلُ في تأليفِها على النقلِ عنِ الكتبِ السابقة، كما كانتْ وسيلةُ انتشارِها بعدَ ذلكَ عن طريقِ الورّاقينَ (النُّسّاخ)، الذينَ تعاقبُوا مع مرورِ الزمنِ على نَسْخِها، وفيهِمُ الكثيرُ من الجَهَلة.

ولذلكَ حظيَتْ هذهِ الظاهرةُ باهتمامِ العلماءِ منذُ وقتٍ مبكر؛ حيثُ يتزامنُ تاريخُ شيوعِها وانتشارِها مع مرحلةِ الجمعِ والتدوينِ والتأليف، وقد وقعَ في شِباكِها جماعةٌ منَ الفُضلاءِ من أئمةِ اللغةِ وشيوخِ الحديثِ حتى قالَ الإمامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل[٣]: "وَمَنْ يَعْرَى مِنَ الْخَطَأِ وَالتَّصْحِيفِ؟"، فظهرَتْ مجموعةٌ منَ المؤلفاتِ لحمايةِ اللغةِ والتراثِ مِمّا عَلِقَ بِهما مِن هذهِ الآفة، ويمكنُ تقسيمُ هذه المصنّفاتِ إلى ثلاثِ مجموعات، لسهولةِ التمييزِ بينَها، وإنْ كانَتْ متداخلةً في مضمونِها؛ (وهي على سبيلِ المثالِ لا الحصر):

المجموعةُ الأولى: المصنفاتُ التي أُلِّفَتْ للتنبيهِ على الأخطاءِ التي أخذَتْ تتفشَّى في اللسانِ العربيّ، وتتسبّبُ في خروجِ الكلامِ الفصيحِ عن مَجْرى الصِّحَّةِ في بِنْيةِ الكلامِ أو تركيبِهِ أو إعرابِه، والناجمةِ عنِ التصحيفِ والتحريف، أو عنِ التغييرِ في أبنيةِ الكَلِمِ بالزِّيادةِ فيها أوِ النَّقْصِ مِنها، وفي تخفيفِ المشدّدِ وتشديدِ المخفَّف، وفي تحريكِ المسكَّن، وتسكينِ المحرَّك...إلخ. وكان الغرضَ من تأليفِها أنْ تُنبِّهَ على الخطأِ ثُمَّ ترشدَ إلى الصوابِ فيهِ حتى يقلعَ عنهُ مَن وقعَ فيه، وَلِيتّقيَهُ مَن يكونُ عُرْضةً لهُ قبلَ الوقوعِ في شَرَكِه[٤]، ومنها:

- لحنُ العَوَام، لأبي الحسنِ عليِّ بنِ حمزةَ بنِ عبدِ اللهِ الكسائيِّ المتوفَّى سنةَ ١٨٩هـ.
- ما تَلحنُ فيه العامّة، للفرّاء، المتوفى سنةَ ٢٠٧هـ؛ وآخرُ بالعنوانِ نفسِه: لأبي عُبيدةَ مَعمرِ بنِ المثنّى المتوفّى سنةَ ٢١٠هـ؛ ولأبي سعيدٍ عبدِ الملكِ بنِ قُريبٍ الأصمعيِّ المتوفى سنةَ ٢١٦هـ؛ ولأبي عثمانَ المازنيِّ، المتوفى سنةَ ٢٤٩هـ؛ ولأبي حاتمٍ السِّجستانيِّ، المتوفى سنةَ ٢٥٥هـ؛ ولأبي حنيفةَ الدَّيْنَوريِّ، المتوفى سنةَ ٢٨٢هـ؛ ولأبي العبّاسِ ثعلبٍ، المتوفى سنةَ ٢٩١هـ؛ ولأبي نصرٍ أحمدَ بنِ حاتمٍ الباهليِّ المتوفى سنةَ ٢٣١هـ.
- ما خالفتْ فيه العامةُ لغاتِ العرب، لأبي عبيدٍ القاسمِ بنِ سلَّامٍ الهَرَويِّ المتوفى سنةَ ٢٢٤هـ.
- إصلاحُ المنطق، لأبي يوسفَ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ السِّكِّيتِ المتوفى سنة ٢٤٤هـ.

- الحروفُ التي يُتكلمُ بها في غيرِ موضعِها، لابن السِّكِّيتِ أيضًا.
- النحوُ ومَن كان يَلحنُ من النَّحْويين، لأبي زيدٍ عمرَ بنِ شبةَ البصريِّ المتوفى سنة ٢٦٢هـ.
- إصلاحُ المنطق، لأبي عليٍّ أحمدَ بنِ جعفرٍ الدَّيْنَوريِّ، خَتَنِ ثعلب، المتوفى سنة ٢٨٩هـ.
- الفصيحُ أو اختيارُ فصيحِ الكلام، لأبي العبّاس ثعلبٍ، المتوفى سنة ٢٩١هـ.
- ما تَلحنُ فيه العامةُ لأبي الهيذامِ كلابِ بنِ حمزةَ العقيليِّ المتوفى سنة ٣٠٠هـ.
- تقويمُ اللسان، لأبي بكرٍ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ دريدٍ الأزديِّ المتوفى سنة ٣٢١هـ.
- التنبيهاتُ على أغاليطِ الرواة، لأبي القاسمِ عليِّ بنِ حمزةَ البصريِّ، المتوفى سنة ٣٧٥هـ.
- لحنُ العامةِ أو ما يَلحنُ فيه عوامُّ الأندلس، لأبي بكرٍ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ الزبيديِّ الإشبيليِّ المتوفى سنة ٣٧٩هـ.
- ما لحنَ فيهِ الخواصُّ منَ العلماء، لأبي أحمدَ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سعيدٍ العسكريِّ المتوفى سنة ٣٨٢هـ.

المجموعة الثانية: المصنّفاتُ التي أُلِّفَتْ للتنبيهِ على شيوعِ التصحيفِ والتحريف، وسُبُلِ الوقايةِ منه، ببيانِ "الألفاظِ والأسماءِ المُشْكِلةِ التي تتشابهُ في صورةِ الخطِّ فيقعُ فيها التصحيف، ويَدخلُها التحريف"[٥]، مع ذكرِ أمثلةٍ لهُ مِن كتبِ التراث، وأفردَهُ بالتصنيفِ جماعةٌ منَ الأئمة، ومنها:

- التنبيهُ على حدوثِ التصحيفِ لحمزةَ بنِ الحسنِ الأصفهانيِّ، المتوفى سنة ٣٦٠هـ.
- شرحُ ما يقعُ فيهِ التصحيفُ والتحريف، لأبي أحمدَ العسكريِّ، المتوفى سنة ٣٨٢هـ.
- تصحيفاتُ المحدثين = أخبارُ المصحّفينَ لأبي أحمدَ العسكريِّ أيضًا.
- كتابُ المصحفين، لأبي الحسنِ الدّارَقُطْنيّ، المتوفى سنة ٣٨٥هـ.
- إصلاحُ غلطِ المحدثين، لأبي سليمانَ الخطّابيِّ البُستيِّ، المتوفى سنة ٣٨٨هـ.
- تقييدُ المهمل، لأبي عليٍّ الحسينِ بنِ محمدِ ابنِ أحمدَ الغسّانيِّ، المتوفى سنة ٤٩٨هـ.
- مشارقُ الأنوارِ على صِحاحِ الآثار[٦]، للقاضي عِياضِ بنِ موسى اليَحصبيِّ، المتوفى سنة ٥٤٤هـ.
- التصحيفُ والتحريف، لأبي الفتحِ عثمانَ ابنِ عيسى البلطيِّ، المتوفى سنة ٦٠٠هـ.
- التصحيفُ والوهم، لأبي الحسنِ عليِّ ابنِ عثمانَ المعروفِ بابنِ التركمانيِّ الماردينيِّ، المتوفى سنة ٧٥٠هـ.
- تصحيحُ التصحيفِ وتحريرُ التحريف، لصلاحِ الدينِ الصفديِّ، المتوفى سنة ٧٦٤هـ.

المجموعة الثالثة: ويُطلقُ عليها "المؤتَلِفُ والمختَلِف"، أو "المشتبه"، وهي المصنّفاتُ التي أُلِّفَتْ لتلافي الوقوعِ في التحريفِ والتصحيفِ في أسماءِ الأعلامِ وأنسابِهم، وكُناهُم وألقابِهم، أو في أسماءِ المواضعِ والبلدان، لتشابهِ وتقاربِ تلك الأسماءِ أوِ الأنسابِ أوِ المواضعِ في الخطِّ، واختلافِها في الشَّكلِ والنَّقْطِ والنُّطق (اللفظ)، وضبطِ ما يشتبهُ منها، وهذه قائمةٌ بأبرزِ تلكَ

المصنّفات[٧]:

- المؤتلفُ والمختلفُ في أسماءِ القبائل، لأبي جعفرٍ محمدِ بنِ حبيبٍ البغداديِّ، المتوفى سنة ٢٤٥هـ.
- المؤتلفُ والمختلفُ في أسماءِ الشعراء: لأبي القاسمِ الحسنِ بنِ بِشْرٍ الآمـديِّ، المتوفى سنة ٣٧٠هـ.
- المؤتلفُ والمختلف: للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي، المتوفى سنة ٣٨٥هـ.
- المؤتلفُ والمختلف: لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الفرضي، المتوفى سنة ٤٠٣هـ. وله أيضا: مشتبه النسبة.
- المؤتلفُ والمختلفُ في أسماء نقلة الحديث وأسماء آبائهم وأجدادهم، لأبي محمد عبد الغني بن سعيد الأزدي، المتوفى سنة ٤٠٩هـ، وله أيضا: مشتبه النسبة.
- المؤتلفُ والمختلف: لأبي سعيدٍ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ الماليني، المتوفى سنة ٤١٢هـ.
- المؤتلفُ والمختلف: لأبي القاسمِ يَحيى ابنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ الحَضْرميِّ المصريِّ المعروفِ بابنِ الطحّان، المتوفى سنة ٤١٦هـ.
- الزياداتُ في كتابِ المؤتلفِ والمختلفِ لعبدِ الغنيّ: لأبي العباسِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ المعتزِّ المستغفريِّ، المتوفى سنة ٤٣٢هـ.
- المختلفُ والمؤتلفُ في الأسماء: لأبي حامدٍ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ ماما المامانيِّ الأصبهانيّ، المتوفى سنة ٤٣٦هـ.
- المعجمُ في مشتبهِ أسامِي المحدثين: لعبيدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ يوسفَ الهرويّ، كانَ حيًّا سنةَ ٤٣٨هـ. وله أيضًا: الزياداتُ الموجودةُ من كتابِ المعجمِ المشتبهِ في أسماءِ المحدثين.
- المؤتلفُ والمختلف: لأبي نصرٍ عُبيدِ اللهِ ابنِ سعيدِ بنِ حاتمِ بنِ أحمدَ الوائليِّ البكريِّ السّجزيّ، المتوفى سنة ٤٤٤هـ.
- المؤتلفُ والمختلف: لأبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ الطبسيِّ، المتوفى سنة ٤٤٩هـ.
- المؤتنفُ في تكملةِ المؤتلفِ والمختلفِ للدّارقُطنيّ: لأبي بكرٍ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبِ البغداديّ، المتوفى سنة ٤٦٣هـ. وهو ذيلٌ على كتابِ الدَّارقطني. وله أيضًا: تلخيصُ المتشابهِ في الرسم، وحمايةُ ما أشكلَ منهُ عن بوادرِ التصحيفِ والوهم.[٨]. وله أيضًا: تالي التلخيص.
- الإكمالُ في رفعِ عارضِ الارتيابِ عنِ المؤتلفِ والمختلفِ منَ الأسماءِ والكُنى والأنساب: لأبي نصرٍ عليِّ بنِ هبةِ اللهِ ابنِ جعفر، المعروفِ بالأميرِ ابن ماكولا، المتوفى نحوَ سنةِ ٤٧٥هـ. وله أيضًا: تهذيبُ مستمرِّ الأوهامِ على ذوي التمنِّي والأحلام.
- ما ائتلفَ واختلفَ من أسماءَ البِقاع، ويُسمّى أيضًا: "كتابَ الأمكنةِ والمياهِ والجبالِ والآثـارِ ونحوِها المذكورةِ في الأخبارِ والأشـعـار": لأبي الفتحِ نصرِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ إسماعيلَ بنِ عليٍّ الإسكندريِّ، المتوفى سنة ٥٦١هـ.
- ومختصرُهُ، لأبي موسى محمدِ بنِ عمرَ بنِ أحمدَ الأصفهانيِّ، المتوفى سنة ٥٨١هـ.
- الأماكن، أو "ما اتفقَ لفظهُ وافترقَ مُسمّاهُ

مقـالات

منَ الأمكنة": لأبي بكرٍ محمدِ بنِ موسى بنِ عثمانَ الحازميِّ، المتوفى سنة ٥٨٤هـ.

وتعتمدُ معالجةُ وطرقُ عرضِ وضبطِ المتشابه، أوِ المؤتلفِ والمختلف، على طريقةٍ متقاربةٍ في هذه المصنفات، ففي الأعلامِ مثلا[٩]: (بِشْر، وبُسْر، ونَشْر، ويَسَر، ويُسْر، ونَسْرٍ)، و[١٠] (زُبَيْر، وزَبِير، وزَنْبَر، وزِنِّيرَة، وزِنْبَرَة)، وفي المواضع[١١]: (بَعَال، وَبُعَال، وَثُعَال، وَبقَّال)، و(بَابِل، وَبَانُك، وَنَاتَل، وَثَافِل)، وفي القبائل[١٢]: (عَنَزَة، وعَيْرَة، وعُبْرَة، وغِيَرَة، وعِتْرَة)، ثم يُعْقِبُها المؤلفُ بالشّرحِ للتمييزِ بينَ كلٍّ منها.

ومعَ كَثرةِ هذهِ المصنّفاتِ إلّا أنَّ التصحيفَ ظلَّ وسيظلُّ مستمرًّا؛ لأنَّ أبرزَ أسبابِهِ ومسبِّباتِه، كما ذكرْنا سابقًا، كامنةٌ في طبيعةِ الخطِّ العربيِّ وبِنْيتِه نتيجةَ تشابهِ كثيرٍ منَ الحروفِ وتقاربِها في الرسمِ، وفي النطق.

التصحيفُ في المصنّفاتِ الجغرافية:

وإذا كان داءُ التصحيفِ والتحريفِ قد طالَ معظمَ تراثِنا القديمِ بصورةٍ عامةٍ فإنَّ أسماءَ المواضعِ والبلدانِ قد نالَهَا النصيبُ الأكبرُ مِن هذا الدّاء، قالَ الشيخُ حمدٌ الجاسر[١٣]: "وحَسْبُ الباحثِ أنْ يرجعَ إلى أيِّ كتابٍ مِنَ الكتبِ القديمةِ، ليرى العَجَبَ العُجابَ من بلايا التصحيفِ في أسماءِ المواضع، ففي "صحيحِ البخاريّ" -وهو أصحُّ كتابٍ بعدَ كتابِ الله- أشياءُ من ذلك يجدُها الباحثُ في اختلافِ رواةِ ذلك الكتابِ العظيمِ في اسمِ (العشيرة)[١٤] الموضعِ الَّذي غزاهُ المصطفى، عليهِ الصلاةُ والسلام، وفي غيرِهِ منَ المواضع، وفي كُتبِ سِيرتِهِ - صلى الله عليه وسلم - لابنِ إسحاق، بتهذيبِ ابنِ هشام، وطبقاتِ ابنِ سعد". ولهذا فقد نالَ مخطوطاتِ الأدبِ الجغرافيِّ المبكرةَ الكثيرُ منَ التحريفِ والتصحيفِ على يدِ النُّسَّاخِ الذينَ تَعاقبُوا على نسخِها، وتتلخّصُ أسبابُ التصحيفِ في تراثِنا الجغرافيِّ في ثلاثةِ أسباب:

الأول: يرجعُ الكثيرُ من أسبابِ التصحيفِ والتحريفِ في أسماءِ المواضعِ إلى طبيعةِ المادةِ الجغرافيةِ والفَلَكيةِ (القديمةِ) نفسِها، الّتي تُشكِّلُ معظمَ مادةِ معجمِ البلدان، حيثُ تَكثرُ فيها الأسماءُ الأعجمية (أسماءُ الأماكنِ والأشخاصِ وأسماءُ الشجرِ والنباتِ والمياهِ والموادّ...)، ولغرابةِ البعضِ الآخرِ منَ الأسماءِ ذاتِ الأصولِ العربية، فإذا لم يكنِ المؤلفُ أوِ الناسخُ على معرفةٍ بمثلِ هذهِ الأسماءِ فإنهُ لا يستطيعُ أنْ يجتهدَ في فهمِها وتصويبِها؛ لأنَّها لا تُدركُ بالفِطنةِ والذكاء، ولا تَخضعُ للتعليلِ ولا للقياس، ولا يمكنُ فَهْمُها من سياقِ النصِّ كسائرِ الألفاظ؛ إذ لا توجدُ قرينةٌ في الكلامِ توضّحُ الوجهَ الصحيحَ للكلمة[١٥].

الثاني: ارتباطُ أوائلِ المصنفاتِ الجغرافيةِ بالشِّعرِ وعلومِ اللغة: فقد كانَتِ البداياتُ الأولى للتأليفِ في علومِ الجغرافيا مرتبطةً مع مرحلةِ جمعِ الشعرِ والتأليفِ في علومِ اللغةِ والمعاجم، وكانَتِ المصنفاتُ الجغرافيةُ المبكرةُ تعالجُ المادةَ الجغرافيةَ معالجةً لغوية، ويغلبُ عليها الطابعُ اللُّغويُّ أكثرَ منَ الجانبِ الجغرافيّ، وأشهرُ المصنفينَ فيها كانوا مِن علماءِ اللغةِ وشرّاحِ الدواوين[١٦]؛ لأنَّ الشعرَ العربيَّ القديمَ وفّرَ مادةً غزيرةً عنِ (المواضعِ والبلدان)، فقد كانَ الشِّعْرُ في العصرِ الجاهليِّ هو فنَّ العربيةِ الأول؛ حيثُ كان بمنزلةِ الوثيقةِ التي يعتمدُ عليها في التعرُّفِ على أحوالِ العربِ وبيئاتِهم وثقافتِهم، ولهذا قيل: "الشعرُ ديوانُ العرب"، لاحتواءِ الشعرِ على الحنينِ إلى الأوطانِ ومراتعِ الصبا، والبكاءِ على الأطلالِ التي كانتْ تقطنُها الحبيبة،

وذِكْرِ مَفاخرِ القبيلةِ وأيامِها وانتصاراتِها على خصومِها، وكانتْ أغلبُ (الأيامِ) تُسمَّى بأسماءِ المواضعِ التي وقعَتْ بها، ومِنَ المعروفِ أنَّ الشعرَ العربيَّ كانَ يُتَداولُ عن طريقِ الروايةِ الشفويةِ لعدّةِ قرون.

وفي نهايةِ العصرِ الأمويِّ وبدايةِ العصرِ العباسيِّ انطلقتْ مرحلةُ جمعِ وتدوينِ التراثِ العربيِّ بصورةٍ عامةٍ والشعرِ بصورةٍ خاصة، من أفواهِ الرواة، وشهدَتِ الحواضرُ العربيةُ الكبرى في تلك الحِقْبةِ حركةً علميةً واسعةً في الجمعِ والتأليفِ في الفنونِ كافة، مثلُ: المعاجمِ، وعلمِ النحوِ، والصرف، والاشتقاقِ، والمعاني، والبديعِ، والبيانِ، والقراءاتِ، وأصولِ الدين، والناسخِ والمنسوخ، والفقهِ، وعلومِ الحديث... إلخ. ومعَ ظهورِ التدوينِ ظلَّ الرواةُ يتناقلونَ هذا التراثَ جيلًا بعدَ جيلٍ عن طريقِ الروايةِ الشفويةِ حتى انتهاءِ القرنِ الثالثِ الهجريّ، وبعضُها مِمّا جُمِعَ منْ أفواهِ الأعراب، واستمرَّ العلماءُ كذلك ينقلونَ عنهم مرويّاتِهم ويضمِّنُونها مؤلفاتِهم، وبخاصةٍ في الشعرِ وعلومِ اللغةِ وأخبارِ العربِ وأيامِهِمُ التي تكثرُ فيها أسماءُ (المواضع)، ونظرًا لطولِ المدةِ الزمنية، وبسببِ تعدّدِ الروايةِ والرواةِ واختلافِ مصادرِهم، وبعضُ هؤلاءِ الرواةِ لم يكنْ على درجةٍ من شدةِ التحرّي والضبطِ وقوةِ الحفظ، فقد حصلَ اختلافٌ في عددِ قصائدِ الشعرِ المجموع، واختلفوا أيضًا في عددِ الأبياتِ وترتيبِها، وفي روايةِ بعضِ ألفاظِها، وطالَ أسماءَ المواضعِ فيها الكثيرُ منَ التصحيفِ والتحريف، وبعضُ أنواعِ التحريفِ في أسماءِ المواضعِ كان متعمَّدًا من بعضِ الرواةِ لهوًى في أنفسِهم، كأنْ يستبدلَ الراوي (موضعًا) هجاهُ الشاعرُ في (قبيلةِ) الراوي، بموضعٍ آخرَ في قبيلةِ خصومِه، والعكسُ صحيحٌ أيضًا في حالةِ المدح.

الثالث: عندما بدأَتِ الرحلاتُ والمصنفاتُ الجغرافيةُ في الظهورِ في النصفِ الثاني منَ القرنِ الثالثِ الهجريِّ وما تلاهُ أُضيفَ للسببَيْنِ الرئيسيَّيْنِ السابقَيْنِ سببٌ ثالثٌ متمثلٌ في أخطاءِ الترجمةِ منَ اللغاتِ الأخرى التي اندمجَتْ شعوبُها في الحضارةِ العربية.

وكانَ ياقوتُ قد شكَا في مقدمةِ (معجمِ البلدانِ) من كثرةِ ما طَـرَأَ على المصادرِ الجغرافيةِ المبكرةِ منَ التحريفِ والتصحيف، قال: "أمّا الطبقةُ الأولى (أيْ طبقةُ أهلِ الأدب) فأسماءُ الأماكنِ في كُتبِهم مصحَّفةٌ مُغيَّرة، وفي حيِّزِ العدَمِ مُصَيَّرَة، قد مسخَها مَنْ نسَخَها". وقالَ عندَ ذكرِ أسبابِ وبواعثِ تأليفِ المعجم: "ثم قلَّما رأيتُ الكتبَ المتقنةَ الخطّ، المحتاطةَ لها بالضبطِ والنَّقْط، إلَّا وأسماءُ البِقاعِ فيها مهملةٌ أو محرَّفة، وعن مَحَجَّةِ الصّوابِ منعطفةٌ أو منحرفة، قد أهملَهُ كاتبُهُ جهلًا، وصوّرَهُ عنِ التَّوهُّمِ نقلًا". ولذلك أخذَ على عاتقِهِ تأليفَ معجمِهِ مراعيًا ضبطَ الأعلامِ الجغرافيةِ (بالتشكيلِ والحروف) لبيانِ نُطقِها الصحيح، تجنّبًا للخطأِ عندَ نطقِها أو كتابتِها، وكان قد سبقَهُ إلى تأليفِ مثلِ هذا العملِ الجغرافيِّ المعجميِّ أبو عُبيدٍ البَكْريُّ (المتوفى سنة ٤٨٧هـ)، قال البكريُّ عن دواعي تأليفِ المعجم[١٧]: "فإني لمّا رأيتُ ذلك قدِ استعجمَ على الناسِ أردتُ أنْ أُفْصحَ عنه، بأنْ أذكرَ كلَّ موضعٍ مُبَيّنَ البناء، مُعجمَ الحرف، حتى لا يُدرَكَ فيه لبسٌ ولا تحريف...ورُبَّ عِلْمٍ لم تُعجَمْ فُصولُه، فاستعجمَ محصولُه، فإنَّ صِحّةَ هذا لا تُدرَكُ بالفِطنةِ والذكاء، كما يُلْحَقُ المُشتَقُّ مِن سائرِ الأسماء".

ومـعَ حِـرصِ يـاقـوتَ على ضبطِ معجمِهِ ضبطًا دقيقًا إلّا أنه وقعَ فيهِ الكثيرُ منَ الأوهامِ والتصحيفِ والتحريفِ نتيجةً لاعتمادِهِ على عددٍ كبيرٍ منَ المصادرِ المبكرةِ التي كَثُرَ فيها التصحيف، ولستُ هنا بصددِ ذِكرِ ما وقعَ في المعجمِ مـنْ تصحيفٍ وتحريفٍ على سبيلِ الاستقصاءِ والحصر، فقد سبقَني الشيخُ حمدٌ الجاسرُ –رحمه الله– في التنبيهِ على بعضِها في كتابِهِ القيّم "التصحيفُ في أسماءِ المواضعِ الـواردةِ في الأخبارِ والأشعار"، وسأكتفي هنا بعرضِ (أمثلةٍ) لِما وقعَ في المعجم مِن تكرارٍ في أسماءِ المواضعِ والبلدانِ ناجم عن التصحيفِ في المصادرِ التي نقلَ عنها ياقوتُ، ونتجَ عنها التكرارُ في أسماءِ عددٍ غيرِ قليلٍ منَ (المواضعِ والأعـلامِ الجغرافيةِ) الـواردةِ في المعجم، فقد ينقلُ المؤلفُ اسمَ الموضعِ صحيحًا عن أحدِ المصادر، ومُصحَّفًا مَرَّةً أخرى عن مصدرٍ آخر، وقد يتكررُ التصحيفُ في اسمِ هذا الموضعِ في عدةِ مصادر، فيتكررُ ذِكرُهُ في (موادِّ) المعجمِ تبعًا لذلك، وقد يتنبّهُ ياقوتُ إلى تعدُّدِ الرواياتِ أو وقوعِ التصحيفِ في اسمِ الموضع، فإذا كان على غيرِ يقينٍ مِن صِحّةِ إحدى الروايتَيْنِ (أوِ الروايات) فإنهُ يَحرِصُ على إيرادِ اسمِ الموضعِ بعِدّةِ صورٍ كما وقفَ عليهِ في مَظانِّه، وينبّهُ على ذلك، وقد يُكرِّرُ ياقوتُ ذِكرَ الموضعِ مرةً أخرى (بالاسمِ المصحّفِ) ليؤكِّدَ على خطأِ راويهِ إذا كان على عِلمٍ بالاسمِ الصحيح.

ولكنَّ يـاقـوتَ في أحـيـانٍ كثيرةٍ لا يـدركُ التصحيفَ الواقعَ في المواضعِ (المكررة)، ولهُ عُذرُهُ في ذلك بسببِ كثرةِ المصادرِ التي نقلَ عنها، وتعدُّدِ فنونِها وموضوعاتِها، وتطاولِ المدةِ الزمنيةِ التي جمعَ فيها مادّةَ المعجم.

ومعرفةُ أمرِ التكرارِ الناجمِ عنِ التصحيفِ الذي لم يتنبّهْ له ياقوت، سبّبَ لي أثناءَ تحقيقِي للمعجمِ مزيدًا منَ العَنَتِ والمشقّة، وتشتُّتِ الجهدِ والوقتِ في سبيلِ الوقوفِ على حقيقتِها وتلمُّس الصوابِ مِن بينِه[١٨]؛ لأنَّ المنهجَ الذي اتخذتُهُ لنفسي في تحقيقِ المعجمِ لا يقتصرُ على تحرِّي الصوابِ في أسماءِ المواضعِ فحَسْب، بل يمتدُّ ليشملَ التعريفَ بالمكانِ وما آلَ إليه، وهل ما يزالُ باقيًا أو أنه قدِ اندثر، وهل ما يزالُ معروفًا باسمِه، أو أنَّ اسمَهُ قد تغيَّر، مع تحديدِ موقعِهِ على وجهِ الدِّقة.

ونجدُ في الكثيرِ منَ (المواضعِ) المكرّرةِ في المعجمِ أنَّ ترجمتَها والتعريفَ بها هو نفسُهُ في كلِّ المواضعِ في أغلبِ الحالات، وقد يختلفُ تحديدُ موقعِ تلكَ المواضعِ باختلافِ المصادرِ التي نقلَ عنها، وبخاصةٍ إذا كان مصدرُها الأصليُّ هو (الشعر)، فقد يَردُ (الشاهدُ) في أحدِ (الموادِّ) منسوبًا لقائلِهِ فيأتي تحديدُ موقعِهِ وفقًا لقبيلةِ الشاعرِ كما دَرَجَ عليهِ أغلبُ شرّاحِ الدواوينِ ومصنِّفِي المعاجمِ اللغوية، وقد يأتي الشاهدُ نفسُهُ (مصحّفًا) في مـادةٍ أخرى غيرَ منسوب، فيُكتفى بالقولِ إنه: (موضعٌ) أو (وادٍ) أو (جبلٌ) مِن غيرِ تحديدٍ لموضعِه.

ومِن أمثلةِ المواضعِ التي وقفَ لها ياقوتُ على روايتَيْنِ ولم يتبيّنْ له وجهُ الصّحةِ فيهِما:

- (أُطَايِف) بالطاءِ المهملة، و(أُظَايِف)، بالظاءِ المعجمة، قال ياقوتُ في تعريفِ الموضعِ الأول:

"أُطَـايِـف: بالضمّ، وبعدَ الألـفِ يـاءٌ وفاء: (موضعٌ) في قولِ المرقّش:

بـودِّك مـا قـومـي إذا مـا هجوتهم
إذا هبَّ في المشتاة ريـحُ أُطَايِفِ"

وقال في الثاني:

"أُظَايِفُ: بالضمّ، وبعدَ الألفِ ياءٌ مكسورةٌ وفاء، ويُروى بالفتح، وقد تقدّمَ في الهمزةِ والطاءِ المهملة، ولا أدري أأحدُهما تصحيفٌ أم هما موضعان؟ وبالظاءِ المعجمةِ ذكرَهُ نصر، وقال: هو جبلٌ فاردٌ لِطَيّئ...إلخ

- و(أَحْثَالُ)، بالحاءِ المهملة، و(أَخْثَال)، بالخاءِ المعجمة، قال في تعريفِ الموضعِ الأول:

"أَحْثَالُ: بعدَ الحاءِ الساكنةِ ثاءٌ مثلثةٌ وألفٌ ولام. قال أبو أحمدَ العسكريّ: يومُ ذي أحثال، بينَ تميم وبكرِ بنِ وائل، وهو الذي أُسِرَ فيهِ الحوفزانُ بنُ شريكٍ قاتلُ الملوكِ وسالبُها أنفسَها، أَسرَهُ حنظلةُ بنُ بشرِ بنِ عمرِو بنِ عدسِ بنِ زيدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ دارِم، وقيلَ فيه:

ونحن حفزْنا الحوفزانَ مكبّلا

يُساقُ كما ساقَ الأجيرُ الركائبا"

وقال في الثاني:

"أَخْثَالُ: بالثاءِ المثلثةِ كأنهُ جَمعُ خَثْلَةِ البَطْن: وهيَ ما بينَ السُّرّةِ والعانَة، وقال عرّام: الخَثْلَة، بالتحريك، مُستقرُّ الطعام، تكونُ للإنسانِ كالكَرِشِ للشَّاة. وقال الزمخشريُّ: هو وادٍ لبني أسدٍ يُقالُ له ذو أخثال، يُزرعُ فيهِ على طريقِ السافرةِ إلى البصرة، ومَن أقبلَ منها إلى الثَّعْلبية، وذُكرَ في شعرِ عنترةَ العبسيّ، وضبطَهُ أبو أحمدَ العسكريُّ بالحاءِ المهملة، وقد ذكرتُهُ قبل".

ويُلاحظُ فيها تباينٌ واختلافٌ في تعريفِها وتحديدِ موقعِها.

أمّا عندما يكونُ المؤلفُ متيقِّنًا مِن وقوعِ الخطأِ أوِ التصحيفِ في أحدِ الأسماءِ فإنهُ يَذكرُ الموضعَ في مكانِهِ الصحيح، ثم يذكرُهُ مرةً أخرى بالاسمِ المصحّفِ لينبِّهَ على الخطأِ الواقعِ في اسمِ ذلكَ الموضعِ في مصدرٍ منَ المصادر، أو حتى شيوعِ الخطأِ في التسميةِ على ألسنةِ العامة، ومن أمثلةِ ذلك:

- وقعَ التصحيفُ في اسمِ (أَذْرَمَة) عندَ أبي سعدٍ السَّمعانيِّ في كتابِ الأنساب، فأوردَهُ (آذَرْم)، بالمدّ، فقامَ ياقوتُ بذكرِ الموضعِ مرّتين: (أَذْرَمَة)، و(آذَرْم)، لينبّهَ على خطأِ السمعانيّ. قال ياقوتُ في رسمِ (أَذْرَمَة): "...وقد غَلِطَ الحافظُ أبو سعدٍ السمعانيُّ في ثلاثةِ مواضع: أحدُها أنه مدَّ الألفَ وهي غيرُ ممدودة، وحرّكَ الذالَ وهي ساكنة، وقال: هي مِن قُرى أذنة، وهي كما ذكرنا، قريةٌ بينَ النهرَيْن، وإنما غرَّهُ أنَّ أبا عبدِ الرحمنِ كان يُقالُ لهُ الأذنيُّ أيضًا، لمقامِهِ بأذنة".

- ووقعَ التصحيفُ في كتابِ الحازميِّ لمحلّةِ (نُوقَات) في سِجِستان، ووردَتْ في كتابِ الحازميِّ مصحّفةً: (بُوقَان)، بالباء، وآخرُها نون، فذكرَها ياقوتُ مرتين، برسمِها الصحيح، وبالرسمِ المصحّفِ لينبِّهَ على خطأِ الحازميّ. قال ياقوتُ في رسمِ (بُوقَان): "بُوقانُ: آخرُهُ نون، قال الحازميّ: بوقانُ، بالباء، من نواحي سِجستان، يُنسبُ إليها أبو عمرَ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ سليمانَ البوقانيُّ صاحبُ التصانيفِ المشهورة...قلت: وهذا غلطٌ لا ريبَ فيه، إنما هو النّوقاتيُّ بالنونِ في أولِهِ والتاءِ المثناةِ من فوقِها في آخرِه".

- وذكرَ ياقوتُ في رسمِ: (بُستانِ ابنِ مَعمَر) أنَّ العامةَ يسمُّونَهُ (بُستانَ ابنِ عامر)، وهو غلط، فأوردَهُ بالرسمَّيْنِ لينبِّهَ على هذا الغلط.

ومن أمثلةِ المواضعِ التي تكررَتْ في المعجمِ نتيجةَ التصحيفِ في المصادرِ السابقة، ولم يتنبَّهِ المؤلفُ لوقوعِ التصحيفِ فيها، ما يأتي:

- تصحّفَ أحدُ المواضعِ في حرفِ العينِ مرتين: (عَبْدَل)، بالباءِ بعدَ العَين، (وعَنْدَل)، بالنون، قال المؤلفُ في تعريفِ

الموضعِ الأول:

"عَبْدَلُ: اسمٌ لمدينةِ حضرموت".

وفي الثاني:

"عَنْدَلُ: مدينةٌ عظيمةٌ للصَّدفِ بحضرموت...".

والموضعانِ متفقانِ في الوصفِ والتعريف.

- وتصحّفَ أحدُ المواضعِ ثلاثَ مرات: (بَنْبَان)، و(بُنْيَان)، و(تَبْنَان). قال في تعريفِ الموضعِ الأول:

"بَنْبَانُ: بالفتحِ ثُمَّ السكون، وباءٍ أخرى، قال الحَفْصيّ: بَنْبَانُ مَنهلٌ باليمامةِ منَ الدَّهناءِ بهِ نخلٌ لبني سعد، وأنشد:

قد علمَتْ سعدٌ بأعلى بَنْبَان

يومَ الفريقِ والفتى رغمان

وقال في الثاني:

"بُنْيَانُ: بالضمّ، كذا وجدتُهُ في شعرِ الأعشى، ووجدتُهُ بخطِّ التِّرمذيِّ الذي نقلَهُ مِن خطِّ ثعلبٍ بَنيان، بالفتح، في قولِ الحطيئة:

مقيمٌ على بَنْيَانَ يَمْنَعُ ماءَهُ

وماءُ وَسِيعٍ ماءُ عَطْشَانَ مُرْمِلِ

وهي قريةٌ باليمامةِ يَنزِلُها بنو سعدِ بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميم".

وقال في الثالث:

"تَبْنَانُ: بسكونِ ثانيهِ، ونونَيْنِ بينَهُما ألفٌ. قال: تبنانُ وادٍ باليمامة".

ويُلاحظُ على المواضعِ الثلاثةِ اتفاقُها على أنها في (اليمامة)، ولكنَّها اختلفَتْ في وصفِ الموضع، فهو في الأولِ: (منهل)، وفي الثاني: (قرية)، وفي الثالثِ (واد).

- وتصحّفَ موضعٌ آخرُ ثلاثَ مراتٍ أيضًا: (رَنْيَة)، و(زَبْيَة)، و(زِيْنَة)، تبعًا للمصادرِ التي نقلَ عنها، قال المؤلفُ في تعريفِ الموضعِ الأول:

"رَنْيَةُ: بفتحِ أوّلِه، وسكونِ ثانيهِ ثمَّ ياءٍ مثناةٍ مِن تحتُ خفيفة...وهي قريةٌ مِن حدِّ تبالة، عن أبي الأشعثِ الكِنْديّ، يَسكُنُها بنو عقيل، وهي قربَ بيشةَ وتثليثَ ويبمبمَ وعقيقِ تمرة".

وقال في تعريفِ الموضعِ الثاني:

"زَبْيَةُ: بفتحِ أوّلِه، وسكونِ ثانيهِ ثمّ ياءٍ آخرَ الحروف، قال الواقديّ: تربةُ وزبيةُ واديانِ بعَجُزِ هوازن، وقال عرّام: وفي حدِّ تبالةَ قريةٌ يُقالُ لها زبيّة، كذا هو مضبوطٌ في كتابِ عرّام، وفيهِ عقيقُ تمرة".

وقال في تعريفِ الثالث:

"زِنْنَةُ: بكسرِ أوّلِهِ، وهمزِ ثانِيهِ، وتُكتبُ أيضًا (زِيْنَة)... قال الأصمعيّ: قال لي بعضُ بني عقيل: جميعُ خفاجةَ يجتمعونَ ببيشةَ وزينة، وهما واديان، أما بيشةُ فتصبُّ منَ اليمن، وأمّا زينةُ فتصبُّ منَ السَّراةِ سراةِ تهامة، وقال ابنُ الفقيه: طولُهُ عشرونَ يومًا في نجد، وأعلاهُ في السَّراة، ويُسمّى عقيقَ تمرة، وقيل: الذي فيه عقيقُ تمرةَ هو زبية، بتقديمِ الباءِ الموحدة، واللهُ أعلمُ بالصواب".

نماذجُ منَ (المواضعِ) التي تكررتْ في المعجمِ نتيجةَ التصحيفِ في الرواياتِ الواردةِ في الشعر:

أشرْنا سابقًا إلى أنَّ الشعرَ العربيَّ (الجاهليَّ والإسلاميَّ والأمويّ) تداولتْهُ الرواةُ (شفاهًا) عدةَ قرونٍ قبلَ عصرِ التدوين، فوقعَ فيهِ الكثيرُ منَ التصحيف، فتكررتْ أسماءُ بعضِ (المواضعِ) في المعجمِ نتيجةً لذلك، ومنها على سبيل المثال:

- في رسمِ (إضَـان) و(إطَـان)، استشهدَ المؤلفُ ببيتٍ لابنِ مقبلٍ نقلًا عن أبي عمرِو بنِ العلاءِ في الموضعَيْن، قال في الموضعِ الأول:

"إضان: بالكسر، ورواه أبو عمرو: (إطان)،

بالطاءِ المهملة، وأنشدَ على اللغتَينِ والروايتَينِ، قولَ ابنِ مقبل:

تَبصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ
تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ فَوْقَ إِضَانِ"

وقال في الموضعِ الثاني:

"إِطَان: بالكسرِ، وآخرُهُ نون، ويُروى بالضادِ المعجمة، وقد تقدّم، قالَ ابنُ مقبل:

تَبصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ
تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ فَوْقَ إِطَانِ"

- وفي (ثُجْل) و(ثِقْل)، أوردَ شاهدًا لهما من شعرِ زُهير. قال في الموضعِ الأول:

"ثُجْلٌ: بالضمّ، وآخرُهُ لامٌ، والثّجلة: عِظَمُ البطنِ وسَعَتُه، ورجلٌ أَثْجَلُ، والجمعُ ثُجُل: وهو اسمُ موضعٍ في شقِّ العالية، قال زهير:

صَحا القَلبُ عَن سَلْمى وقَدْ كَادَ لَا يسْلو
وأَقْفرَ من سَلْمى التّعانيقُ فالثُّجْلُ

وقال في الثاني:

"ثِقْل: بالكسر، واحدُ الأثقال: موضعٌ في قولِ زُهير:

صَحا القَلبُ عَن سَلْمى وقَدْ كَادَ لَا يسْلو
وأَقْفَرَ مِن سَلْمَى التَّعانِيقُ فالثِّقْلُ

ويُروى الثّجل، وقد مرّ.

قلت: ورواهُ المؤلفُ بهذهِ الروايةِ أيضًا في رسمِ (التَّعَانِيق).

- وفي رسمِ (أُرَابِن) استشهدَ المؤلفُ بشاهدٍ من شعرِ كُثَيِّرِ عَزَّة، وكرَّرَهُ في رسمِ (أُرَينَة):

قال في رسمِ (أُرَابِن):

"أُرَابِن: بالضمِّ، وبعدَ الألفِ باءٌ موحدةٌ مكسورةٌ، ثُمّ نون: اسمُ منزلٍ على نقا مبرك، ينحدرُ من جبلِ جُهينةَ على مَضيقِ الصفراءِ قربَ المدينة، قال كُثَيِّر:

وذَكَرْتُ عَزَّةَ إِذْ تُصَاقِبُ دَارُهَا
بِرُحَيِّبٍ فَأُرَابِنٍ فَنُخَالِ"

وقال في رسمِ (أُرَينَة):

"أُرَينَةُ: بالضمِّ ثم الفتحِ، وياءٍ ساكنةٍ، ونونٍ، وهاء: من نواحي المدينة، قال كثيّر:

وذَكَرْتُ عَزَّةَ إِذْ تُصَاقِبُ دَارُهَا
بِرُحَيِّبٍ فَأُرَيْنَةٍ فَنُخَالِ

ويُروى: (أرابن)، وقد ذُكِرَ قبل.

- وأوردَ المؤلفُ بيتَ ابنِ مُقبلٍ شاهدًا في ثلاثةِ مواضع: (أُسُن)، و(سُرُج)، و(سُرُع):

قال المؤلفُ في رسمِ (أُسُن):

"أُسُنٌ: بضمتَيْن: اسمُ وادٍ باليمن، وقيل: وادٍ في بلادِ بني العَجْلان (وذكرَ شاهدًا لهُ مِن شعرِ ابنِ مقبل). وقال نصر: أُسُنٌ وادٍ باليمن، وقيل: من أرضِ بني عامرٍ المتصلةِ باليمن، وقال ابنُ مُقبلٍ أيضًا:

قَالتْ سُلَيْمَى ببَطْنِ القاعِ من أُسُنٍ:
لا خَيْرَ في العَيْشِ بعدَ الشَّيْبِ والكِبَرِ"

وقال في (سُرُج):

"سُرُجٌ: بضمِّ أوّلِهِ وثانِيهِ، وآخرُهُ جيم، بلفظِ جمعِ سراج: ماءٌ لبني العجلانِ في واد، قال بعضُهم:

قَالتْ سُلَيْمَى ببَطْنِ القاعِ من سُرُجٍ:
لا خَيْرَ في العَيْشِ بعدَ الشَّيْبِ والكِبَرِ"

وفي (سُرُع):

"سُرُعُ: العينُ مهملة: مِن ناحيةِ البحرين، قالَهُ الحفصيُّ، وهو منَ اليسار: قالَ ابنُ مُقبل:

قَالتْ سُلَيْمَى ببَطْنِ القاعِ من سُرُعٍ:

لا خَيْرَ في العَيْشِ بعدَ الشَّيْبِ والكِبَرِ"

- وفي رسمِ (البَتَّتَانِ) و(اللُّبْنَتَانِ)، استشهدَ المؤلفُ ببيتٍ للأخطل، قال:

"البَتَّتَانِ: بالفتحِ، وتشديدِ النونِ، وتاءٍ فوقَها نقطتان: موضعٌ في قولِ الأخطل:

غــولُ الــنَّــجــاءِ كــأنّــهــا مــتــوجسٌ

بــالــبِــنَّــتَــيــنِ مــولَّــعٌ مــوْشــومُ"

وفي رسمِ (اللُّبْنَتَيْنِ) قال:

"اللُّبْنَتَانِ: تثنيةُ لُبْنة: موضعٌ في قولِ الأخطل:

غــولُ الــنــجــاءِ كــأنّــهــا مــتــوجسٌ

بــالــلّــبــنــتَــيــنِ مــولَّــعٌ مــوْشــومُ"

- وفي رسمِ (الرُّجيلاءِ) و(الصُّعَيْرَاءِ)، أوردَ لهما شاهدًا واحدًا، قال في الموضعِ الأول:

"الرُّجيلاءُ: تصغيرُ رَجْلاء: في بلادِ بني عامر، قال بعضُهم:

فـأصـبـحـتْ بِـصـعْـنـبـى مـنـهـا إبـلْ

وبـالـرّجـيـلاءِ لـهـا نـوح زجـلْ"

وكرَّرَهُ في رسمِ (صَعْنَبَى)، وفيهِ: (بالرّحيلاء)، بالحاءِ المهملةِ، مكانَ الجيمِ المعجمة، ولم يُفْرِدِ (الرّحيلاءَ) بالترجمة.

وفي رسمِ (الصُّعَيْرَاء)، قال: "الصُّعَيْرَاء: أرض تقابل صعنبى، وأنشد أبو زياد:

فـأصـبـحـتْ بِـصـعْـنـبـى مـنـهـا إبـلْ

وبـالـصّـعـيـراء لـهـا نـوح زجـلْ"

- وفي رسمِ (الـرّدِّ) و(الـرَّدْه)، أوردَ لهما شاهدًا من شعرِ بِشْرِ بنِ أبي خَازِم، قال في رسمِ (الرّدّ):

"الرّدّ: موضعٌ في قولِ بِشْر:

فَـمَـنْ يَـكُ سَـائِـلًا عَـنْ دارِ بِـشْـرٍ

فَـــإنَّ لَـــهُ بِـجَـنْـبِ الـــرَّدِّ بَـابَـا"

وفي رسمِ (الرّده):

"الـرَّدْهُ: بفتحِ أوّلِـهِ، وسكونِ ثانِيهِ، وهاءٍ خالصة، والرّدهة: نقرةٌ في صخرةٍ يَستنقعُ فيها الماء، والجمعُ رُدَه، بالضّمّ، ورُدَاه، وقال الخليل: الرّدهةُ شبهُ أَكَمةٍ كثيرةِ الحجارة: وهو موضعٌ في بلادِ قيسٍ دُفِنَ فيهِ بِشْرُ بنُ أبي خازِمٍ الشاعر، وقالَ وهو يجودُ بنفْسِه:

فَـمَـنْ يَـكُ سَـائِـلًا عَـنْ بَـيْـتِ بِـشْـرٍ

فَـــإنَّ لَـــهُ بِـجَـنْـبِ الـــرَّدْهِ بَـابَـا"

- وفي رسمِ (الرُّمَيْثَةِ) و(عُـوَارَة)، أوردَ لهما شاهدًا من شعرِ النابغة، قال في رسمِ (الرُّمَيْثَة):

"الرُّمَيْثَةُ: ماءٌ لبني سيَّارِ بنِ عمرو بنِ جابرٍ مِن بني مازنِ بنِ فَزارة، قال النابغة:

وعَلى الرُّمَيْثَةِ من سُكَينٍ حاضرٌ

وعلى الدُّثينَةِ مِنْ بني سَيَّارِ"

وكرَّرَهُ في (الدّثينةِ) بهذه الرواية، ولكنَّهُ في رسمِ (عُوَارَةَ) أوردَهُ بروايةٍ مختلفة، قال:

"عُـوَارَةُ: قال أبو عبيدة: عـوارةُ ماءٌ لبني سكين، وسكين: رهطٌ مِن فَزارةَ مِنهُمُ ابنُ هُبَيْرة، قال النابغة:

وَعَلَى عُـوَارَةَ مِنْ سُكَينٍ حَاضِرٌ

وعلى الدُّثينَةِ مِنْ بني سَيَّارِ"

- (بُرْقَةُ الأَجْداد) و(رَوْضَةُ الأجْداد)، قال المؤلفُ في الأولى:

"بُرْقَةُ الأَجْداد: جمعُ جدّ أبي الأبِ أو جمعُ جَدَد، وهي أرضٌ صلبة، قال بعضُهم:

لِـمَـنِ الـديـارُ بـبـرقـةِ الأجـدادِ
عفَّتْ سـواري رسمِها وعـوادي"

وفي الثانية:

"رَوْضَةُ الأجْداد: ببلاد غطفان، وهي جمع جدّ، وهي البئرُ الجيدةُ الموضعِ منَ الكلإ، قال ابنُ الأعرابيّ:

الأجدادُ حدائقُ تكونُ فيها المياهُ أو آبارٌ ممّا حوَتْ عاد، قال مِرداسُ بنُ حشيشٍ التغلبيّ:

إنَّ الـدّيـارَ بـروضـةِ الأجـدادِ
عـفّـتْ سـواري رسـمِـهـا وغـوادِ"

- وفي (بُرْقَةِ خاخٍ) و(رَوْضَةِ خاخ)، قالَ في المادةِ الأولى:

"بُرْقَةُ خاخٍ: قال الأحوصُ، وقيل السّريُّ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عتبةَ بنِ عويمرِ بنِ ساعدةَ الأنصاريّ:

ولـهـا مـربـعٌ بـبُـرْقَـةِ خـاخ
ومـصـيـفٌ بـالـقـصـرِ قـصـرِ قـبـاء"

وفي المادة الثانية:

"رَوْضَةُ خاخ: خاءٌ معجمةٌ مكرّرة، ذُكرَ في موضعِه، وشاهدُه:

ولـهـا مـربـعٌ بـروضـةِ خـاخ
ومـصـيـفٌ بـالـقـصـرِ قـصـرِ قـبـاء"

- وفي رسمِ (رُقُن) و(رُكُنٌ)، قال في المادةِ الأولى:

"رُقُن: موضعٌ في شعرِ زهير، قال:

كَـمْ للمَنازِلِ من عـامٍ ومِـنْ زَمَـنِ
لآلِ أَسْـمـاءَ بـالـقُـفَّـيْـنِ فـالـرُّقُـنِ"

وفي الثانية:

"رُكُنٌ: بضمتين: موضعٌ باليمامةِ في شعرِ زهير، وقد يُسكّنُ ثانِيه، قال زهير:

كَـمْ للمَنازِلِ من عـامٍ ومِـنْ زَمَـنِ
لآلِ أَسْـمـاءَ بـالـقُـفَّـيْـنِ فـالـرُّكُـنِ"

- وفي مادتَيْ (بُـرْقَـةِ نُعْمِيّ) و(رَوْضَـةِ نُعْمِيّ)، جاء في الأولى:

قال الزمخشريّ: وادٍ بتهامة، وقال النابغة:

أهاجَكَ، من أسماءَ، رَسمُ المَنازِلِ
بـبـرقـة نـعـمـيّ فـروض الأجـاول؟

وفي الثانية: رَوْضَـةِ نُعْمِيّ: قال النابغةُ الذبيانيّ:

أَشاقَكَ مِنْ سُعْداكَ مَغْنَى المنازلِ
بـروضَـة نُـعْـمِـيٍّ، فـذاتِ الأجـاوِل؟

وذكرَ الشاهدَ مرةً ثالثةً في رسمِ (نُعْمِيٍّ) بروايةٍ مختلفة: قال:

"نُعْمِيٌّ: بالضمِّ ثم السكون، وكسرِ الميم، وتشديدِ الياء: بُرقَةُ نُعْمِيّ، قال النابغةُ الذبياني:

أَشاقَكَ مِنْ سُعْداكَ مَغْنَى الْمعَاهِد
بِـبُـرْقَـةِ نُـعْـمِـيٍّ فـذاتِ الأَسـاوِدِ؟

أمّا التكرارُ الناجمُ عنِ التصحيفِ والتحريفِ في رسمِ الكلمةِ نتيجةَ أخطاءِ النُّساخِ في المصادرِ التي استقى منها ياقوتُ بعضَ موادِّ المعجم، فهي كثيرةٌ جدًّا، وسأكتفي بذكرِ (عناوينِ) بعضِها مِن غيرِ تعريف. على سبيلِ الاختصار:

- (أُتَيْدَة)← (أُثَيْدَة).
- (الأَبْوَاز)← (الإِيوَاز).
- (أَبَّا)← (أُنَّا).
- (الشَّفيقَةُ)← (الشَّقِيقَةُ).
- (دَبالَةُ)← (دَيَالَةُ) TM(ذَيالة).
- (رابِغَةُ) ← (الرّائِغَةُ) ← (الرّائِغَةُ).
- (سَفَارُ)← (شَفَارُ). (سَقَارُ).
- (سُمّى)← (سُمْي) ← (سُمْنٌ).

مقالات

- (الشِّبْق) ← (الشَّرْي) ← (الشِّيق).
- (شُفَارُ)← (شُقَارُ).
- (عَبْدَلُ)← (عَنْدَلُ).
- (العَرِقَةُ) ← (عَوْقَةُ) ← (غَرْقَةُ).

وهناكَ طائفةٌ أخرى من أسماءِ الأماكنِ ذاتِ الأصلِ الأعجميِّ تكرَّرتْ نتيجةَ الاختلافِ في نطقِ الكلمة، إما نتيجةً للاختلافِ في نطقِ بعضِ الحروفِ الأعجميةِ[١٩] مثلِ الباءِ الفارسيةِ المثلثةِ (پ)، البعضُ يَنطِقُها باءً، وآخرونَ يَنطِقُونها فاءً، مثل:

- (بَاز) ← (فَاز)
- (بُوشَنْج) ← (فُوشَنْج)
- (بارَاب) ← (فارَاب)
- (بَسَا) ← (فَسَا).
- (أَبْسُس) ←(أُفْسُوْس)

وكذلك الـزايُ المثلثةُ في الفارسيةِ (ژ)، ونطقُها في الفارسيةِ جيمًا مُعَطَّشةً مُرققة، مثلُ نطقِ الحرفِ (J) في اللغةِ الإنجليزية، بعضُهم يكتبُها جيمًا كما تُنطقُ في الفارسية، وبعضُهم يظنُّها زايًا فيكتبُها بالزاي، مثل:

(دارجين) ← (دارزيـن)، و(دركجين) ← (دركزين).

وتكرَّرَ البعضُ منها نتيجةَ الاختلافِ في ضبطِ الكلمةِ الأعجميةِ عندَ ترجمتِها إلى اللغةِ العربية، فقد تتحوّلُ الضمةُ إلى واوٍ (أوِ العكس)، مثل: (رُسْتَـقُـبـاذ)، (رُوسـتُـقْـبَـاذ)، و(خُـش)، (خُـوش)، والكسرةُ إلى ياء، مثل: (إسْفِذن)، و(إسْـفِـيـذَن)، والفتحةُ إلـى حـرفِ مـدّ، مثل: (بابليون)، و(وبليون)، (بَاعَقُوبا)، و(بَعْقُوبا). وقد تجتمعُ بعضُ هذه الإشكالاتِ في كلمةٍ واحدةٍ مثل: (أَشْفُورْقان)، و(شُبْرُقَان)، و(شَبُورْقان)، و(شُفْرُقَان)، وكلُّها لموضعٍ واحد.

وتكرَّرَ عددٌ غيرُ قليلٍ منها نتيجةً لتقاربِ مخارجِ بعضِ الحروفِ في النطق، سواءٌ في العربيةِ أم في اللغاتِ الأخرى التي تُرجِمَ منها إلى العربية، مثل: تقاربِ مخرجِ حرفَيِ التاءِ والطاء:

(إِتْفِيح) ← (إِطْفِيح)

- (تُخَارَان) ← (طَخَارَان)
- (تارم) ← (الطرم) ← (طرم).
- (تُرْشِيشُ) ← (طُرْشِيز) ← (طُرَيثِيثُ).

وقد يُضافُ لها تقاربُ حرفَيِ القافِ والغينِ في الكلمةِ الواحدة: (توقات) و(طوغات).

ومثلُ ذلكَ التقاربُ بينَ مخرجِ حرفَيِ الجيمِ والشينِ مثل: (أُرْجُذُونَة) و(أُرْشُذُونَة)، ومثلُها الجيمُ الفارسيةُ المثلثةُ (چ)، وتُنطقُ جيمًا مُعَطَّشة[٢٠]، ويمكنُ نطقُها كافًا مثل: (خَرْجُوش)، و(خَرْكُوش)، و(بَجِمْزَا)، و(بَكِمْزة)، (سَنْجَديزَه) و(سَنْكَديزَه)، أو شِينًا مثل: (جِيرْنَخْجير)، و(شِيرنَخَجِير)، (جهارسوج)، و(الشهارسوج)، وكذلكَ الحالُ في الثاءِ والذال: (ثُوذ)، و(ثُوث)، والسينِ والـصـاد: (سـاغـرج)، و(صـاغـرج)، (سانقان)، و(صـانـقـان)، (سكـاء) و(صكا)، (سنبو) و(صنبو).

وتكرَّرَتْ مواضعُ كثيرةٌ بزيادةِ الألفِ في أولِ الكلمةِ أو بحذفِها، فقد زِيـدَتِ الألـفُ في بعضِ أسماءِ المواضعِ ذاتِ الأصلِ الأعجميِّ (اليونانيّ)، كالأسماءِ التي كانَ الحرفُ الأولُ منها ساكنًا في اسمِها الأعجميِّ القديم، وقد تكونُ مُبدَلةً عَنِ الياءِ في بعضِ الأسماءِ الكنعانيةِ مثل: (يرحيو ← أريحا)، و(يثارب ← الأثارب)[٢١]، أو أنه جرى حذفُ حرفِ الألفِ والتخلصُ منهُ في مرحلةٍ لاحقةٍ في بعضِ اللهجاتِ العربيةِ للتسهيل، ومن أمثلةِ ذلك:

- (أَطْرَابُلُس) ← (طَرَابُلُس).

- (إِسْكِلْكَنْد) ← (سَكْلَكَنْد).
- (أَسيُوط) ← (سَيُوط).
- (أَبَرشَهْر) ← (بَرشَهْر).
- (أَطْرَابِنْش) ← (طَرَابُنش).
- (أَطْرُونُ) ← (الطَرُون).
- (أَسْفَاقُس) ← (سَفَاقُسُ).
- (أَرَنْبُويَه) ← (رَنْبُويَه).
- (أَفَامِيَة) ← (فَامِيَة).
- (أَفْشَنَة) ← (فَشَنَة).
- (أَفِيْق) ← (فيق)
- (أَرِيحا) ← (رِيحاء).
- (أَجْيَاد) ← (جِيَاد)
- (إِقْنَا) ← (قِنا)

وتكرّرَتْ عدةُ مواضعَ مبدوءةٌ بالهمزةِ الممدودةِ مع مثيلاتِها المبدوءةِ بالهمزة، وهذا غالبًا في أسماءِ المواضعِ ذاتِ الأصلِ الفارسيّ، ومِن ذلك:

- (آبَسْكُون) ← (أَبَسْكُون).
- (آذَرْمُ) ← (أَذْرَمَةُ).
- (آذِنَةُ) ← (أَذِنَةُ).
- (آزَاذْوَارُ) ← (أَزَاذْوَارُ).
- (آفَرَانُ) ← (أَفْرَانُ).
- (آغْزُونُ) ← (أَغْزُونُ).
- (آلُوسَةُ) ← (أَلُوسُ).
- (آمْدِيزَةُ) ← (أَمْدِيزَةُ).
- (آجِنْقَانُ) ← (أَجْنِقَانُ).

وتكرَّرَتْ بعضُ الأعلامِ الجغرافيةِ نتيجةً لتغيّرِ اسمِ المكان، فأصبحَ يُعرفُ باسمٍ آخر، فذكرَهُ المؤلفُ بالاسمَيْن، ومِن ذلك علىً سبيلِ المثال:

- (سَوْسَقَانُ) ← (شاوَشْكان).
- (الطَّوَاحين) ← (العَوْجَاء) ← (فُطْرُس) ← (نهرُ أبي فُطْرُس).
- (شِيقَر) ← (لارِدَةُ).

الخاتمة:

يتوجّبُ على من يتصدَّى لتحقيق كتب التراث العربي بعامة، والتراث الجغرافي بخاصة، أن يتذرّع بالصبر والأناة، وأن يكون على اطلاع واسع على موضوعات ومصادر ذلك العلم الذي يقع (المخطوط) في نطاقه، ومعرفة تسلسل مصادر مصنّفاته حتى يتمكن من معرفة مواطن التصحيف والتحريف وإصلاحها أو التنبيه عليها ليخرج الكتاب المحقَّق على الوجه الذي أرده مؤلفه.

الحواشي

(١) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، دمشق: مطبعة الصباح، ط٣، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص٩٦.

(٢) انظر: التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة بن الحسن الأصفهاني (المتوفى سنة ٣٦٠ هـ)، تحقيق محمد أسعد طلس، بيروت: دار صادر (مصورة عن طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق)، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص١-٣، وتصحيفات المحدثين، لأبي أحمد العسكري (المتوفى سنة ٣٨٢هـ)، تحقيق محمود أحمد ميرة: القاهرة؛ المطبعة العربية الحديثة، ١٤٠٢ه، ٢٤/١، وتصحيح التصحيف وتحرير التحريف، لصلاح الدين الصفدي، تحقيق السيد الشرقاوي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م، ص ٩، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١هـ)- تحقيق فؤاد علي منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، ٣٠٢/٢، ومدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، محمود محمد الطناحي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٥ه/١٩٨٤م، ص٢٩١.

(٣) معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، لابن الصلاح، (المتوفى سنة ٦٤٣هـ)، تحقيق نور الدين عتر، بيروت: دار الفكر المعاصر ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ٢٨٩.

(٤) معجم المعاجم، أحمد الشرقاوي إقبال، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ص٦٦-٧٤.

(٥) انظر: تصحيفات المحدثين، لأبي أحمد العسكري، ٤/١، والتنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة بن الحسن الأصفهاني ص١-٣، وتصحيح التصحيف وتحرير التحريف، لصلاح الدين الصفدي، ص ٤-٧، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي ٢٠٣/٢-٢٢٧.

(٦) أفرد القاضي عياض فصلا في كل باب من أبواب الكتاب -المرتب على حروف المعجم- للتصحيف والوهم الواقع في أسماء المواضع.

(٧) انظر قائمة بما أُلِّف في (المؤتلف والمختلف) في مقدمة تحقيق كتاب الإكمال لابن ماكولا، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، حيدر أباد (الهند): مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٦ه/١٩٦٦م، ٤/١-١٧، ومقدمة تحقيق، الفيصل في مشتبه النسبة للحازمي، تحقيق سعود بن عبد الله الديحاني، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٨ه/٢٠٠٧م، ١/٤٠-٤٢.

(٨) وله مختصر لعلاء الدين أبي الحسن علي بن عثمان المارديني، المتوفى سنة ٧٥٠ه.

(٩) المؤتلف والمختلف في أسماء نقلة الحديث وأسماء آبائهم وأجدادهم، لعبد الغني بن سعيد الأزدي، المتوفى سنة ٤٠٩هـ، تحقيق مثنى محمد حميد الشمري وقيس عبد إسماعيل التميمي، إشراف بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ٧٥/١.

(١٠) المؤتَلِف والمختَلِف، للدارقطني، المتوفى سنة ٣٨٥هـ، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ١١٣٩/٣.

(١١) الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي، المتوفى سنة ٥٨٤هـ، تحقيق حمد بن محمد الجاسر، الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥هـ، ٨٩/١، ١٣٠.

(١٢) مختلف القبائل ومؤتلفها، لابن حبيب بن أمية البغدادي، المتوفى سنة ٢٤٥هـ، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتب الإسلامية (د.ت)، ٥٤-٥٦.

(١٣) تقديم الشيخ حمد الجاسر لبحث العلامة محمود شاكر بعنوان: "قُرَى عَرَبِيَّةٌ" في: مجلة العرب، الجزء التاسع - السنة الثانية، ربيع الأول ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م. ص ٧٦٩.

(١٤) ورد اسم الموضع في صحيح البخاري بثلاث روايات: العُشَيْرَةِ، والعُسَيْرَةِ، والعُشَيْر. انظر: صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دمشق: دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ٧١/٥، (٣٩٤٥).

(١٥) انظر: المؤتلف والمختلف في أسماء نقلة الحديث وأسماء آبائهم وأجدادهم، لعبد الغني بن سعيد الأزدي، ٤٩/١؛ ومعجم ما استعجم، لأبي عبيد البكري، تحقيق عبد الله الغنيم وعبد العزيز المانع، الرياض: مركز حمد الجاسر، وكرسي الدكتور عبدالعزيز المانع، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م، ٢/١، والتصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار، للشيخ حمد الجاسر، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ٢٢-٢٣.

(١٦) من هؤلاء العلماء: هشام بن محمد الكلبي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ)، والنضر بن شميل، (المتوفى سنة ٢٠٤هـ)، وأبو عمرو الشيباني، (المتوفى سنة ٢٠٦هـ)، وأبو زيد الأنصاري (المتوفى سنة ٢١٥هـ)، والأصمعي (المتوفى سنة ٢١٦هـ)، وسعدان بن المبارك، أبو عثمان الضرير النحوي الراوية، (المتوفى سنة ٢٢٠هـ)، والجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥هـ)، وابن حَمْدُون النديم، (المتوفى نحو سنة ٢٥٥هـ)، ومحمد بن إدريس بن أبي حفصة اليمامي (معاصر للمتوكل)، وأبو سعيد السكري (المتوفى سنة ٢٧٥هـ)، وعزَّام بن الأصبغ السلمي (المتوفى سنة ٢٧٥هـ)، وأبو سعيد السيرافي (المتوفى سنة ٣٦٨هـ).

(١٧) معجم ما استعجم، لأبي عبيد البكري، ٢/١.

(١٨) تكفي شهادة الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥هـ) للدلالة

على معاناة المحققين الجادين الذين يعملون في تحقيق الكتب التراثية التي يكثر فيها التصحيف والتحريف، قال الجاحظ: "ولربَّما أراد مؤلِّف الكتاب أن يصلِح تصحيفًا أو كلمةً ساقطة، فيكون إنشاء عشرِ ورقاتٍ من حرِّ اللفظ وشريفِ المعاني، أيسَر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يردَّه إلى موضعه من اتِّصال الكلام". انظر: الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م)، ٧٩/١.

(١٩) اللبس أو الإشكال في ترجمة الكلمات التي تحتوي على بعض الأحرف في اللغات الأجنبية التي ليس لها نظائر في اللغة العربية، أو التي يتأثر نطقها باللهجات المحلية للبلدان العربية، شائع لدى المترجمين العرب قديما وحديثا، ولذلك تختلف صور كتابتها عند ترجمتها إلى اللغة العربية، ومن ذلك على سبيل المثال عنوان موقع البحث الشهير(Google) وقفتُ له على عدة صور في الترجمة: جوجل، قوقل، غوغل، گوگل، ڤوڤل (ينطق هذا الحرف قافا في تونس)، كُوكُل (ينطق هذا الحرف كافا في المغرب)، چوچل.

(٢٠) وكذلك الحال في بعض اللهجات العربية تلفظ الجيم شِيناً أو كافاً، والعكس أيضا. ففي اللهجة العراقية قد تقلب الكاف (جيماً معطشة) مثل قولهم: أحبّك (أحبّچ)، وفي اللهجة الصنعانية تلفظ الكاف شِيناً مثل: أحبّك (أحبِّشْ).

(٢١) انظر: تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية، عبد الله الحلو، بيروت: بيسان للنشر، ١٩٩٩م، ص٦٨-٦٩، ٧٤.

قائمة المصادر والمراجع مرتبة على الحروف الهجائية

- إصلاحُ المنطق، لأبي يوسفَ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ السِّكِّيتِ المتوفى سنة ٢٤٤هـ، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت: مكتبة لبنان، ٢٠٠٦م.
- الإكمالُ في رفعِ عارضِ الارتيابِ عنِ المؤتلفِ والمختلفِ منَ الأسماءِ والكُنى والأنساب: لأبي نصرٍ عليِّ بنِ هبةِ اللهِ بنِ جعفر، المعروفِ بالأميرِ ابن ماكولا، المتوفى نحوَ سنةِ ٤٧٥هـ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، حيدر أباد (الهند): مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- الأماكن، أو "ما اتفقَ لفظهُ وافترقَ مُسمّاهُ منَ الأمكنة": لأبي بكرٍ محمدِ بنِ موسى بنِ عثمانَ الحازميِّ، المتوفى سنة ٥٨٤هـ، تحقيق حمد الجاسر، الرياض: دار اليمامة للنشر، ١٤١٥هـ.
- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، للمستشرق الروسي كراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٧م.
- تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية، عبد الله الحلو، بيروت: بيسان للنشر، ١٩٩٩م.
- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، لصلاح الدين الصفدي، المتوفى سنة ٧٦٤، تحقيق السيد الشرقاوي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار، للشيخ حمد الجاسر، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- تصحيفات المحدثين، لأبي أحمد العسكري، المتوفى سنة ٣٨٢هـ، تحقيق محمود أحمد ميرة: القاهرة؛ المطبعة العربية الحديثة، ١٤٠٢هـ.
- تقييدُ المهمل وتمييز المشكل لمن ذكر اسمه من الأسماء والكنى والأنساب في الصحيحين البخاري ومسلم من الرواة، لأبي عليٍّ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ الغسّانيِّ، المتوفى سنة ٤٩٨هـ، تحقيق كامل عويضة، الرياض: مكتبة مصطفى نزار الباز، ٢٠٠١م.
- تلخيصُ المتشابهِ في الرسم وحمايةُ ما أشكلَ منهُ عن بوادرِ التصحيفِ والوهم، لأبي بكرٍ أحمدَ ابنِ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبِ البغداديّ، المتوفى سنة ٤٦٣هـ، تحقيق سكينة الشهابي، دمشق : طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٥م.

- التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة بن الحسن الأصفهاني، المتوفى سنة ٣٦٠ هـ، تحقيق محمد أسعد طلس، بيروت: دار صادر (مصورة عن طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق)، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- شرحُ ما يقعُ فيهِ التصحيفُ والتحريف، لأبي أحمدَ العسكريِّ، المتوفى سنة ٣٨٢هـ، تحقيق السيد محمد يوسف؛ راجعه أحمد راتب النفاخ، دمشق: جامعة دمشق، ١٩٨١م.
- صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دمشق: دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- الفيصل في مشتبه النسبة للحازمي، تحقيق سعود بن عبد الله الديحاني، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- ما ائتلفَ واختلفَ من أسماءَ البِقاع، ويُسمّى أيضًا: "كتاب الأمكنةِ والمياهِ والجبالِ والآثارِ ونحوِها المذكورةِ في الأخبارِ والأشعار": لأبي الفتحِ نصرِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ إسماعيلَ بنِ عليٍّ الإسكندريِّ، المتوفى سنة ٥٦١هـ، تحقيق حمد الجاسر، الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- مختلف القبائل ومؤتلفها، لابن حبيب بن أمية البغدادي، المتوفى سنة ٢٤٥هـ، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتب الإسلامية، (د.ت).
- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، محمود محمد الطناحي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق فؤاد علي منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
- مشارقُ الأنوارِ على صِحاحِ الآثار، للقاضي عِياضِ بنِ موسى اليَحصبيِّ، المتوفى سنة ٥٤٤هـ، تونس : المكتبة العتيقة، ١٩٧٧م.
- مشتبه النسبة، لأبي محمد عبد الغني بن سعيد الأزدي، المتوفى سنة ٤٠٩ هـ، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٣٦هـ /٢٠١٥م.
- معجم المعاجم، أحمد الشرقاوي إقبال، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
- معجم ما استعجم، لأبي عبيد البكري، تحقيق عبد الله الغنيم وعبد العزيز المانع، الرياض: مركز حمد الجاسر، وكرسي الدكتور عبد العزيز المانع، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.
- معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، لابن الصلاح، المتوفى سنة ٦٤٣هـ، تحقيق نور الدين عتر، بيروت: دار الفكر المعاصر ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- المؤتلفُ والمختلفُ في أسماءِ الشعراء، لأبي القاسمِ الحسنِ بنِ بِشْرٍ الآمـديِّ، المتوفى سنة ٣٧٠هـ، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م.
- المؤتلفُ والمختلفُ في أسماء نقلة الحديث وأسماء آبائهم وأجدادهم، لأبي محمد عبد الغني بن سعيد الأزدي، المتوفى سنة ٤٠٩هـ، تحقيق مثنى محمد حميد الشمري وقيس عبد إسماعيل التميمي، إشراف بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- المؤتلفُ والمختلف، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي، المتوفى سنة ٣٨٥هـ، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م.
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، تحقيق: نور الدين عتر، دمشق: مطبعة الصباح، ط٣، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م.

ببغاء الهند، الشاعر أمير خسرو، ومكانته في الأدب العربي

الدكتور محمد علي الوافي كرواتل
الهند

رسمت الحضارة الهندية الإسلامية (Indo Islamic) التي ترعرعت تحت رعاية المسلمين وسلاطينهم في الهند في خريطة الحضارة العالمية صورا خلابة وأشكالا متنوعة. وهذه الحضارة الفريدة التي تطورت إثر الاحتكاك الحضاري والثقافي بين الحضارة الإسلامية الزاهرة والحضارة الهندية التليدة قد أنتجت فنونا جميلة وآدابا كلاسيكية تفتخر بها كلتا الحضارتين. ويعد الشعر والموسيقى من إحدى أزخر المجالات التي بصمت فيها الحضارة الإسلامية في الهند. وكانت رحى الغزل (Gazal) والموسيقية في الهند تدور في العصور الوسطى على اللغات الفارسية والأردية والهندوستانية (Hindusthani). وهذه اللغات الثلاثة لم يتفوق فيها أحد مثلما تفوق فيها المبدعون المسلمون، وذلك لأن اللغتين الأردية والهندوستانية من هذه اللغات الثلاثة تعد من بقايا الحضارة الإسلامية الخالدة في الهند، وعلاوة على ذلك فإن هذه اللغات الثلاثة تمتاز بما لها من ثمن غالي في أسواق الأدب العالمي.

يقول الباحثون والأكاديميون المتخصصون في الفنون الجميلة الكلاسيكية في الهند إن أجمل ما قدمه الهنود إلى العالم الفني والثقافي هو الفن الغزلي (Gazal). والريادة في الموسيقى الغزلية (Gazal Music) والموسيقى الهندوستانية (Hindusthani Music) تعود إلى الشعراء المبدعين والمغنين المطربين الذين عاشوا في حضن الحضارة الإسلامية ورعايتها في الهند. وهؤلاء أصحاب الفن والشعر قد بنوا جسرا ثقافيا جميلا يجمع بين أهل الهند والحضارة الإسلامية، وفوق ذلك فإن العالم القديم والجديد هو بأسره قد دخل إلى الهند متجاوزين هذا الجسر الثقافي المبني على أعمدة الحضارة الإسلامية في الهند. ويسرد التاريخ بأن بلاط السلاطين في الهند وما عاصرها من السلطنة المجاورة قد اكتظ بعدد لا يحصى من المبدعين الذين يجيدون الفن الغزلي

والموسيقى الهندوستانية. وكلاهما، كما تمت الإشارة إليها، من البقايا الحضارية والفنية التي خلفتها عوامل التبادل الثقافي والحضاري بين الهند والحضارة العربية والإسلامية.

ومما يثير دهشتنا ويحرك إعجابنا أن هؤلاء الشعراء لم تنحصر قدراتهم الشعرية في اللغة الأردية أو الهندوستانية فقط، بل كان لأكثرهم بوع كبير في اللغة العربية أيضا. وهؤلاء أعلام يمتاز كل واحد منهم بالنوعية الفريدة في المجال التي اشتهروا فيها. وقد خلفوا لنا آثارا خلدت ذكراهم على كر الدهور ومر العصور. ومن هؤلاء الشخصيات البارزة في عالم الشعر الفارسي والأردوي والهندوستاني والعربي الشيخ أبو الحسن يمين الدين خسرو، المعروف باسم أمير خسرو، صاحب اللقب الرائع 'ببغاء الهند' (Parrot of India). ولما له أثر ملحوظ في تطوير الأدب الأردوي يطلق عليه لقب آخر هو "أبو الأدب الأردوي" (Father of Urdu Literature).

مولده وحياته الشخصية

ولد الشاعر أمير خسرو في مدينة دلهي. وكان أبوه لاجين المشهور بين الناس باسم سيف الدين شمسي مملوكا من سلالة تركية للسلطان شمس الدين إيلتمش (Elthumish) ابتاعه من أحد التجار. وكان هذا المملوك شجاعا ومقداما في الغزوات التي قادها السلطان ضد أعدائه في الهند. وكان السلطان يرسله للحملات العسكرية؛ لأنه كان يتحلى بالفنون الحربية والتنظيمات العسكرية في ميدان القتال. وأما أمها فكانت من سلالة راجفوتية (Rajput) من الهند، وكان جده من أمه سيدا في قومه، وأصبح مملوكا للسلطان إيلتمش. وكلاهما؛ أي الجدان من قبل الوالد والوالدة، قد نالا مكانة وشرفا عند السلطان وأصبحا من ذوي المناصب الإدارية في السلطنة. وفي هذه الأسرة الكريمة ولد الشاعر أمير خسرو في عام ٦٥١ الهجري، ١٢٥٤م بمدينة دلهي.

وتمتاز البيئة الثقافية الهندية التي عاش فيها شاعرنا العظيم بالازدواجية والتفاعل، إذ إنها ثقافة ممزوجة بالثقافة العربية والفارسية والتركية والهندية، ويعود سبب هذا الاختلاط إلى أن السلاطين والحكام كانوا من سلالة تركية ومن منطقة فارسية، ووردوا إلى الهند واستوطنوها، وكانت معتقداتهم تتعلق بالحضارة الإسلامية واللغة العربية لكونهم المسلمين. وأما الحضارة السائدة في الهند قبل مجيئهم فكانت هي حضارة هندية أو هندوستانية. وهذه الحضارات الأربعة قد تأثرت فيما بينها وتولدت منها ثقافة ليست عربية ولا فارسية ولا تركية ولا هندية بحتة، بل أخذت كل ثقافة نصيبها الأوفر من الثقافات والحضارات الأخرى.

والتأثر اللغوي بين اللغتين العربية والأردية والتأثير فيما بينهما تعد من الظاهرة اللغوية المعهودة بين اللغات، إذ إن الناموس اللغوي المتفق، وسنتها المتبعة هو التأثر والتأثير، الأخذ والعطاء. ويؤكد علماء اللغة المتخصصون في اللغات الهندية بأن اللغة العربية قد أثرت تأثيرا بارزا على اللغات الهندية، ويتجلى تأثير العربية في وجود بعض اللهجات المحلية التي لها الصلة الوثيقة باللغة العربية، باستعارة جميع حروفها ومعظم أصواتها وبعض معانيها كما حصل للغة عربي مالاليالم (Arabi Malayalam) التي يستخدمها المسلمون من ولاية كيرالا في حياتهم

العلمية والأدبية والفنية. وهذا التأثير اللغوي لم ينحصر في لغة واحدة أو لهجة معينة. وكلامنا في هذه المقالة يدور حول شخصي يلقب بأبي الأدب الأردوي، لما له من إسهامات ريادية في مجال الشعر الأردوي ونثره، وهذه اللغة الأردية أيضا قد تأثرت باللغة العربية في النواحي المتعددة، مثل الخط والأصوات، والحروف، والمفردات، والأبنية والتراكيب والعروض. ولسبب وضوح هذا التأثر اللغوي بين اللغة العربية والأردية يؤكد معظم الباحثين بأن اللغة الأردية هي عصارة اللغات الأربعة العربية والفارسية والتركية والسنسكريتية.

وللإشارة إلى حيوية اللغة العربية في تأثيرها في اللغات الهندية يجدر القول بأنه لم ينحصر تأثيرها في هاتين اللغتين الأردية والمالايالمية فحسب، بل تجاوزت إلى معظم اللغات الهندية، وإن اختلفت درجات التأثير والتأثر، ويقول الشيخ المعصومي: "قلما توجد في الهند لغة إلا وهي تزخر بقليل أو كثير من المفردات العربية كالآسامية والأردية والمليبارية والهندية وما إليها. فكما أن لغات الهند القديمة صدرت إلى العربية قبل الإسلام وبعده عددا من الألفاظ الهندية، فكذلك اللغة العربية لم تتأخر بدورها عن تزويد لغات الهند ولهجاتها بجمهرة من نفائس معدنها العربي الأول ومجوهراتها الرائعة و(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)[1] وخوفا من الانحراف عن لب الموضوع نكتفي بهذا القدر من الإشارة إلى التأثر اللغوي والتبادل الثقافي بين اللغة العربية واللغات الهندية.

ولما بلغ أمير خسرو سن التعليم والتربية، ذهب به أبوه إلى شيخ صالح في القرية، ولم يره من بعيد حتى صرخ الشيخ قائلا "يأتيني اليوم ولد سيكون أرفع مكانة من الخاقاني"[2]. وهذه القصة إن دلت على شيء فإنها تدل على أن هذا الرجل الصالح قد رأى بالفراسة بأن هذا الولد سوف ينال الصيت الأدبي والشعري في حياته الأدبية القادمة. وكان أبوه يلزم ابنه على تعلم الخط الفارسي بينما كان يميل إلى الشعر الفارسي والأردوي. وفي سنه الثامن ذاق الشاعر أمير خسرو مرارة اليتم التي تعد سنة معهودة في حياة النبلاء والعظماء، إلا أنه وفق بالحياة الطيبة والرعاية الجميلة من قبل جده، وقد تربى الشاعر في كنفه متحليا بمكارم الصفات والآداب الفاضلة، وتعلم جميع الفنون الأدبية والعلوم الإسلامية إضافة إلى إجادته اللغات الفارسية والأردية والتركية والعربية. وبدأ خسرو يكتب الشعر، وهو في سنه المبكر، بالفارسية والتركية والأردية. وتفوق على جميع أقرانه بإمكانه من قرض الشعر في اللغات المختلفة، ونتيجة ولوعه بالشعر استطاع للشاعر أن يمنح للشعر الفارسي والأردوي عمقه وروحه اللامتناهيين.

وكان الشاعر يقود حياة رغيدة راضية عن أحزان الدنيا ومتحررا عن شدائدها وجميع همومها إلى أن توفي جده رحمه الله في عهد السلطان غياث الدين بلبن (Giyasudhin Balban). وقد ألجأته وفاة جده إلى أن يكابد هموم الحياة واضطر إلى أن يكسب أسباب معيشته وقوت يومه. وبدأ حياته كشاعر البلاط لأبناء السلاطين مادحا إياهم ومرتزقا بعطاياهم، وظل يسير من بلاط خان جهان (Khan Jahan)، إلى كيقباد (Geikbad)، وإلى السلطان جلال الدين الخلجي (Sultan Jalaludhin Khilji)، ونال منصب

مصحفدار (Mushafdar)، وبعد وفاته إلى بلاط السلطان علاء الدين الخلجي وتقلد له أيضا منصب مصحفدار، وبعد وفاته اتصل بالسلطان قطب الدين مبارك شاه الخلجي وكتب له 'ساقي نامه' (Saqi Nama) وبعد وفاته لجأ إلى بلاط السلطان غياث الدين تغلق في عام ٧٢٠هـ، ثم في بلاط السلطان محمد تغلق، حتى تنفس أنفاسه الأخيرة تاركا وراءه مؤلفات ضخمة في الشعر الأردوي والفارسي والعربي.

أعماله الأدبية

ذكر العلامة شبلي النعماني أنه لم يلد الزمان بمثله في الهند منذ ستة قرون، ولم ينبغ مثله من تربة الإيران والروم إلا القلائل. فقد أنجب الزمان عديدا من أولي الفضل والكمال الذين فازوا بالقدح المعلى، ولكن في مجال واحد لا في مجالات مختلفة، وأما صاحبنا فقد سبق في جميع الفنون الشعرية نحو الغزل، والمثنوي، القصيدة، والرباعي، والفروع الأخرى مثل التضمين والمستزاد والمحسنات المعنوية، والموسيقى. وأما إذا اعتبرنا عدد الأبيات معيارا للعبقرية فهو عبقري في هذا الأمر أيضا، فيربو عدد أبياته على ثلاث مئة ألف مع أن أبيات الشاعر الشهير فردوسي (Firdausi) لا تزيد عن سبعين ألفا، وذلك كله إلى جانب تضلعه من العلوم الإسلامية والعربية والعلوم المتداولة في زمانه، فهو عبقري في جميع هذه المجالات العلمية والأدبية. ونظرا إلى وفرة أعماله الأدبية وتنوعها يمكن للباحث أن يقسم أعماله إلى ثلاثة أنواع، وذلك الموسيقى، والنثر، والشعر[٣].

إسهاماته في الموسيقى

وهناك قصة واقعة تبرز مكانة الشاعر أمير خسرو في الجوانب الفنية للموسيقى الهندي. وهذه القصة وقعت في بلاط السلطان علاء الدين الخلجي (Alaudhin Khilji)، وذلك لما ذاع صيت الشاعر خسرو وتفوقه في المجال الشعرية، أرسل إليه لكي يجيء إلى بلاطه، وكان في البلاط الملكي موسيقي معروف اسمه "نائك جوبال"(Naik Gopal). وقد عقد السلطان علاء الدين مسابقة موسيقية بين الشاعر أمير خسرو، والموسيقي المعروف "جوبال". وتقدم الموسيقي جوبال بنغماته العجيبة وعرضها أمام الجمهور في ست جلسات متتالية. ولما فرغت كنانته عن السهام الأخير، تقدم الشاعر أمير خسرو وحلل جميع النغمات التي قدمها الموسيقي جوبال، وأظهر جانب الضعف والتقصير في نغماته ثم ألقى أمامهم نغمات جديدة لم تسمعها آذان المستمعين من قبل. وقد اخترع الشاعر خسرو طرقا جديدة في العالم الموسيقي، والقائمة التالية[٤] توضح إبداعاته واختراعاته في النغمات والألحان الموسيقية.

الرقم	الألحان	التفاصيل
١	مجير	وهو لحن مركب من لحن "غار" ولحن فارسي.
٢	ساز گري	وهو لحن مركب من ألحان: وهو لحن مركب من ألحان: پوربي، گورا، كنگلي، ولحن فارسي.
٣	أيمن	مركب من هنڈول ونيريز
٤	عشاق	مركب من سارنگ وبسنت ونوا.

ببغاء الهند، الشاعر أمير خسرو، ومكانته في الأدب العربي

الرقم	الألحان	التفاصيل
٥	موافق	مركب من توڑي، مالرى، دوگاه، وحسينى.
٦	غنم	نوع متغير لپورمي
٧	زيلف	أدمج لحن كهت في شهناز
٨	فرغنه	أدخل كنگلي وگورا في فرغانه
٩	سرپرده	ركب سارنگ وپلاول وراست فيما بينها
١٠	باخرز	أدخل لحنا فارسيا في لحن ديسكار
١١	فردوست/ پهردوست	مركب من ألحان: كانهڑا، گوري، پوربي، ومن لحن فارس
١٢	منم	أدخل لحنا فارسيا في لحن كليان

إسهاماته في النثر

إن أعمال أمير خسرو النثرية هي عبارة تشمل مؤلفاته النثرية وما كتبه في مقدمات ديوانه الشعرية. وكذا ما أتى به من ديباجة ديوان تحفة الصغر وديباجة غرة الكمال وغيرهما من الدواوين. ومن ينمق النظر فيما كتب الشاعر في مقدمات دواوينه يجد أن قدرته في البيان والنثر ليس ببعيد عن قدرته في قرض الشعر والإبحار في عالمه السرائر. وهذا المنثور لجمال محتواه وكثرة معانيه يعد منهلا يرد إليه الباحثون في الآداب النثرية في العصور الوسطى. والفقرات الآتية سوف تسلط الضوء على أعماله الجليلة في النثر.

إعجاز خسروي

وبناء على ما اتضح من أقوال الباحثين فإن هذا الكتاب قد ألفه الشاعر خسرو لتقديم نماذج النثر المرصع بالصنائع والبدائع وبيان مواضع استخدامه. ويطلق على هذا الكتاب اسم آخر وهو رسالة الإعجاز، وهذه المؤلفة تحتوي على خمس رسائل وما تليها من خاتمة. وديباجة الكتاب تحتوي على الحمد الإلهي والمدح النبوي وسرد مناقب مرشده الشيخ نظام الدين أولياء ثم على مدح السلطان الدهلوي علاء الدين الخلجي وعلى ذكر أساليب النثر التسعة الرائجة في عصره. وهذه الرسائل الخمس قد خصصها الشاعر خسرو لمعالجة بعض القضايا الأدبية السائدة في عصره وذكر بعض المحسنات اللفظية والمعنوية بإيراد معظم أبوابها. وإنما يهمنا من هذه الرسائل هي الرسالة الثانية؛ لأنها هي الوحيدة التي تتعلق باللغة العربية؛ حيث إنها تحتوي على المكاتيب المختلفة بعضها عربية وبعضها فارسية، وعلى الفرامين السلطانية والنماذج العربية والفارسية.

خزائن الفتوح

كما يشير إليه عنوان الكتاب، فإنه يحلل القضايا السياسية التي وقعت في عهد السلطان علاء الدين الخلجي من سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م إلى ٧١١هـ/ ١٣١١م. وهذا الكتاب يعده الباحثون مصدرا لما يتعلق بالفتوح والغزوات الواقعة في تاريخ المسلمين في العصور الوسطى. وتتعين فيها الحوادث والوقائع حسب السنين الهجرية والميلادية. وهذا الكتاب يسمى بالتاريخ العلائي لما أنه يجسد الأيام والوقائع التي شاركها السلطان علاء الدين الخلجي.

أفضل الفؤاد

يعرض هذا الكتاب مجموعة لملفوظات الشيخ نظام الدين الدهلوي الذي يتمتع بالشخصية الروحانية والصوفية في الحياة الاجتماعية بين المسلمين في العصور الوسطى. ويطنب التاريخ في سرد الجانب الروحي في حياة الشيخ أمير خسرو، وهذا الجانب الروحي قل أن نجد لها مثيلا في شخصيات شعرية أو موسيقية في العالم الأدبي. وإن الشاعر أمير خسرو قد توطدت العلاقة بينه وبين الشيخ المتصوف حضرت نظام الدين أولياء (Hazrath Nizamudheen Auliya)، وهذه العلاقة الروحانية بينهما قد سببت إلى أن يتطور الفرع الجديد في الفن الغزلي؛ حيث كان أمير خسرو يجيء إلى شيخه نظام الدين أولياء الذي كان يتمتع بشعره الصوفي المتدفق بالحب الإلهي وحب نبيه -صلى الله عليه وسلم-. وهذا الفرع الغنائي للغزل الهندي له حضوره الدائم في الأضرحة والمزارات في المجتمعات الهندية، خاصة في شمال الهند، إذ إنهم يبتهلون بهذا المدح والنعوت الغنائية إلى الله عز وجل. ويعرف هذا النوع الجديد من الفرع الموسيقى الغزلي باسم القوالي (The Qavvali) وكان شاعرنا أمير خسرو يتبادل الشعر الصوفي مع شيخه الشيخ نظام الدين أولياء -رحمه الله- إلى أن توفاه الله في شهر ربيع الآخر سنة ٧٢٥هـ.[٥] وهذا الكتاب الذي نتكلم عنه إنما هو كتاب لملفوظات شيخه نظام الدين أولياء وبعض وقائع دائرته. والكتاب كله في أسلوب جميل لا تشوبه شائبة التكلف. ولما فرغ من تأليف هذا الكتاب في سنة ٧١٩هـ قدمه الشاعر أمير خسرو إلى شيخه فأثنى الشيخ عليه واستحسنه.

أعماله الشعرية:

يقسم الباحثون في تاريخ الأدب الهندوستاني أعمال أمير خسرو الشعرية إلى ثلاثة أنواع، وهي الأول: الشعر الفارسي، والثاني: الشعر الهندوستاني، والثالث: الشعر العربي. أما شعره الفارسي فقد اعترف بمكانته الشعراء والأدباء الإيرانيون. وقد سلك فيه مسلكا جديدا يختص به. فقال عن شعره الفارسي عبد الرحمن جامي في "بهارستان" أنه لم يكتب أحد جواب خمسة النظامي أحسن من أمير خسرو. أما العلماء المتخصصون في الشعر الهندوستاني فهؤلاء يرون بأن أمير خسرو له مكانته الشهيرة في الشعر الهندوستاني، ويرون لها أسبابا كثيرة، ومن أهمها:

الأول: إنه قد اعترف بنفسه أنه قرض الشعر في اللغة الهندوية[٦]

الثاني: إن أمه كانت هندية وإنه ولد في الهند وترعرع في بيت جده من الأم الذي كان هندي الأصل، وإنه اعترف بنفسه بأنه يتكلم باللغة الهندية.[٧]

الثالث: قد ورد استخدام الألفاظ والأبيات الهندوية الكثيرة في دواوينه الفارسية بكل براعة وإتقان إلا أنه لم يجمعها في ديوان على حدة، وما تواتر إلينا فهو بواسطة الكراسات الشعرية الخاصة أو الحفظ على اللسان.

وقد ازدهرت شاعريته في اللغة الفارسية، وقدم لنا دواوين شهية تشهد بمكانته العالية في عالم الشعر الفارسي. وإن كان الشاعر قد عاش في الهند ونسج صور الهند في قالب الشعر، إلا أنه يعد علما من أعلام الشعر الفارسي على

ببغاء الهند، الشاعر أمير خسرو، ومكانته في الأدب العربي

العموم. وأعماله الشعرية في اللغة الفارسية هي ما يأتي:[٨]

١، ديوان تحفة الصغر، وهو أول ديوان يشتمل على شعره في حياته البدائية.

٢، ديوان وسط الحياة، وهو يشتمل على شعره من العشرين إلى ثلاث وثلاثين أو أربع وثلاثين سنة من عمره.

٣، غرة الكمال، يحتوي على شعره من عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م إلى ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م.

٤، بقية نقية، ينطوي على شعره حتى عام ٧١٥هـ/ ١٣١٥م.

٥، نهاية الكمال، يحتوي على شعره حتى عام وفاته.

٦، قران السعدين، وهو أول مثنوي يشتمل على وقائع مراسلة كيقباد وأبيه، ومن خصائصه أنه يشتمل على دقائق تاريخية مع ما فيه من النظم ولطائفه، وقيل كله في أسلوب سلسال.

٧، خمسة، وهي تشتمل على خمس مثنويات، الأول: مطلع الأنوار، والثاني: شيرين وخسرو، والثالث: ليلى مجنون، والرابع: آئينه سكندري، والخامس: هشت بهشت. وكلها قيلت في زمان قليل بأسلوب جميل وهي خير شاهد على مقدرته في الشعر الفارسي ولا سيما المثنوي.

٨، تاج الفتوح، مثنوي يشتمل على وقائع السلطان جلال الدين الخلجي من عام ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م حتى عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م.

٩، نه سپهر، يشتمل على تسعة أبواب تسعة بحور شعرية، فرغ عنه في عام ٧١٨هـ/ ١٣١٨م.

١٠، عاشقة أو العشقية، ويسمى بـ "دول راني وخضر خان" أيضا، فرغ عن تدوينه في عام ٧١٥هـ، ذكر فيها وقائع حب دول راني ابنة ملك ججرات (Gujarath) وخضر خان بن السلطان علاء الدين الخلجي.

١١، تغلق نامه، وهو مثنوي يشتمل على وقائع وفتوحات السلطان غياث الدين تغلق.

مكانة أمير خسرو في اللغة العربية

بناء على ما انتهت إليه أقوال علماء الأدب والفنون في الهند، إن أمير خسرو لم يكن شاعرا فارسيا أو أردويا فقط، بل إن قدراته الشعرية ومواهبه النثرية قد تجاوزت حدود تلك اللغات حتى أصبح كاتبا وشاعرا عربيا يمتلك ناصية اللغة العربية. ومما لا يختلف فيه اثنان أنه لم يولد في بلاد الهند شاعر يفوق شاعرية أمير خسرو في اللغة الفارسية. وقد نحا بعض الأكاديميين منحى يرون فيه بأنه لا يجيد اللغة العربية ولا يتقنها. ويُردّ هذا القول على أساس الاطلاع على كتبه في اللغة الفارسية، إذ إنه يأتي بقطع وأبيات ومقتطفات عربية، وإتيانه بمآت الأبيات خير شاهد على تضلعه التام من اللغة العربية وآدابها. وكل من يدقق النظر فيما كتب هذا الشاعر الهندي في اللغة الفارسية وما أتى به من المقتطفات العربية خلال كتبه يتأكد بأن الحضور الدائم للأبيات العربية يدل على أنه لم يكن يفهم اللغة العربية فحسب بل إنه يعلم أسرار هذه اللغة الجميلة.

ويقول الباحث محمد ضياء الرحمن "وعندما نستقصي كتب أمير خسرو ودواوينه الفارسية نجد فيها عدة نماذج جميلة لهذا النوع من

النثر الفني الـذي لها أثـر في النفوس ومنفذ إلى القلوب ومدخل إلى الطبائع كما نجد فيها الأمثال والمقولات العربية التي فاضت بها قريحته الإبداعية وطبيعته الطامحة نحو الخلق والاختراع والمقطوعات العربية المتعددة الألوان والأنواع مثل الأدعية للحي والميت بالمدح والذم بالإجمال، والأدعية من لسان المعشوق للعاشق وبالعكس، والأدعية للمجلس وأصحابه والأدعية وكلمات التهاني الأخـرى لا يمكن استيعابها في هـذا المقال، فمن شـاء أن يتمتع بنفحات خسرو العربية فليطالع كتابه العظيم ـ إعجاز خسروي."[٩]

شواهد على تضلعه في اللغة العربية

في الفقرات الآتية أقدم إلى القراء بعض النماذج التي هي خير إشارة إلى القدرات اللغوية العربية التي كان يتمتع بها شاعرنا خسرو، وإنما آتي بها في هذه المقالة للاستشهاد على من يدّعون بأن الشاعر لم يكن عارفا بأسرار اللغة العربية، بل ومن النقاد من يقول بأن إجادته الفنية تنحصر في اللغتين الفارسية والأردية. وهذه النماذج الآتية سوف تجعل القارئ متيقنا بقدراته الفنية والتعبيرية في اللغة العربية.

النموذج الأول: "الحمد لله الفتاح الذي فتح خزائن الفتوح على دين محمد، وأعز جميع أنصاره بنصر مؤيد، وأعز شأنه وأعلى سلطانه، والصلاة والسلام على نبي السيف الذي شق بإشارة قلب القمر والصدر، ووضح من برهانه القاطع، ولقد نصركم الله ببدر، والتحية والسلام على آله وأصحابه الكرام المنبهين للنيام باللسان والحسام"[١٠]

النموذج الثاني: "هو سلطان سلاطين الآفاق، أنور من النيرين في الإشراق، ظل الرحمن على رؤوس الأنام، حامي البرايا عن حوادث الأيام، فلك المعاني بالدرجة والتمكين، شمس الأعالي علاء الدنيا وديـن، ثالث القمرين في العلى، نور الدارين في الدجى، مدار دور القمر جناب خدامه، ومنار نور الظفر قـراب صمصامه، أصبح سناء طلعته في عين السماء، وأضحى سناء جبهته في عين العلاء المنصور بالنصر الفلكي على أدوار الزمان الموصوف بالوصف الكلي، أعني محمد شاه السلطان.

الـلـه مـد ظـلا لـه فـوق الـورى

ما ظل عين فوق أرض بالندى[١١]

النموذج الثالث: هذا النموذج مأخوذ من رسالته التي أرسلها إلى العلامة شهاب الدين، وكثيرا ما كان الشاعر أمير خسرو يتردد إليه لكي يعرض عليه كلامه الفارسي. وهذا النموذج يبدأ بقطع شعرية وينتهي بكلامه المنثور:

"الحمد لمضي الشهاب، الله منور الشهاب

شـهـاب الـحـق مـنـك يـفـيـض علم

كما فـاض الحيا مـن سبح سحب

شـهـاب أنـت تـحـجـب نـور شمس

كـنـور الـشـمـس تحجب كـل شهب

الله النور الذي جعل الشهب محرقة للشياطين، ووفق لاحتراق شياطين الإنس والدين مولانا شهاب الملة الزهراء أزهر نجوم السماء، أصبح شمس السعود، طالعة على جبينه وأمسى ليلة القدر ساطعة في سواد يمينه، رفع بالشهاب علمه، ونصب على باب الألباب قلمه، طاعن

الفرقدين بالعلو، وثالث السماكين بالسمو، يراعه سهم للسعادة لجرح الأشقياء وسهم للغيب معه في كتابة الإنشاء، وهو عصا كليم، بل عصا كليم وثعبان ملذوعه سليم، ومبغوضه كليم، ولو يبلع عصا كليم سحرا، فهو يلد من يطلب السحر الحلال، فمنه يجد لسع العدى كالحيات، وبل رأيت أيما يقطر من لسانه ماء الحياة، ما غرق قصب في البحر قط، وإذن قصب يفرق في البير حين يخط فيطلع من ظلمة البير عير العمر في التحرير"[١٢]

ونكتفي بهذا القدر من إيراد النماذج التي تشهد بمكانة الشاعر وتضلعه في اللغة العربية الفصحى، وأما مكانته في اللغة العربية فهي لا تنحصر في بعض ديباجة الكتب أو القصيدة، وإنها تتجاوز إلى الأمثال العربية[١٣]، (الأمثال في ذكر الله،[١٤] الأمثال في الفلك والثوابت،[١٥] الأمثال في البروج،[١٦] الأمثال في العناصر والآثار العلوية،[١٧] الأمثال المتعلقة بالأنبياء،[١٨] الأمثال المتعلقة بالدواب والأنعام،[١٩] الأمثال المتعلقة بالطيور،[٢٠] الأمثال المتعلقة بالهوام والحشرات،[٢١] الأمثال المتعلقة بالنبات،[٢٢] الأمثال المتعلقة بالمعادن[٢٣]). وقد جاءت في كتبه الفارسية والأردية أدعية تدل هي أيضا على سليم لغته وتمام فصاحته في اللغة العربية، ومنها على سبيل المثال، دعاؤه في كتاب إعجاز خسروي: "شوس القبول صدغها كتشويس القلوب، أحرق الودود فوائدها على المحرقين، دام مقنعها، شبكة صدغها، لا زالت ذوائبها مسودة، جعل الله ترائبها نورا لشعاع لخدها، أسكن الله روحها في قلب الحور، عفا الغفور عنها ما ظلم على المساكين، أنبت الله العشق على قبرها من دموع العاشقين، بنت الورد على تربتها من دمي، قلب روحها حورا، روّاه الله من عبراتنا في حر القيامة، عذبها الحنان بنياحة المهتمين، ما سقى عين العشاق على روضتها، راح دموعنا إليها وقدحها مداما"[٢٤].

أمير خسرو والنثر العربي

ينقسم النثر عند الأديب خسرو إلى ثلاثة أنواع، الأول، نثره في اللغة الفارسية، والثاني: في اللغة الأردوية أو الهندوستانية، والثالث، نثره في اللغة العربية. أما ما كتبه الأديب في النثر الفارسي والأدوي، فيرى الباحثون بأن جميعها لا يمكن أن ينسب إليه، وذلك لأن الناس من بعده كانوا يضيفون إليه وينسبون إليه ما ليس له، فلا نستطيع أن نقبل جميع ما نسب إليه كما لا نستطيع أن نرفض جميع ما نسب إليه. وأما بالنسبة إلى نثره في اللغة العربية فجميعها ينسب إليه حقا، وهذا الجانب الأدبي من نثره ما يزال منتشرا في بطون مؤلفاته الفارسية، وفي مقال له يقول الأستاذ الدكتور محمد نعمان خان من جامعة دلهي ناقلا عن تقسيم الدكتور أظهر لنثر الأديب خسرو في اللغة العربية، وقد قسمه الدكتور أظهر على خمسة أنواع:[٢٥]

النوع الأول: الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي يزين بها الشاعر خسرو نثره الفارسي، ويستخدم هذه المقتبسات بطريقة بارعة؛ حيث يأتي بالمقتبسات من القرآن والسنة خلال كتابته في اللغة الفارسية.

النوع الثاني: وهذا النوع ينتشر في الجمل والفقرات الموجودة في خطبه وفي مقدمات كتبه، وقد أتى الشاعر معظمها في كتبه في

النثر الفارسي، ونجدها في كتاب خزائن الفتوح، والإعجاز الخسروي، وقد تمت الإشارة إلى النماذج التي تمثل هذا النوع من النثر العربي عند الأديب أمير خسرو. وتكاد توجد من بينها بعض الأبيات العربية الفصحى أيضا. فمثلا، هناك أورد الشاعر بيتين في بداية الخطبة التي أتى بها في كتابه الإعجاز الخسروي.

"هذا الكتاب بفضل الله ذي الكرم

أنشأت سحرا لصيد الجن والنسم

فالله نوّر أعيان الكرام به

ما لاح حرف على القرطاس من قلم

النوع الثالث: والشاعر قد يأتي بمعان مفصل عن الأبيات التي يذكرها لمختلف حروف الهجاء، وها هو ذا بيت نظمه الشاعر:

أدغمت المعاني في المعاني

كما أدغمت حروف في حروف

وفي شرح هذا البيت وتفصيله يقول الشاعر: ولدت طبيعتي القابلة من أمهات الحروف قليلا من معان تكثر (أولادها) كثرة أولاد (اللؤلؤ)، فتولد منها طريقة عذراء ذكر كل فحل أن بطن القرطاس أتت بها حاملا أطفالا بالغة الكمال وهذا أنموذج لتعليم أخلاف سعيدة.

النوع الرابع: الأديب الأمير خسرو قد عاش في زمن شاعت فيه العبارات المسجعة والمقفاة، وهذه الميزة في الأسلوب تكاد لا تخلو عن كتابته النثرية. وذلك لأنه اختار طريقة زمنه المثلى وكتب في الأسلوب السائد بين الأدباء في أيامه. وهذا النوع الرابع يشتمل على الرسائل التي كتبها بالسجع والقافية.

النوع الخامس: وفي هذا يزين الأديب نثره وشعره الفارسي بالآيات القرآنية بطريقة رائعة، وهذا النوع يختلف عن النوع الأول، بأن النوع السابق يتضمن على الآيات كأنها مقتبسات، أما في هذا النوع، فيقوم الأديب إلى الآيات القرآنية لتجميل شعره ونثره الفارسي. ويقول الشاعر عن هذا الفرق: "يأتي الكلام العربي في الكلام الفارسي للتزيين والتجميل وبعد تزينه بالعربية يصبح مجوهرا" وإن كانت ركيزته الأدبية على اللغة الفارسية نجد الشاعر يؤكد بقوة اللغة العربية في تجميل الجمل والعبارات الفارسية.

علم البلاغة وبراعة خسرو فيه

الذين يبحثون في أعمال الشاعر أمير خسرو يرون بأن الشاعر ذو باع طويل في علوم البلاغة. أما علم البلاغة فهو يعد من علوم اللسان العربي، فإذًا معرفة العلوم البلاغية تعني معرفة اللغة العربية وأسرارها. وهؤلاء الباحثون يجعلون هذه القدرة في علوم البلاغة خير شاهد لتمكنه في اللغة العربية وآلاتها الفنية. وبعد تحليل أعماله النثرية والشعرية يقول الباحثون بأن الشاعر له دراية تامة في هذه العلوم العربية، علاوة على ذلك فإن الشاعر يقدم أمثلة بلاغية رائعة بين حين وآخر. بناء على أقوال النقاد فإن الكتابين "ديباجة غرة الكمال، وإعجاز خسروي" يعدان خير شاهد وأقوى برهان على تبحره في العلوم البلاغية وأدواتها الفنية.

وكتابه 'إعجاز خسروي' له مكانته في البحوث اللغوية واللسانية؛ حيث إن الكاتب يضمن في هذا الكتاب مسائل بلاغية عديدة، وتطرق هذه المسائل إلى كيفية استخدام الصنائع

والبدائع. ومع أن هذا الكتاب ألفه الشاعر في اللغة الفارسية، إلا أنه يأتي بالأمثلة العربية في تحليل أبحاث الصنائع والبدائع. ومما يجلب الدهشة لدى القارئ عند قراءة هذا الكتاب ذلك بأن هذا الكاتب قد اخترع عديدا من أنواع الصنائع وأتى بكثير من الأمثلة للصنائع والبدائع والتي عجز عنها العلماء القدماء في الهند. وعندما نحلل الجانب البلاغي في هذا الكتاب وفي جميع مؤلفاته الشعرية والنثرية نستطيع أن نرى بأن الكاتب مهما بلغت ركيزته في اللغة الفارسية، إلا أنه في دراية تامة للعلوم اللسانية العربية والبلاغية. ويقول الباحث ضياء الرحمن عن مقدرته البلاغية بأنه "توجد في كتاباته كثير من خواص علم المعاني من الإطناب والإيجاز والمساواة، وأما خواص علم البيان فتوجد في كلامه التشابيهات والاستعارات والمجازات والكنايات، وأما خواص علم البديع فهي دائما طوع قلمه، وتوجد في كتاباته أنواع مختلفة من المحسنات البديعية المعنوية واللفظية، وقد ادعى أمير خسرو في الرسالة الثالثة أنه تفرد بعديد من الصنائع البديعية، وقدم أمثلتها بالعربية والفارسية".[٢٦]

وكان للشاعر خمس مزدوجات عارض بها خمسة الشيخ النظام الكنوجي: الأولى مطلع الأنوار، والثانية: شيرين خسرو، والثالثة: ليلى مجنون، والرابعة: آئينة إسكندري، والخامسة: هشت بهشت. ومن مصنفاته قران السعدين في لقاء كيقباد وأبيه بغراخان. ومنها تاج الفتوح مزدوجة في غزوات السلطان جلال الدين الخلجي، ومنها خزائن الفتوح مزدوجة في فتوح السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي، ومنها "نه سبهر" صنفها باسم السلطان قطب الدين مبارك شاه الخلجي، ومنها ديول راني وخضر خان، وهي مزدوجة غرامية في أخبار خضر خان بن علاء الدين الخلجي وعشيقته ديول راني. ومنها تغلق نامه في غزوات غياث الدين تغلق. وكان ممن تفرد في علم الأدب والشعر، واشتهر أمره في حياته حتى بلغ صيته إلى أقصى إيران، وسارت بمصنفاته الركبان، فلما أراد السلطان محمد بن غياث الدين استقدام الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي إلى الهند اعتذر لكبر سنه وأوصاه بالأمير خسرو.[٢٧]

أمير خسرو ومكانته في الشعر العربي

ومن الحقيقة الناصعة التي لا غبار عليها، أن الشاعر أمير خسرو قد قدم إلى العالم الأدبي مشاعره الخيالية وخزائنه الفنية في اللغتين الفارسية والهندوستانية. وأما تمكنه من قرض الشعر في اللغة العربية وتطرقه إلى أبوابها المختلفة، فقد اختلفت فيه آراء الباحثين. وقد وضح الدكتور ظهور أحمد أظهر أنه قد تم تقسيم قصائده العربية إلى النوعين. النوع الأول، هو ما وصل إلينا من قصائده كاملة، منها قصيدتان، الأولى القصيدة في مدح علاء الدين سلطان دلهي، والثانية قصيدة رائعة ذكرها في مقدمة كتابه الفارسي "غرة الكمال".

والنوع الثاني من قصائده العربية، هو المصاريع والأبيات المتفرقة في كتبه بالفارسية مثل خزائن الفتوح والإعجاز الخسروي. وقد يظن القارئ بأن عدد أبياته في اللغة العربية ضئيل جدا. بل الحقيقية بأنه "يبلغ عدد مصاريعه وأبياته ما يفوق ست مئة بيت، ولو جمعت هذه المصاريع والأبيات ودونت فيمكن إعداد ديوان

عربي للأمير خسرو"[٢٨] كما يقول الدكتور أظهر عن كثرة أبياته العربية المنتشرة في كتبه ومؤلفاته في اللغة الفارسية. علاوة على ذلك، فإن الباحث الدكتور وحيد مرزا يذكر في فهرس شعر خزائن الفتوح ستة وثمانين بيتا بالعربية بالإضافة إلى أكثر من مئة مقتبس من الآيات القرآنية.

والأبيات الآتية هي خير دليل على تمكن الشاعر أمير خسرو من قرض الشعر في اللغة العربية الفصحى، وتختلط بعض سطوره بتراكيب فارسية؛ حيث لم نجد لبعض المفردات التي استخدمها الشاعر في قصائده العربية أصلا في اللغة العربية ومعاجمها المعتمدة.

ذاب الفؤاد وسال من عيني الدم
وحكى الدوامع كلما أنا أكتم
أفنيت وعمري يا نهاية منيتي
خان الزمان وللمنية أسقم
وإذا أبحت لدى الورى كرب الهوى
تبكي الأحبة والأعادي ترحم
يا عاذل العشاق دعني باكيا
إن السكون على المحب محرم
من بات مثلي فهو يدري حالتي
طول الليالي كيف بات متيم
يا صاح لا تطعن علينا للهوى
هذا من الرحمن حكم محكم
لا تشربن مدام ود خرائد
قد ذقته إن الصبابة علقم
ما جاء صحبي راحلوا من بيننا
جاء البهار، وقد تبسم جوجم.

ونجد في أشعاره وقصائده سمات التكلف في الأسلوب، وذلك إن عصره الذي عاش فيه شاعرنا هو عصر يمتاز بالتلاعب بالسجع والقافية والتكلف والتصنع، ولم ينج من هذه الظاهرة اللغوية شعره ولا نثره. وهكذا، إن أبياته وقصائده في اللغة الفارسية والهندوستانية تعد من أروع ما كتب في تاريخ آدابهما وأفضل ما جمع من تراثهما، إلا أن مستواه في العربية لا يتساوى بمستوى شعراء العرب. ونختتم هذا الكلام عن قصائده بما قال الأستاذ الباحث الدكتور سيد رضوان علي الندوي: "ولنا بعد عرض هذه النماذج أن نقول إن شعره في العربية ليست في مستوى شعره الفارسي في الجودة والروعة، وقد اعترف هو بنفسه في مقدمة ديوانه الفارسي 'غرة الكمال' ومع ذلك فهو يعد من قدامى الشعراء بالعربية في شبه القارية الهندية في عهود الدولة الإسلامية بها".[٢٩]

وفاة الشاعر أمير خسرو.

لما أراد السلطان غياث الدين تغلق حملة عسكرية في منطقة البنجال (Bengal)، اصطحب معه الشاعر أمير خسرو، وبينما كانوا يتنقلون إلى الغزوة بلغهم نعي مرشده وشيخه الشيخ نظام الدين أولياء، فرجع إلى دلهي، وأنفق جميع ما يملكه الشاعر من الأموال على الفقراء والمساكين، إهداء لروح مرشده وأستاذه، ثم لزم ضريحه في دلهي، وانقطع عن جميع مطامع الدنيا حتى لبى نداء الله في نفس السنة التي توفي فيها مرشده الشيخ نظام الدين أولياء، والتحق الشاعر بالرفيق الأعلى في عام ٨٢٥هـ المصادف ١٣٢٥م.

الخاتمة

وفي نهاية المطاف، يمكن القول بأن الأديب أمير خسرو يعد بدون جدال شاعرا من شعراء اللغة العربية في الديار الهندية، وإن كانت أبياته متناثرة في الفصول أو في مقدمات الخطب وهي تتسم بالكثرة والغزارة. وتعد أبياته العربية رائعة بروعة اللفظ وجميلة بجمال الأسلوب ورصينة بدقة المعنى. وإن شاعرنا هذا قد عاش في عصر شعري تتسم القصائد العربية فيها بالزخارف اللغوية والمحسنات اللفظية، وقد أجاد الشاعر أمير خسرو في هذا المجال الشعري. وقصائده تمتاز بالمحسنات العربية القائمة على الأدوات البلاغية المختلفة، ومع هذا لو قمنا بمقارنة شعرية بينه وبين فحول الشعراء في البلدان العربية يتضح لنا بأن أعماله الشعرية تساوي أعمال الشعراء المشهورين الذين يفتخر بهم الأدب في عصوره المختلفة.

الحواشي

١. الآلوائي، الدكتور محي الدين. الأدب الهندي المعاصر. دار العلم للطباعة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٢م. ص٥٨.

٢. أمير خورد. سير الأولياء، نقلا عن العلامة شبلي النعماني: شعر العجم، ج٢، ص:٧٤.

٣. الرحمن، محمد ضياء. شعر أمير خسرو العربي، دراسة تحليلية. بحث جامعي لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه، جامعة جوهرلال نهرو، نيودلهي، الهند.٢٠٠٨م. ص٢٧.

٤. المصدر السابق: ص٢٨

٥. أمير خورد. سير الأولياء، الترجمة الأردية، إعجاز الحق قدوسي، مركزي أردو بورد، لاهور ١٩٨٠م، ص:٤٥٤.

٦. ديباجة غرة الكمال، تحقيق: سيد علي حيدر، إدارة تحقيقات عربي وفارسي، بتنا، بيهار، ١٩٨٨، صفحة ٩٩ وما بعدها.

٧. المصدر نفسه

٨. ضياء الرحمن صفحة ٣٢

٩. ضياء الرحمن ص ٣٩

١٠. خطبة خزائن الفتوح، ط: علي جره، ١٩٢٧م. ص١.

١١. المصدر السابق، ص: ٢.

١٢. إعجاز خسروي، الرسالة الثانية، الخط السادس. دار منشي نولكشور، لكهنئو. ١٨٧٦م. ص: ١٦٩ – ١٧٣.

١٣. وهذه النماذج قد أتى بها الباحث ضياء الرحمن في رسالته عن الشاعر خسرو، وقد أطنب في سرد النماذج في الأنواع المختلفة، ومخافة على طول المقالة أكتفي هنا بإيراد مثل واحد لكل الأنواع.

١٤. "ما أضحى نور الله في خَلد الظالم"

١٥. "لو كان بالسعادة علو المحل لفاق المشتري رأس الزجل"

١٦. "دلو السماء لا يروي الظمآن"

١٧. "قوس قزح حاجب عين السماء"

١٨. "سكين إبراهيم لا يذبح إسماعيل"

١٩. "من ليس له جواد فهو حمار"

٢٠. "علو الحمامات ليس من سمو المقامات"

٢١. "إذا حان بضفدع البئر منيته، يعتصم بحبل الحية"

٢٢. "غضاضة الورد من دماء الخدود"

٢٣. "سنان البطل لسان الأجل"

٢٤. إعجاز خسروي، الرسالة الثانية، الخط السابع، ص: ١٨٣ – ١٨٩.

25- The Arabic Poetry & Prose of Amir Khusrau, by Dr. Zahur Ahmad Azhar, in Amir Khusrau Critical Studies. National Committee for 700th Anniversary of Amir Khusrau. Lahore, 1975. Page 55-56.

٢٦. ضياء الرحمن ص:٥٠

٢٧. الأستاذ محمد نعمان خان، مقالة تحت عنوان أمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي واللغة العربية، مجلة ثقافة الهند. رقم العدد ٦٦، ص٣٦

٢٨. المصدر السابق، ص: ٤٠.

٢٩. الندوي، الدكتور سيد رضوان علي. اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون. منشورات جامعة كراتشي. ١٩٩٥م. ص:١٧٤.

المصـادر والمراجع

١- البلغرامي، السيد غلام علي. سبحة المرجان في آثار هندوستان. تحقيق الدكتور محمد فضل الرحمن الندوي السيواني، معهد الدراسات الإسلامية، جامعة علي جره الإسلامية. الهند. ١٩٨٠م.

٢- الجائسي. عليم أشرف. فصول في التعريف بالهند العربية الإسلامية، دار العلوم جائس، رائي بريلي، يوبي. النهد. ٢٠١٣م.

٣- جميل أحمد. حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان.

٤- الحسني. الشيخ فخر الدين عبد الحي. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر). مكتبة دار عرفات، رائيبريلي، الهند. ١٩٩١م.

٥- الساداتي، أحمد محمود. تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم. حماميزت، ١٩٥٩م.

٦- صهيب عالم. تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الثانية، الرياض. ٢٠١٦م.

٧- الفاروقي، جمال الدين. أعلام الأدب العربي في الهند، كاليكوت، كيرالا الهند. ٢٠٠٨م.

٨- محمد ضياء الرحمن. شعر أمير خسرو العبري، دراسة تحليلية. بحث جامعي لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جوهرلال نهرو، نيو دلهي. ٢٠٠٨م.

٩- الندوي، أبو الحسن. المسلمون في الهند، ندوة العلماء، لكنؤ، الهند. ١٩٧٦م.

١٠- الندوي، الدكتور سيد رضوان علي. اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون. منشورات جامعة كراتشي. ١٩٩٥م

الكتب الإنجليزية

1. The Arabic Poetry & Prose of Amir Khusrau, by Dr. Zahur Ahmad Azhar, in Amir Khusrau Critical Studies. National Committee for 700th Anniversary of Amir Khusrau. Lahore, 1975

المجلات والدوريات:

١. صاحب عالم الأعظمي الندوي. مقالة تحت عنوان، علاقة الصوفية الجشتية والسهروردية مع سلاطين دهلي. مجلة ثقافة الهند. رقم المجلد ٦٤، العدد ٢، ٢٠١٣م.

٢. الأستاذ محمد نعمان خان، مقالة تحت عنوان أمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي واللغة العربية، مجلة ثقافة الهند. رقم المجلد ٦٦، العدد ١، ٢٠١٥م.

سيرة الشّاعر معيارًا في النّقد الأدبيّ عند العرب

أ.د. وليد إبراهيم القصّاب
السعودية

هل تعدّ سيرة الشّاعر معيارًا من معايير النّقد الأدبيّ؟ أثمّة علاقة بين سلوك الشاعر والحكم النّقديّ عليه بالتّقديم أو التّأخير؟ أتقدح معرفتنا بدين الشّاعر وأخلاقه وعقيدته في تقبلنا لما يقول وفي الحكم عليه، أم أنّ العبرة بالمقول لا بالقائل، وأنّ الأصل هو النّصّ وليس النّاصّ له، وأنّ الحكمة تُقبل كائنًا من كان الذي صدرت عنه؛ استنادًا إلى القاعدة الإسلامية المعروفة "الحكمة ضالّة المؤمن حيثما وجدها أخذها"؟

هل يتعامل النّقد الأدبيّ مع الشّخص أم مع النّصّ؟

إن الذي لا شكّ فيه أنّ من ملامح الالتزام الأدبيّ الحقيقيّ توافقَ القول مع العمل، وإنّ أيّ انفصام بينهما هو علامة من علامات النفاق. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ (الصف: ٢، ٣).

وعندما استثنت آيات الشعراء طائفة من الغواية والضّلال- وهم شعراء الإيمان- كان من علامات هؤلاء الشّعراء أنهم ﴿ ... ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢٢٧ ﴾ (الشعراء:٢٢٧) أي هم من اقترن قولهم بعملهم.

وأما شعراء السّفه والغواية فهم يقولون كلّ ما يخطر في بالهم سواء أكان حقًا أم باطلًا، صفتهم الهيمان في كل وادٍ، وانفصال قولهم عن عملهم ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ۝٢٢٦ ﴾ (الشعراء: ٢٢٥-٢٢٦) ولعله انطلاقًا من هذا التّصنيف الخلقيّ للشعراء اهتمّت طائفة من النقاد العرب بالحديث عن أخلاق الشعراء ودينهم وأفعالهم، في محاولة للربط بين شخصية الشاعر وشعره، بين فعله وقوله، لتلمس عنصر الصدق النفسيّ والواقعيّ، ومدى الحميمية بين تجربته وسيرته، ومن اعتقاد بأن

الأدب عاكس لحياة الأفراد والجماعات، أو هو صورة عن صاحبه.

إنّ المرزبانيّ الذي وضع كتابه المعروف "الموشّح، مآخذ العلماء على الشّعراء في عدّة أنواع من صناعة الشّعر" يذكر أنه استقصى كذلك في كتاب له اسمه "المفيد" عيوب الشّعراء" في أنفسهم وأجسامهم، وأخلاقهم وطباعهم، وأنسابهم ودياناتهم، وغير هذه الخصال من معايبهم.."[١]

وقد اختلط الأمر في هذه القضية، فانتقل القول فيها أحيانًا إلى الحديث عن العلاقة بين الشّعر والأخـلاق، ثمّ اقترنت أحيانًا أخرى بموقف دفاعيّ عن الشاعر"[٢] الذي أُخِذ عليه - في سيرته - استهتار عقدي، أو انحراف سلوكيّ، فبرز هذا المعيار لتبرئة القائل أو إدانته، وللتمييز بين الشّاعرية والسيرة أو الدّين.

وكان هذا الاتجاه في النقد العربيّ نوعًا ممّا يُعرف الآن في النّقد الأدبّي الحديث بـ"النّقد السيريّ" وهو ضـربٌ من ضـروب المنهج النّفسيّ.

ونجد في مثل هذا الاتجاه حضورًا لسؤال يُطرح في النّقد الأدبيّ الحديث: هل النصّ كيان مستقل لا علاقة له بأيّة ملابسات خارجية، ومنها مؤلفه نفسه، أو أن القول مرتبط بقائله، وهو صورة عنه، وأن من أبرز سمات الأدب- كما يرى بعض النقاد- "تعبيره عن ذات منشئه، وهو عندئذٍ سيعكس- من غير شكّ- صفات هذا الأديب الخلقيّة، وسيكون أدبه صورة عن أخلاقه، وستكون الآفة الخلقية عندئذٍ منعكسة في أدبه؟.."[٣]

لقد طُرِحت هذه الفكرة منذ القديم في النّقد العربيّ وفي غيره. نجد – على سبيل المثال- ناقدًا مثل "لونجينيوس" اليونانيّ قد بلغ من اهتمامه بالجانب الخلقيّ التربوي في الأدب أن ربطه بشخصية صاحبه، ولعله رأى أن ممّا يجعله أكثر صدقا وتأثيرًا في المتلقي أن يكون قائله متسمًا بهذه الصّفات الخلقية النبيلة التي يدعو إليها.

يقول: "إنّ الأدب العظيم هو الذي يهز القارئ ويثيره، لا مرّة واحدة بل تكرارًا.. ولكي يبعث الكاتبُ مثل هذا الأثر في نفوس قرّائه ينبغي أن يتحلّى بصفات تكون فيه باعتباره إنسانًا.."

وسيتأثر بهذه الفكرة فيما بعد، ويعبِّر عنها – كما يقول إحسان عبّاس- الشّاعر الإنكليزيّ ملتون، فيقول:" إنّ من يرجو ألا يخيب أمله في أن يكتب كتابة جيّدة ..عليه أن يكون هو نفسه قصيدة حقيقية، أي صـورة ونمطًا من أحسن الأشياء وأشرفها. ويقول لونجينيوس: إنّ على الكاتب العظيم أن تنطوي نفسه على نبالة أصيلة؛ إذ لا يمكن أن يخرج من هؤلاء الذين تكون حيواتهم تافهة ذليلة، شيء عظيم جدير بالخلود.."[٤]

لقد احتلّ الحديث عن أحوال الشعراء النّفسيّة، وعن أخلاقهم، وعقيدتهم، وسلوكهم الاجتماعي- كما سيُرِي هذا البحث- حيّزًا كبيرًا من اهتمام هؤلاء النقاد العرب، وأثرت عنهم آراء كثيرة حول ذلك، وقد أخذت هذه الآراء عدة اتجاهات؛ بعضها نظريّ، وبعضها تطبيقيّ .

أوّلًا : الجانب النظريّ:

نستقرئ في الجانب التنظيريّ في النّقد العربيّ مواقف نقديّة متعدِّدة، من مثل:

أ- التشهير بأصحاب السّيرة السيّئة:

شهَّر بعض النّقاد بشعراء عُرفوا بالنفاق الاجتماعيّ، أو السلوك المنحرف، وعُدّ ذلك من المآخذ على هؤلاء الشعراء، ومن النقائص في شخصيتهم.

قال البغداديّ عن الأقيشر:" كان كوفيًّا خليعًا ما جنًا فاسقًا فاجرًا، مدمن خمر، قبيح المنظر"(٥)

وقال عن النّجاشيّ:" كان- فيما روي عنه- ضعيف الدّين، ذُكر أنّه شرب الخمر في رمضان، وثبت عند عليّ- عليه السّلام- فجلده مئة سوط، وزاد على الثمانين لجراءته على الله"(٦)

وقالوا عن أبي حيّة النميريّ:" كان فصيحًا راجزًا، من سكان البصرة، وكان أهوج جبانًا، بخيلًا كذّابًا"(٧)

وأخذ المرزبانيّ على البحتري أنه "هجا نحوًا من أربعين رئيسًا ممّن مدحه، منهم خليفتان، وهما المنتصر والمستعين، وساق بعدهما الوزراء ورؤساء القواد، ومن جرى مجراهم من جِلّة الكتاب والعمال ووجوه القضاء والكبراء، بعد أن مدحهم وأخذ جوائزهم"(٨)

وعقب على ذلك قائلًا: "وحاله في ذلك تنبئ عن سوء العهد، وخبث الطوية"(٩)

وتحدث المظفر العلويّ عن نفاق أبي نواس، وقلة وفائه لبني برمك الذين مدحهم ثم ذمهم (١٠)

وتحدث المظفر العلوي كذلك عن عدم وفاء المتنبي لكافور الإخشيدي؛ حيث وفَد عليه "مستميحًا، وقدِم عليه يُوسعه ثناء ومديحًا، فمن جملة قوله فيه:

قواصدُ كافورٍ توارِكُ غيره

ومن قصد البحرَ استقلّ السواقيا

فلمّا وصله كافور بصلاته، وأسرف في بذل أمواله وأعطياته؛ كرَّ راجعًا عليه بذمّه، نافثًا في فم عرضه قواتل سُمّه. وقد قال رسول الله ﷺ: حرام على النفس الخبيثة أن تخرج من دار الدنيا حتى تسيء إلى من أحسن إليها.."(١١)

وذكر ابن رشيق أن الشاعر يؤاخذ على سوء خلقه؛ ولذلك" فلا ينبغي للشاعر أن يكون شرِسًا، ولا حرَجًا عِرِّيضًا، لما يدلّ به من طول لسانه، وتوقف الناس عن مخاشنته.."(١٢)

وعدّ النقاد التكسُّب بالشعر ممّا يسيء إلى الشّاعر، وينتقص من قدره. قال ابن رشيق عن الحطيئة:" ثمّ إنّ الحطيئة أكثر من السّؤال بالشّعر، وانحطاط الهمّة فيه، والإلحاف، حتى مُقِت وذلّ أهله، وهلم جرًّا، إلى أن حُرم السائل، وعدم المسؤول.. فأمّا الحطيئة فقبّح الله همته الساقطة على جلالة شعره، وشرف بيته. وقد كانت الشعراء ترى الأخذ ممّن دون الملوك عارًا، فضلًا عن العامة وأطراف الناس.."(١٣)

إن هذه الأقوال وأمثالها تنتقص من قدر الشاعر، وتعيب شخصيته، وتسفّه سلوكه وأخلاقه، ولكنها لا تربط ذلك دائمًا بالانتقاص من شاعريته، أو غمط فنيّته- عندما توجد - حقّها .هي أقوال نظرية، ولكنها تحذّر من أمثال هؤلاء الشعراء حتى لا يُغترّ بأقوالهم، أو يُظَنّ أنها صور عن شخصياتهم.

ب- الثّناء على أصحاب السّيرة الحميدة:

وأُثرت عن طائفة من النقاد أقوالٌ صريحة دعت الشاعر إلى التحلّي بمكارم الأخلاق،

ومحمود السجايا، وطالبته ببعض الصفات حتى لا يكون مخالفًا في سلوكه لما يروِّج له من خصال.

وصنّف بعضهم الشعراء تصنيفًا دينيًا خلقيًا؛ فابن قتيبة يقول عن زهير بن أبي سلمى:" كان زهير يتألّه في شعره، ويدلّ شعره على إيمانه بالبعث، وذلك قوله:

يؤخّرْ فيوضعْ في كتابٍ فيُدّخرْ

ليوم الحسابِ أو يُعجّلْ فينقمِ[١٤]

ويقول عن الحطيئة:" كان رقيق الإسلام، لئيم الطبع"[١٥]

ويقول عن النّجاشيّ:" كان فاسقًا، رقيق الإسلام"[١٦]

وكان من أبرز السجايا التي أشاد بها النقاد أن يتصف الشاعر بالصدق، ويتجلّى ذلك في أن يتحلّى بما يدعو إليه؛ فلا يَدّعي الكرم وهو بخيل، أو الشجاعة وهو جبان، أو مكارم الأخلاق وهو خسيس الفعال، سيِّئ الأخلاق حتى يكون في دائرة الصّدق الواقعيّ.

قال ابن رشيق: "من حكم الشاعر أن يكون حلو الشمائل، حسن الأخلاق، طلق الوجه، بعيد الغور، مأمون الجانب، سهل الناحية، وطيء الأكناف؛ فإنّ ذلك ممّا يحبّبه إلى النّاس، ويزيِّنه في عيونهم، ويقرِّبه من قلوبهم، وليكن مع ذلك شريف النّفس، لطيف الحسّ، عزوف الهمّة، نظيف البزّة، أنِفًا؛ لتهابه العامّة، ويدخل في جملة الخاصّة، فلا تمجّه أبصارهم، سمح اليدين، وإلا فهو كما قال ابن أبي فنن:

وإنّ أحقّ النّاس باللّوم شاعرٌ

يلومُ على البخل الرّجالَ ويبخلُ[١٧]

وقال ابن الأثير: "يُستحبّ للشّاعر أن يكون حسن الأخلاق، حلو الشمائل، مأمون الجانب، طلق اليدين. وإلا كان كما قال ابن أبي فنن:

وإن أحقَّ النّاس باللوم شاعرٌ

يلومُ على البخل الرجالَ ويبخلُ

فإن اتصف بذلك كان أملأ في العيون، وألوط في القلوب"[١٨]

وقال الكلاعي: "وممّا يُستحب للكاتب أن يهذِّب أفعاله كما يهذِّب أقواله"[١٩]

وينصح ابن قتيبة الكاتب بقوله: "ونحن نستحبّ لمن قبل عنا، وائتمّ بنا، أن يؤدِّب نفسه قبل أن يؤدِّب لسانه، ويهذِّب أخلاقه قبل أن يهذِّب ألفاظه، ويصون مروءته عن دناءة الغيبة، وصناعته عن شين الكذب.."[٢٠]

وقال صاحب جواهر الآداب:" كذلك ينبغي للشّاعر أن يجتنب في أفعاله كلّ ما يدعو إلى خلافه، ويذمّ به غيره، كما قال:

لا تنْهَ عن خلقٍ وتأتيَ مثله

عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

وقال ابن أبي فنن:

وإنّ أحقّ النّاس..."[٢١]

ويشير أبو العلاء إلى ما قيل عن عدم تديّن أبي تمام، ويعيب ذلك، فيقول: "وأمّا أبو تمام فما أمسك من الدين بزمام.. فإن قُذِف في النار حبيب، فما تغني المدَح ولا التشبيب.. وإن كان حبيب ضيَّع صلواته، فإنه ضالّ بفلواته.. فليت

حبيبًا قرن بين الصلاتين، فجعلهما كهاتين، كما قال القائل:

قـرن الـظـهـرَ إلـى الـعـصـر كما

تُـقـرن الـحِـقـةُ بـالـحِـقِّ الـذكـر

فليته كان كالجعديّ، أو سلك به مسلك عديّ، أو كان مذهبه مذهب حاتم؛ فقد كان متألِّها، ومن الخشية متولِّها..[٢٢]

كما هاجم أبو العلاء طائفة من الشعراء الذين "لا ينبئ نطق لسانهم عن اعتقادهم"، منهم دعبل ابن علي الخزاعي، قال عنه: "لم يلحقني الشك في أن دعبل بن علي لم يكن له دين، وكان يتظاهر بالتشيع، وإنما غرضه التكسب.."[٢٣]

وأشاد أبو بكر الشنتريني بشاعر جمع بين جودة القول والسيرة بقوله:" فمن أمدَّه الله بطبع يَغْنَى به عن التكّلف، ومادة غزيرة يقوى بها على التصرّف، ودين يبعثه على التوقِّي والتوقّف؛ فذلك الذي يُقْضَى بفضائله، ويُسْلَم من شرّه وغوائله.."[٢٤]

إن هذه الأقوال وأمثالها تنطلق من النص القرآنيّ على من يقولون ما لا يفعلون. وهي كلام نظري صادر عن تصور إسلاميّ خلقيّ، تريد أن يتحقق في القول الصدقُ الواقعيّ، ولا شك أن مثل هذا الصدق- إذا انطلق منه القائل- كان أحظى عند المخاطب، وأدعى للقبول عنده؛ إذ هو عندئذٍ أكثر حميمية، وأقرب إلى الدفء، وأبعد له عن النفاق والكذب.

ولكنّ طائفة من النقاد- على ما يبدو- ربطت بين قول الشاعر وفعله، فإذا قال في شعره- إني فعلت، أو إني صنعت؛ فإنه قد فعل وقد صنع؛ فحديث الشاعر عن أمر إقرار بإتيانه، ولذلك نجد من يردّ على هذا بأن الشعراء يقولون ما لا يفعلون، فابن خفاجة مثلًا ممّن يضيقون بالناقد الذي يؤاخذ الشاعر على ما يقوله، وهذا الناقد - في رأيه- يغفل عن طبيعة الشعر الذي يُقصد فيه التخييل، وليس القصد فيه الصدق، ولا يُعاب فيه الكذب ..[٢٥]

ولكنّ الأغلب على أقوال النّقاد والشّعراء أنفسهم عدم الربط بين الأقوال والأفعال. روي مثلًا عن عمر بن أبي ربيعة الذي أكثر من الحديث عن مغامراته الغرامية أنه لمّا مرض مرضه الذي مات فيه قال لأخيه الحارث لمّا وجد فيه جزعًا:" أحسبك تجزع لما تظنّه بي، والله ما أعلم أنّي ركبت فاحشة قطُّ"

وفي رواية أنه لمّا أشرف على أبي قُبيس- وبنو أخيه معه، وهم مُحْرِمُون- قال لبعضهم: خذْ بيدي، فأخذ بيده فقال: وربّ هذه البَنِيَّة- أي الكعبة- ما قلت لامرأة قطُّ شيئًا لم تقله لي، وما كشفت ثوبًا عن حرام قطُّ" [٢٦]

ولكنّ في الأغاني رواية أخرى مخالفة لهذه؛ فعن عبد الله بن عيّاش الهمذانيّ قال: لقيت عمر، فقلت له: يا أبا الخطاب، أكلّ ما قلتَه في شعرك فعلتَه؟ قال: نعم، وأستغفر الله.."[٢٧]

ولكنّ الزبير بن بكار مع الرأي الأول، وهو أن عمر بن أبي ربيعة قوّال غير فعّال. يقول: "لم يذهب على أحد من الرّواة أنّ عمر كان عفيفًا، يصف ولا يقف، ويحوم ولا يرِد "[٢٨]

بل إن بعض النقاد ممّن لا يربطون بين قول الشاعر وفعله ذهب في ذلك مذهبًا نفسيًا؛ فذكر أن ما ينسبه بعض الشعراء إلى أنفسهم من

أفعال قد يكون من باب التعويض؛ فابن شرف القيروانيّ يرى أنّ ما ذكره امرؤ القيس من مغامراته مع النساء، وفحشه بهنّ غير صحيح، هو قول بلا عمل، هو تعويض عن حرمانه بسبب أنه غير مقبول عند النساء؛ فقد كان - كما تذكر بعض الرّوايات التي استند إلها ابن شرف- مفرَّكًا عند الناس، وإذن فإنّه كان محرومًا من وصلهنّ وتعشقهنّ، وفي سبيل إشباع هذا الحرمات لجأ إلى اختلاق القصص، وجعل هذه القصص مكشوفة؛ تغطيّة لما كان يحسّه من نقص؛ وهو يذكر أنّ الشعور بالنقص عند بعضهم يحمله على ادعاء الزنا إفكًا وزورًا، وكذبًا وفجورًا..[٢٩]

وذكر ابن شرف مثل هذا عن الشاعر سحيم الذي شهد على نفسه بالزّنا في قوله:

تُـوَسِّـدُنـي كـفًـا وتَـثْـنِـي بمِعصمٍ

علـيّ وتـحـوي رجلَها مـن ورائـيـا

ويقدِّمه نموذجًا على الشاعر الذي يعمد إلى الادعاء، وينسب إلى نفسه ما لم يقم به إذا كان فاشلًا مع النساء لقبحه..

على حين مثلًا- كما يرى ابن شرف- أنّ شاعرًا مثل "المرقش" كان من أجمل الرّجال، وكان للنساء رغبة فيه، ولم يكن محرومًا من وصالهنّ؛ ولذلك نجده مستغنيًا عن التّظاهر بالإفصاح عمّا يجري له معهنّ..[٣٠]

ومن الواضح أنّ مثل هذه الآراء التي نجدها عند النقاد العرب- رابطةً بين سلوك الشاعر وإبداعه- تنطلق من فكرة أن الأدب عاكس لحياة الأفراد والجماعات، وقد يكون مرآة لحياة الأديب وسلوكه، ولذلك فليس صحيحًا ما ذكره حسين الواد " من أنّ العرب لم تعرف هذا المفهوم، وأنّ النقد العربيّ لم يُشِر إليه، ولم يرد في فهمها للأدب، ممّا يعني عدم معرفة دور الأدب الاجتماعيّ.."[٣١]

ولكن مثل هذه الأقـوال تبقى كلامًا نقديًّا نظريًّا، يدفع إليها الورع والحرص على تحقيق قاعدة إيمانية، وهي الصدق، واتساق الشخصية، وتبرئتها من النفاق، ولكنها لا تتخذ منه معيارًا في الحكم النقدي على فنية القول؛ فالفنية لا تعتدّ بشخصية القائل، ولا تحفل أن يكون على أية عقيدة أو سلوك أو صفة، إن الحكم على السيرة غير الحكم على الشّعر. والحكم على الشّخص غير الحكم على النّصّ.

ولذلك فإن بعض أصحاب هذا القول لن يثني على شعر ضعيف وإن كان قائله صالحًا أو ديِّنًا، إنه يحبِّذ – من غير شك- أن يصدر شعر الحقّ والجمال عن مبدع يتصف بالحقّ والجمال والسيرة الطيبة، أن يكون الشعر صورة عن شخصية قائله كما يقول أصحاب المنهج النفسيّ، ولكنه إذا لم يتحقق ذلك فليس أمامه للحكم النقدي إلا النّص وحده.

إن هذه الأقوال نظريةٌ تدعو الشعراء إلى التزام إيمانيّ صادق، ولكنّ هذا البحث معنِيٌّ – بصورة أساسية – بآراء النقاد الذين اتخذوا من سيرة الشاعر، أو عقيدته، أو خلقه وسلوكه الاجتماعيّ، معيارًا في الحكم النقديّ التطبيقيّ عليه.

ولا يتحدث هذا البحث عمّن أخّره النقاد، أو لم يحتجّوا بشعره بسبب ما يصدر عنه من قول سفيه يتجافى مع الدين أو الأخلاق، مثل عدم

احتجاج أبي عمرو الشيباني بشعر أبي نواس – مع جودته اللفظية- بسبب ما في معانيه من الفحش والسَّفه.

قال أبو عمرو: "لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرَّفَث لاحتججنا بشعره؛ لأنه محكم القول .."[٣٢]

وفي رواية: "لولا أنّ أبا نواس أفسد شعره بهذه الأقذار – يعني الخمور – لاحتججنا بشعره؛ لأنه محكم القول لا يخطئ"[٣٣]

وكتأخير الأصمعيّ للسيِّد الحميريِّ بسبب ما في شعره من معانٍ قبيحة كسبّ السّلف بسبب عقيدته الشيعية.

يقول الأصمعي: "قبّحه الله! ما أسلكه لطريق الفحول! لولا مذهبه، ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحدًا من طبقته"[٣٤].

وفي رواية: "قاتله الله! ما أطبعه، وأسلكه لسبيل الشعراء! والله لولا ما في شعره من سبّ السلف لما تقدمه من طبقته أحد.."[٣٥].

إن مثل هذه الأقوال هي من صميم النقد، ومن صميم الحكم النقديّ؛ لأنها تحتكم إلى معيار دينيّ خلقيّ في الحكم على المعاني وتقديرها، والمعنى هو جزء من جمالية النص.

فأبو نواس مجيد لفظًا، وهو محكم القول، ولكنه يفحش في المعاني فذاك يؤخره، ولا يجعله أهلًا لأن يُحتجّ بشعره.

والسيد الحميري شاعر مطبوع، يجيد صنعة الشّعر اللفظية، ولكنه يجنّد ذلك في خدمة معانٍ غير نبيلة، فهو – من وجهة نظر نقدية – جدير أن يؤخر، ولا يُروى شعره؛ فالشّعر بلفظه ومعناه، والحكم عليه يكون بهما معا.

ولكن هذا البحث- كما قلنا- لا يبحث في هذا الجانب، بل هو حول سيرة الشّعراء، وموقف النقاد منهم، وتأثيرها في أحكامهم.

ثانيًا: الجانب التّطبيقيّ:

عرف النّقد العربيّ آراء كثيرة تبيِّن موقف النّقاد من سلوك الشاعر وعقيدته، وتبيِّن أثر هذا السلوك في حكمهم النّقديّ عليه: تقديمًا، أو تأخيرًا، أو حيادًا.

وبيّن أيدينا آراء تقدّم لنا عدّة صور من هذه المواقف:

١- الحكم النقديّ لا علاقة له بسيرة الشاعر أو عقيدته:

قد يكون القاضي الجرجانيّ - صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه- من أبرز من عرض لهذه القضية، وقال فيها كلامًا حمله بعضهم على غير وجهه.

اتّهم بعضهم المتنبي برقة الدين، أو ضعف العقيدة في بعض أبيات شعره، واتّخذ من ذلك وسيلة للطعن في فنية شعره ذاته، وللانتقاص من شاعريته، فقال الجرجانيّ عبارة حاسمة تفصل بين الأمرين، قال: "لو كانت الديانة عارًا على الشّعر، وكان سوء الاعتقاد سببًا لتأخر الشاعر، لوجب أن يُمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عُدّت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر. ولوجب أن يكون كعب بن زهير، وابن الزِّبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعاب من أصحابه، بُكْمًا خُرْسًا، وبِكاء مُفْحَمين، ولكنّ الأمرين متباينان، والدِّين

بمعزل عن الشعر"[٣٦]

إن عبارة الجرجانيّ هذه لا تعني- كما فهم بعض الدّارسين- إبعاد الدِّين عن الشعر، ولا تعني الفصل بينهما، أو إلماعًا إلى أنهما نشاطان متنافران، أو أن اتصالهما قد يؤدي إلى إضعاف الشعر أو لينه كما فهم ذلك بعض الباحثين المعاصرين[٣٧]، ولكنه فصل بين الحكم على الشاعرية وبين سلوك صاحبها أو عقيدته.

إن الشّاعريّة موهبة من المواهب، وقد يؤتاها البرّ والفاجر، والمؤمن والكافر، ولن تمنعنا عقيدةُ شاعر أو أخلاقه من الإقرار بموهبته، ومن إنزاله مُنزله النقديَّ.

وهاهم أولاء النقاد يستشهدون بأشعار أهل الجاهلية، وبأشعار فسقة أو فجرة أو يهود، أو نصارى ما دامت جيِّدة معتبرة، تدعو إلى قيم الحقّ والخير، أو تشهد على قضيّة ما.

وبين يديّ عدد من أقوال النّقاد التي تجعل الحكم على شاعريّة الشّاعر أمرًا مستقلًا عن سلوكه وخلقه.

يقول الأصمعيّ عن أبي الطمحان القينيّ: "كان شاعرًا مجيدًا، وكان – مع ذلك – فاسقًا"[٣٨]..

وكان يقول عن الحطيئة: "كان الحطيئة جشعًا سؤولًا، دنيء النفس، كثير الشّرّ، بخيلًا، قبيح المنظر، رثّ الهيئة، مغموز النسب، فاسد الدين، وما تشاء في شعر شاعر عيبًا إلا وجدته فيه، وقلما نجد ذلك في شعره.."[٣٩]

وكذا ما قاله أبو عبيدة عن الحطيئة: "كان الحطيئة متين الشعر، وكان دنيء النفس"[٤٠]

ومرّ قول السّيوطيّ: كان أبو حيّة النميريّ "فصيحًا راجزًا من سكان البصرة، وكان أهوج جبانًا، بخيلًا كذابًا.."[٤١].

وقال الثعالبي عن أبي رياش: "كان باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها.. مع فصاحة وبيان، وإعراب وإتقان، ولكنه كان عديم المروءة، وسخ اللّبسة، كثير التقشف، قليل التّنظّف.."[٤٢]

وقال الشّريف المرتضى عن ابن المقفع:" كان ابن المقفع- مع قلّة دينه- جيّد الكلام، فصيح العبارة، له حكم وأمثال مستفادة"[٤٣]

وعلى الرغم من أنّ طائفة من النقاد زهدت في شعر أبي الحسن علي بن حفص الإشبيليّ بسبب مجونه وعبثه ؛إلا أن ابن بسام - وهو ممّن أنكروا شعر المجون- يعترف بشاعريّة أبي الحسن عليّ ابن حفص الإشبيليّ، وينتقد قومًا أسقطوه بسبب مجونه، وأضربوا عن ذكره .يقول عنه: "أحد من راش سهام الألفاظ بالسّحر الحلال.. وإني لأعجب من قوم من أهل أفقنا لم يعرفوه ولم ينصفوه، فأضربوا عن ذكره، وزهدوا في أعلاق شعره، ولعلهم حاسبوه بخزعبلات كان يعبث بها بين مجونه وسكره، وهيهات فضله أشهر، وإحسانه أكثر"[٤٤]

وقال ابن دحية في كتابه المطرب عن ابن هانئ الأندلسيّ:" وإنْ كان قبيح الغلوّ، شهير الاستهتار، فربما صدرت عنه دُرر تلحقه بالشعراء الكبار .."[٤٥]

وإذن فإن هنالك فريقًا من النقاد لم يؤاخذ الشاعر على سلوكه أو عقيدته، ولم يرَ في ذلك ما يمنع من الإقرار بشاعريته وتميّزه ، فالإقرار بالشّاعرية أمر، وقبول ما يقوله الشّاعر أمر.

٢- حسن السّيرة لا يشفع لضعف الشّاعريّة:

وإذا كان سوء سيرة الشّاعر، أو ضعف عقيدته، أو قبح أفعاله وأخلاقه لا يقدح في شاعريته، أو يكون سببًا للانتقاص من موهبته وشعره، فإن الصورة المعاكسة هي كذلك حاضرة في هذا النّقد العربيّ.

إن حسن السيرة ليس مسوِّغًا لحسن الشّاعرية، وإن دين الشّاعر، أو صحّة عقيدته، أو جمال أفعاله وأقواله، لا يشفع له أن يحظى عند النّقاد، أو يرقى به إلى منزلة فنيّة أعلى من المنزلة التي يستحقّها.

من ذلك مثلا ما قالته طائفة من النّقاد عن لبيد ابن ربيعة - رضي الله عنه - الذي كان متديِّنًا عفيفًا صالحًا، ولكنّ ذلك لا يقدّمه عندهم، ولا يبوِّئه منزلة الفحول من الشّعراء.

روى الأصمعيّ عن أستاذه أبي عمرو بن العلاء أنّه كان يجِلّ لبيدًا لصلاحه وتديّنه، ولكنّه لا يقدِّمه، ولا يرقى به إلى طبقة الفحول. قال الأصمعيّ: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: "ما أحد أحبّ إليّ شعرًا من لبيد بن ربيعة، لذكره الله - عز وجلّ – ولإسلامه، ولذكره الدين، ولكن شعره رحى بَزْر.. "[٤٦]

أي هو كأنّه بزر، ولكنّه لم ينضج أو يثمر.

ويتبَّنى الأصمعي رأي أستاذه، فيقول لأبي حاتم – وقد سأله عن شعر لبيد: "شعر لبيد كأنّه طيلسان طبريّ، يعني أنه جيد الصنعة، وليست له حلاوة"[٤٧]

ويسأله أبو حاتم: "أفحل هو؟ فيقول: ليس بفحل" قال أبو حاتم: وقال لي مرة: "كان رجلًا صالحًا، كأنه ينفي عنه جودة الشعر.."[٤٨]

ومثل ذلك ما قاله حسان بن ثابت – رضي الله عنه – عن شعر عمرو بن العاص: "ما هو شاعر، ولكنه عاقل"[٤٩]

ومثل ذلك قول الأصمعي عن أبي دواد الإيادي - وقد سأله عنه أبو حاتم -: "صالح، ولم يقل: إنه فحل.."[٥٠]

وفي موطن المقارنة بين شاعر صالح وشاعر أقلّ صلاحًا، يُقدم الثاني إذا كانت فنيته أعلى، ويؤخر الأول إذا كانت شاعريته ليست على المستوى المطلوب، ولم يشفع لأي منهما في الحكم النقدي سلوكه أو خلقه، أو سيرته.

وهذا ما عبر عنه أبو عمرو بن العلاء وهو يقارن بين لبيد والأعشى : لبيد الصّالح المتديّن، والأعشى المغموز في سيرته. لا يشفع صلاح لبيد وتقواه أن يقدَّم على الأعشى.

يقول أبو عمرو مفخِّمًا شأن الأعشى: "شاعر مجيد، كثير الأعاريض والافتتان. وإذا سئل عنه وعن لبيد قال: لبيد رجل صالح، والأعشى رجل شاعر.."[٥١]

ومن هذا القبيل تقديم بعض النقاد الأخطل النصراني على صاحبيْه المسلميْن: الفرزدق وجرير.

"كان أبو عمرو بن العلاء ويونس وحماد يقدمون الأخطل في الشعر على جرير والفرزدق"[٥٢]

ولا أحسب أنّ هناك أيّ حرج في أيٍّ من هذين الموقفين السابقين؛ ذلك أن "الشاعرية"

– كما سبق أن أشرنا – لا ترتبط بعقيدة أو سلوك أو خلق، ومن الإنصاف والعدل أن نشيد بفنية القول أيًّا كان منشئها: صالحًا أم فاسدًا، مؤمنًا أم كافرًا.

كما أن من غير الإنصاف أن نعطي أحدًا ما ليس له، أن نلصق به موهبة، أو عبقرية، بسبب دينه أو سلوكه.

إن مقولة الجرجانيّ هنا: "الدّين بمعزل عن الشّعر" هي الحكم العادل في هذه القضية.

٢- تأثير سيرة الشّاعر في الحكم النّقديّ:

ولكنّ هناك طائفة من النّقّاد العرب ربطوا بين سيرة الشّاعر وسيرته، وعندهم أنّ سوء السيرة، ورقّة الدّين، أو الانحراف العقديّ، يقدح في الشّاعرية، وهو عندهم معيار نقديّ من معايير تقديم الشّاعر وتأخيره.

ويبدو أن أصحاب هذ الاتّجاه كانوا يدّعون الشّاعر إلى التزام مثاليّ، وهو التزام يعتنق فيه القول بالعمل، ويصدّق فيه الفعلُ الكلام.

ولعلّه من هذا التّصوّر ربطت طائفة من النقاد الحكم النقديّ على الشاعر بعقيدته وخلقه، واتخذ ذلك عدة صور:

أ- رأى قوم أن **سوء السّيرة، ودنيء الفعال، حريان أن يؤخّرا** الشّاعر عن طبقته، ويقدّما من هو أنبل سلوكًا، وأصحّ دينًا، وإنْ كان أقلّ منه فنيّة.

ذكر أبو الفرج أن ابن سلام جعل الأحوص وابن قيس الرقيّات ونصيبًا وجميلًا طبقة واحدة، ولكنه جعل الأحوص بعد ابن قيس وبعد نصيب، وذلك أن الأحوص – لولا ما وضع نفسه به من دنيء الأخلاق والأفعال – أشدُّ تقدمًا منهما عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرواة، وهو أسمح طبعًا، وأسهل كلامًا، وأصحّ معنًى منهم.. وكان قليل المروءة والدين، هجّاء للناس، مأبونًا فيما يُروى عنه.."[٥٣]

وذكر البغدادي عند ترجمته للأحوص أن "الأحوص مقدّم عند أهل الحجاز، وأكثر الرواة، لولا أفعاله الدنيئة؛ لأنه أسمحهم طبعًا، وأسلسهم كلامًا. وكان يشبّب بنساء المدينة، ويشيع ذلك في الناس.."[٥٤]

إن الأحوص أجود شعرًا، وأسلس قولًا، وأسمح طبعًا من جميع الشعراء المذكورين، ولكن ابن سلام يؤخّره في الطبقة عنهم بسبب أفعاله الدنيئة، ورقة دينه، وسوء أخلاقه، وكان يمكن لهذا الشاعر المجيد فنيًّا أن يكون كذلك مقدمًا عند أهل الحجاز لولا صفاته السلوكية المذكورة، وقبح سيرته.

ومن هذا القبيل ما يراه أبو عمرو بن أبي العلاء، الذي رأيناه يفخّم شأن الأعشى- ويقدّمه على سوء سيرته- على لبيد الرجل الصّالح، ولكنّ الأعشى- ذا الشّاعريّة المتميّزة- كان يمكن له - لولا دناءة نفسه، وخساسة سلوكه- أن يقدّم على كثيرين.

يقول أبو عمرو عن الأعشى: "هو أشعر القوم، إلا أنه وضعه إلحافه بالسؤال"

واتّهم ابنُ سلام الأصمعيّ بأنه حمل على الكميت والطرماح لعقيدتهما المخالفة لعقيدته[٥٥]..

وكذا حال أبي نواس؛ إذ لولا سيرته السيّئة لتفوّق على جميع الشعراء، وقدّم عليهم. يقول

أبـو عبيدة عنـه:" لـولا تهتكه لفضح جميع الشّعراء.."[٥٦]"

واعترف بعض الشعراء أنفسهم بأن سوء سلوكهم، ودنيء أخلاقهم أخّرت منزلتهم . سأل ابن عباس- رضي الله عنهما- الحطيئة عن أشعر القوم؟ فقال:" لولا الطمع والجشع لكنت أشعر الماضين.[٥٧]

وأشار ابن رشيق إلى أن ما عُرف به بعض الشعراء من النفاق والتزلّف قد أسقط منزلتهم، فصار الخطيب أرفع منهم شأناً[٥٨]

ويؤخر الوزيرَ الكاتبَ أبا الحسن يوسفَ بنَ محمد سوءُ سيرته، ولو حسنت هذه السيرة لذاع أمره واشتهر.

يقول ابن بسام عنه: "أبو الحسين هذا كان من أسنى نجوم سعدهم، وأسمى هضاب مجدهم، ولولا ما خلا به من معاقرة العُقار، وتمسك بأسبابه من قضاء الأوطار، لملأ ذكره البلاد، وطبَّق نظمه ونثره الهضاب والوهاد.."[٥٩].

وما عبارة القاضي الجرجانيّ، التي سبق ذكرها: "الدّين بمعزل عن الشّعر"، إلا في موطن الردّ على من أسقط المتنبيّ بسبب ما زعم، أو نُمِي إليه، أن أبا الطيّب كان فاسد العقيدة، فرفض الجرجانيّ الربط بين الشاعرية والدّين.

ب - حسن السلوك يقدّم الشّاعر:

وفي المقابل فإن كان الشّاعر حميد السيرة، صحيح الدّين، قُدّم عند طائفة من النّقّاد على شاعر مغموز السيرة، وإنْ كان هذا الثّاني أجود فنيّة منه.

أورد أبو عبيدة حجة من قدم جريرًا بقوله: "يحتج من قدم جريرًا بأنه كان أكثرهم فنون شعر، وأسهلهم ألفاظًا، وأقلّهم تكلّفًا، وأرقّهم نسيبًا، وكان دينًا عفيفًا".

وفي رواية:" كان جرير - مع تشبيهه- عفيفًا، وكان الفرزدق فاسقًا"[٦٠]

واتكأ عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – على هذا المعيار في حكمه بين جرير والفرزدق، فقدم جريرًا على صاحبه لما رأى من عفته، ولما عرف عن الفرزدق من قبح الفعال، وقد بلغه أن الفرزدق زنى فنفاه، فقال – بعد أن حدث الناس بفعال كل منهما- : "عجبًا لقوم يفضلون الفرزدق على جرير مع عفة بطنه وفرجه"[٦١]

واهتمّ ابن بسّام بسلوك الأديب في ذاته، فقدّم الشّعر واختاره لنباهة قائله وإحسانه، لا لجودة شعره.."[٦٢]

وهـو يشيد بأبي عمرو أحمد بـن عيسى الألبيريّ، وعنده أنّ أبا عمرو ذهب بفصوص الأدب وعيونه؛ لأنه كان من أفراد الزّهّاد.[٦٣]

وفي المقابل فإنّ الوزير أبا الحسن يوسف بن محمد بن الجد- كما سبق- خمل ذكره- مع جودة أدبه- لمعاقرته العقار، وتمسّكه بأسبابه من قضاء الأوتار..[٦٤]

وعندما قال الصولي عبارته:" ما ظننتُ أنّ كفرًا ينقص من شعر، ولا أنّ إيمانًا يزيد فيه"[٦٥]" فإنما كان يردّ بها على من أسقط أبا تمّام، أو قدّم عليه البحتريّ؛ بسبب الزعم كذلك أن أبا تمّام رقيق الدّين، أو أنّ البحتريّ ًاحّ عقيدة منه.

وإذن، فقد أُثر عن طائفة من النقّاد العرب الرّبط بين سلوك الشّعر والحكم النّقديّ عليه، وعندئذٍ فإنّ هذه الطائفة تذهب إلى أبعد من مجرّد الرّبط بين الشّعر والدّين ،أو الشعر الأخلاق؛ تذهب إلى الرّبط بين الشّعر وبين سيرة منتجه.

إنّ النّقد هنا يتعسّف؛ إذ يتجاوز مجرّد التعامل مع النّصّ وحده، بصرف النظر عن قائله، ويتجاوز مجرد الحكم على مضمونه بصرف النّظر عن منشئه، ليقحم المؤلف وسيرته. وهذا ما رفضه أمثال الجرجانيّ والصّولي وغيرهما.

وختامًا أقول:

إنّ ثمّة فرقًا بين القاضي والناقد في الحكم على سلوك الشّاعر وسيرته؛ ذلك أن السلطان يحاسب الشاعر على القول والعمل، وإن كانت العقوبة في كلٍّ منهما مختلفة؛ فالشاعر الذي ذكر في شعره أنه شرب الخمر، أو أنه زنى، أو أنه قتل، ولكن لم يثبت أنه فعل ذلك لا يقام عليه حدّ الخمر، أو الزنى، أو القتل، ولكنه – عند قاض مسلم – قد يُعَذّر، أو يُتوَعّد لأنه أشاع الفاحشة، أو زيّنها، أو حرَض عليها.

وانطلاقًا من هذه القاعدة درأ بعض الشعراء عن أنفسهم عقوبة الحد، محتجين بأن الشعراء: - بحسب الوصف القرآني لهم – (يقولون ما لا يفعلون).

لما بلغ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قول سحيمٍ عبدِ بني الحسحاس:

تـوسّـدنـي كـفًـا وتـثـنـي بمعصم

عـلـيّ، وتـحـوي رجلها من ورائيا

وقوله:

ولـقـد تـحـدّر مـن كـريـمـةِ بعضهم

عـرقٌ على جنب الـسـريـر وطيبُ

هدده بالقتل، قال له: "ويلك! إنك لمقتول .."[٦٦]

فعمر يهدد سحيمًا بالقتل لأنه ذكر الفاحشة في شعره؛ فهو يذيع المنكر، ويزين الفحشاء، ولو ثبت أنه قد فعل هذا الذي يقول لكان له عقاب آخر عند عمر؛ فهو – السلطان القاضي – يحاسب على القول والفعل.

كان الأحوص يشبِّب بنساء الأشراف في المدينة، فنُهي فلم ينته، فشُكي إلى عامل سليمان ابن عبد الملك، فأمر سليمان بضربه مئة، وأن يقيمه على البُلُس للناس [٦٧] ثم يسيره إلى دهلك. وظلّ منفيًّا إلى أيام عمر بن عبد العزيز، فاستأذنه الأحوص في القدوم، فلما أُسمع شيئًا من شعره الماجن أبى ردّه، وقال: "لا رددته ما كان لي سلطان"[٦٨].

وعندما بلغ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أن والي ميسان قال:

فـمـنْ مبلغُ الـحـسـنـاءِ أنّ حليلها

بميسانَ يُسقى فـي زجـاج وحَنتمِ

إذا شـئـتُ غنتني دهـاقـيـنُ قـريـةٍ

ورقـاصـةٌ تجثو عـلـى كـلّ مَنسم

فـإن كنتَ نديماني فبالأكبر اسقِني

ولا تـسـقِـنـي بـالأصـغـر المتثلِّم

لـعـلّ أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـن يـسـوؤه

تـنـادُمُـنـا فـي الـجَـوْسـقِ المتهدِّم

قال: "وايم الله إنه ليسوؤني، وقد عزلتك". وقال النعمان: "والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط. وما ذاك الشعر إلا شيء طفح على لساني"؛ فصدق عمر أنه قال ولم يفعل، ولكنه عاقبه على القول. قال له: "أظن ذلك، ولكن والله لا تلي لي عملا ما بقيت وقد قلت ما قلت."[٦٩].

إن عمر القاضي السلطان يحاسب الشاعر على قول منحرف، ولو ثبت له أن شرب الخمر، أو فعل ما قال لكان هنالك عقاب يتناسب ونوع الفعل.

ذلك هو سلطان القاضي أو الحاكم، يحاسب على القول والعمل، ولكلٍّ عقاب من نوع معين. ولكن الناقد يعتمد على النص، ويحكم على صاحبه من خلاله. الناقد سلطان على النص، وليس له سلطان على الشخص، بل ليس ذلك من مهمته، ولا في مقدوره، وحكمه على أديب ما بأنه ملتزم قائم على ما يقوله لا على ما يفعله، على إبداعه لا على سيرته.

ولو صدرت الحكمة عن فاسق، أو ماجن، أو كافر، أو مجنون، فإنه لا شيء يمنع من أخذها، والإشادة بها، بل تبنيها والدعوة إليها.

وإن أرقى أنواع الالتزام عند الأدباء وغيرهم أن يقترن بالقول العملُ، وأن يصدِّق الفعلُ الكلامَ، ولكن الناقد لا يملك إلا النص الذي بين يديه .

وهكذا بدا واضحًا اهتمام التراث النقديّ والبلاغيّ عند العرب بسيرة المؤلف، ونفسيته، وأخلاقه، وعقيدته، واتخذ ذلك صورًا وأشكالًا متعدّدة من الرأي، ولذلك لا يبدو لي صحيحًا، ولا قائمًا على استقراء مستوفٍ ما ذكره محمد العمري بقوله:" ولم يقم على استقراء صحيح ما ذكره محمد العمري بقوله : إنّ " البلاغيين العرب - وإنْ لم يهتموا بالدّراسة النفسيّة والأخلاقيّة للمرسل والمتلقي؛ حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه، أو يراعيه من أحوال السّامعين.."[٧٠]

بل قد احتلّ الحديث عن أحوال الشعراء النّفسيّة، وعن أخلاقهم، وعقيدتهم، وسلوكهم الاجتماعيّ- كما أرى هذا البحث- حيّزًا غير قليل من اهتمام هؤلاء النقاد العرب، وأثرت عنهم آراء كثيرة حول ذلك، وقد أخذت هذه الآراء عدة اتجاهات؛ بعضها نظريّ، وبعضها تطبيقيّ.

الحواشي

(١) الموشّح:ص١٥

(٢) تاريخ النقد الأدبيّ، لإحسان عباس:٦٦٩

(٣) فنّ الشعر، لإحسان عباس:١٥٠

(٤) انظر" مناهج النّقد الأدبيّ" لديفيد ديتش: ٨٣-٨٥

(٥) خزانة الأدب:٤٧٨/٤

(٦) السابق:٧٦/٤

(٧) شرح شواهد المغني للسيوطي:٧٢١

(٨) الموشح:٥١٦

(٩) الموشح: ٥١٦

(١٠) نضرة الإغريض: ٣٦٦.

(١١) السابق، ص٣٦٩.

(١٢) العمدة:٧٨/١

(١٣) السابق

(١٤) الشعر والشعراء:١٣٩/١

(١٥) السابق:٣٢٢/١

(١٦) السابق:٣٢٩/١

(١٧) العمدة:١٩٦/١

(١٨) كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب: ابن الأثير: ص٤٣.

(١٩) إحكام صنعة الكلام: الكلاعي، ص٢٤٩.

(٢٠) أدب الكاتب: ص١٤.

(٢١) جواهر الآداب:ص٣٧

(٢٢) رسالة الغفران: ٤٨٠، والحقة: الناقة التي استحقت الحمل.

(٢٣) السابق: ص٤٢

(٢٤) جواهر الآداب:٣١٨

(٢٥) ديوان ابن خفاجة: ص ١٠-١١، نقلًا عن تاريخ النقد الأدبيّ لإحسان عباس :٥٠٦

(٢٦) الأغاني:٧٦/١

(٢٧) السابق:١٥٣/١

(٢٨) السابق:١١٩/١

(٢٩) رسائل الانتقاد:٤٣، وانظر " تاريخ النقد الأدبيّ" لإحسان عباس:٤٦٥- ٤٦٧

(٣٠) السابق:٤٤

(٣١) انظر" في مناهج الدراسات الأدبيّة":١٩-٢٤

(٣٢) طبقات الشعراء لابن المعتز: ص٢٠٢

(٣٣) السابق، وخزانة الأدب، ٣٤٨/١.

(٣٤) الأغاني: ٢٣٢/٧.

(٣٥) السابق: ٢٣٦/٧.

(٣٦) الوساطة: ص٦٤.

(٣٧) انظر مثلا عزالدين إسماعيل في "الأسس الجمالية في النقد العربي"، ص١٨١، ص١٨٣، ص١٨٥، ومحمود الربيعي في "في نقد الشعر"، ص٦٥، وعبدالله الغذامي في "النقد الثقافي"، ص٩٨.

(٣٨) العقد الفريد: ٣٧/٦.

(٣٩) خزانة الأدب للبغدادي: ٤٠٨/٢، الأغاني: ١٦٣/٢.

(٤٠) الأغاني: ١٦٥/٢.

(٤١) شرح شواهد المغني للسيوطي: ٧٢١.

(٤٢) يتيمة الدهر للثعالبي: ٣٥١/١.

(٤٣) أمالي المرتضى:١٣٧/١

(٤٤) الذخيرة: القسم الثاني/ الجزء الأول:١٥٩

(٤٥) المطرب في أشعار المغرب:١٩٢

(٤٦) الموشح للمرزباني: ص١٠٠.

(٤٧) السابق.

(٤٨) الموشح:

(٤٩) فحولة الشعراء للأصمعي، ص٣٧.

(٥٠) الموشح، ص١٠٠.

(٥١) خزانة الأدب: ١٧٦/١.

(٥٢) شرح شواهد المغني: ١٢٣/١.

(٥٣) الأغاني: ٢٣٣/٤

(٥٤) خزانة الأدب:١٨/٢

(٥٥) جمهرة أشعار العرب: ٢٠١/١

(٥٦) ديوان أبي نواس:ص١٤

(٥٧) اختيار الممتع في علم الشّعر وعمله:١٥٦

(٥٨) العمدة:٢٩٧/١، الأغاني:١٩٣/٢

(٥٩) الذخيرة: القسم الأول، المجلد الثاني:ص٤٢٠

(٦٠) العقد الفريد:٣٧/١

(٦١) اختار الممتع في علم الشعر وعمله:١٥٦

(٦٢) الذخيرة، القسم الأول، المجلد الأول:ص٣٢

(٦٣) السابق، القسم الثاني، المجلد الثاني:ص٤٨٧

(٦٤) السابق، القسم الثاني، المجلد الثاني:ص٥٥٦

(٦٥) أخبار أبي تمام:١٧٢

(٦٦) الأغاني:٣٠٥/٢٢،شرح شواهد المغني:٣٢٨/١

(٦٧) البلاس: ثوب من الشعر غليظ، جمعه: بُلُس.

(٦٨) خزانة الأدب:١٨/٢

(٦٩) طبقات ابن سعد:١٤٠/٤،الإصابة:١٦٥/١٠

(٧٠) في بلاغة الخطاب الإقناعيّ:ص٦٨ محمد العمري، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٢م.

المصـادر والمراجع

١- أحاديث في الأدب: رشيد الذوّادي، الهيئة المصرية العامّة، القاهرة:١٩٨٦م

٢- إحكام صنعة الكلام: الكلاعي، تحقيق محمد رضوان الدّاية، عالم الكتب، بيروت: ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

٣- أخبار أبي تمّام: الصّولي، تحقيق خليل عساكر، محمد عبده عزّام ،نظير الإسلام الهندي، المكتب التجاري، بيروت "د. ت"

٤- اختيار الممتع في علم الشعر وعمله: عبد الكريم النهشلي، تحقيق منجي الكعبي، الدّار العربية للكتاب، تونس- ليبيا: ١٩٧٨م

٥-أدب الكاتب: ابن قتيبة، تحقيق محمد الدّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت:١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م
٦- الأسس الجمالية في النقد العربيّ: عزّ الدّين إسماعيل، دار الفكر العربيّ للطباعة والنشر، مصر: ١٩٦٨م
٧-الإصابة لابن حجر العسقلاني، تحقيق طه الزيني، المكتبات الأزهرية، القاهرة:١٩٧٧م
٨- الأغاني: أبو الفرج الأصبهاني، ط دار الكتب المصرية
٩- تاريخ النقد الأدبي عند العرب: إحسان عبّاس، دار الشروق، عمان:١٩٩٣م
١٠- جمهرة أشعار العرب: أبو زيد القرشي، تحقيق محمد علي الهاشمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرّياض: ١٤٠١هـ- ١٩٨١م
١١- جواهر الآداب وذخائر الشعراء : محمد بن عبد الملك الشنتريني، تحقيق محمد قزقزان، وزارة الثقافة السورية، دمشق:٢٠٠٨م
١٢- خزانة الأدب: البغدادي، تحقيق عبد السّلام هارون، الهيئة المصرية العامة، القاهرة:١٩٧٦م
١٣- الذخيرة: ابن بسّام ،تحقيق إحسان عباس، الدّار العربية للكتاب، ليبيا- تونس:١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م
١٤- رسالة الغفران: أبو العلاء المعري، تحقيق عائشة عبد الرّحمن، دار المعارف، مصر: ١٩٧٧م
١٤- رسائل الانتقاد" مسائل الانتقاد" تحقيق شارل بلا، الجزائر:١٩٥٣
١٦- شرح شواهد المغني: السّيوطيّ، منشورات دار الحياة، بيروت "د.ت"
الشعر والشعراء: ابن قتيبة،
طبقات ابن سعد: دار صادر، بيروت:١٣٧٧هـ/١٩٥٧م
١٧- طبقات الشعراء: ابن المعتز، تحقيق عبد السّتّار فرّاج، دار المعارف، مصر:١٣٧٥هـ- ١٩٦٥م
١٨- طبقات فحول الشّعراء: ابن سلام الجمحيّ،: ابن تحقيق محمود شاكر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض "د.ت"
١٩-العقد الفريد: ابن عبد البرّ: ابن عبد ربه الأندلسيّ، تحقيق أحمد أمين، إبراهيم الإبياري، عبد السلام هارون، القاهرة:١٩٤٩م
٢٠- العمدة: ابن رشيق، تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد ،دار الجيل، بيروت:١٩٧٢م
٢١- فحولة الشّعراء: الأصمعيّ، تحقيق صلاح الدّن المنجد، بيروت: ١٩٧٢م
٢٢- في بلاغة الخطاب الإقناعي: محمد العمري، أفريقيا الشرق: ٢٠٠٢م
٢٣- فنّ الشعر: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت:١٩٩٣م
٢٤- في بلاغة الخطاب الإقناعي: محمد العمري، أفريقيا الشرق:٢٠٠٢م
٢٥- في مناهج الدّراسات الأدبيّة: حسين الواد، سراس للنشر، تونس:١٩٨٥م
١٨- في نقد الشعر: محمود الربيعي ،دار المعارف، مصر:١٩٦٨م
١٨- قضايا الشّعر الحديث: جهاد فاضل، دار الشروق، بيروت:١٩٨٤م
٢٦- كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب: ابن الأثير، تحقيق نوري القيسيّ، حاتم الضامن، هلال ناجي، جامعة الموصل، العراق: ١٩٨٢م
٢٧- كنز العمال: علاء الدّين الهندي، دار المكتب الإسلاميّ، دار صادر، بيروت" د. ت "
٢٨- المطرب في أشعار أهل المغرب: ابن دحية الكلبي، تحقيق إبراهيم الإبياري وزميليه، المطبعة الأميرية، القاهرة:١٩٩٣م
مناهج النّقد الأدبي: ديفيد ديتش، ترجمة إحسان عباس، دار صادر، بيروت: ١٩٧٦م
٢٩- الموشح: المرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة:١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م
٣٠- نضرة الإغريض في نصرة القريض: المظفّر العلوي، تحقيق نهى عارف، مجمع اللغة العربية، دمشق:١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م
٣١- النقد الثقافيّ: عبد الله الغذاميّ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء:٢٠٠٥م
٣٢- الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجانيّ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي البجاوي، عيسى البابي الحلبي،القاهرة:١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م
٣٣- وفيات الأعيان: ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت:١٣٨٨هـ/١٩٧٨م
٣٤- يتيمة الدّهر: الثعالبي، تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت:١٣٩٢هـ- ١٩٧٣م

التَّجنيسُ في التّراث النّقدي العربيّ:
كتاب "البرهان في وجوه البيان" لابن وهب الكاتب أنموذجًا

كريم الطيبـــي
المغرب

تُعدُّ قضيّة التّجنيس من القضايا النّقدية المهمّة التي اهتمّت بها نظرية الأدب حديثا، وذلك بناءً على ما أفرزته مدارس النّقد الحديث ومناهجه ونظريّاته من تصوّرات بنيوية تنظر في المؤسسات التي تؤطّر النّصوص الأدبية وقوالبها النّوعية وأبنيتها التكوينية، وذلك انطلاقا من اقتناع راسخ مفاده أنّ "النص الأدبي لا يخضع لقواعد اللغة فحسب، وإنّما يخضع لقواعد نظام آخر هو الجنس الأدبي"(١). وإذا كانت نظرية الأجناس وليدة تطوّر النقد الغربي، فإننا لا نعدم في تراثنا العربي البلاغي والنقدي أصولا وإرهاصات نظريّةً حاولت أن تُقدّم هندسة تجنيسية للأنواع الأدبية؛ إذ نجد إسهامات عديدة عند البلاغيين والنّقاد القدامى كالجاحظ وقدامة بن جعفر وأبي حيان التوحيدي وغيرهم في بلورة أسسٍ أجناسيّة، حاولوا من خلالها تصنيف الأنواع الأدبية التي عرفها الأدب العربي. ونسعى في هذه الدّراسة إلى الوقوف عند نظرية "الأجناس الأدبية" في التراث النقدي والبلاغي العربي القديم، من خلال افتحاص كتاب " البرهان في وجوه البيان" لابن وهب الكاتب (ت ق ٤ هـ)، والذي كان قد نُسب خطأ لقدامة بن جعفر تحت عنوان " نقد النّثر"، إذ نلمس في هذا الكتاب حضورا واعيا للتّصنيف الأجناسي. وسنحاول في هذا الدّراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما نظرية الأجناس الأدبية؟ هل كان النقد العربي القديم واعيًا بهذه النظرية؟ ما مدى حضور الفكر التّجنيسي في النقد العربي عمومًا وفي كتاب البرهان على وجه الخصوص؟

وتتبنّى هذه الورقة البحثية عدّة منهجية مختلفة أبرزها المنهج الوصفي الذي يسعفنا في توصيف الخطاطة التجنيسية التي تؤطّر مشروع ابن وهب، كما تتوسّل بالمنهج التّحليلي المشفوع بآليات المقارنة والحجاج والاستنتاج في قراءة هذا المشروع وإبراز إسهامه في بلورة رؤية أجناسية في التراث النقدي العربي القديم. وتتوزع مفاصل الدّراسة، بعد المقدمة، على

المباحث الآتية:

١- إضاءة حول نظرية الأجناس الأدبية.

٢- أصول نظرية الأجناس.

٣- التجنيس في كتاب البرهان في وجوه البيان:

أ- وقفة مع الكتاب وإشكال نسبته إلى غير مؤلّفه

ب- قضيّة التّجنيس في كتاب البرهان

خاتمة

أولا-إضاءة حول نظرية الأجناس الأدبية:

اِستطاعت قضيّة الأجناس الأدبية أن تنحت لنفسها حيزًا مهمًا في نظرية الأدب؛ إذ أصبحت مبحثًا حيويًا شكّل مجال اهتمام الكثير من النّقاد والدارسين؛ وإذا قمنا بالنبشِ في حفريات هذا المصطلح وخلفياته ألفينا أنه مستعار من العلوم الدَّقيقة و"بالضبط من البيولوجيا التي تُصنِّف الكائنات الحيّة إلى أجناس وأنـواع، وأصناف وأنماط. وترتكز النظرية البيولوجية على مجموعة من المعايير الدقيقة في التجميع والتصنيف، وكذا المرور من الجنس إلى النوع فالنمط؛ ويبدو أن هذه المعايير أخذت طريقها إلى العلوم الإنسانية والأدب على الخصوص"[٢].

بينما إذا تأمّلنا أوجـه المفهوم ومـا يحيل إليه من دلالات، وجدنا أنّ لفظة (Genre) تحيل، في أصولها اللاتينية، على "معنييْ الأصل والـولادة"[٣]. أما في المعاجم العربية القديمة، فكلمة "الجنس" تعني "الضرب من كل شيء"[٤]، كما تدل أيضًا على "اسم دال على كثرة مختلفين بالأنواع"[٥]، غير أنّ هذه المعاجم كانت تميِّز بين مصطلحي النوع والجنس تمييزًا واضحًا؛ فقد ورد في "لسان العرب" أن "النوع أخص من الجنس... والجنس أعمّ من النوع"[٦]. وتتفق المعاجم الفرنسية الحديثة مع ما سبق إقراره؛ حيث تعتبر بدورها أن "الجنس (Genre) أعم من النوع (Esece) وأن لكل جنس يتشكل من عدة أنواع متقاربة فيما بينها"[٧].

ومن ثمّ، يمكن القول إن الجنس هو: "تجميع لأنواع لها خاصية أو مجموعة من الخصائص المشتركة، ونشير بالجنس إلى تجميع أنواع لها مع بعضها تشابه جليّ في الخصائص الداخلية والشكل الخارجي"[٨]. أما النّوع فهو:" فرع للجنس، تجميع كائنات أشياء من طبيعة واحدة تمنحها خصائص مشتركة مميزة، وبواسطتها تتميز عن الكائنات أو الأشياء الأخرى التي تنتمي إلى نفس الجنس"[٩].

أما من الناحية الاصطلاحية، فقد قُدِّمت "للجنس الأدبـي" مفاهيم وتعريفات مختلفة باختلاف الخلفيات المعرفية التي صدرت عنها؛ فكيبيدي فارغا يرى أن نظرية الأجناس الأدبية هي" مقولة تسمح بالجمع بين عدد معيّن من النصوص حسب معايير مختلفة وترسي في الوقت نفسه قواعد لقراءة هذه النصوص وتأويلها[١٠]. ويذهب كارل فايتور إلى اعتبارها "إنتاجات فنية مبهمة الأصل التاريخي"[١١]. أما صاحبا كتاب "نظرية الأدب" فيقران أن نظرية الأنواع الأدبية "مبدأ للتنظيم، إنها تصنف الأدب وتاريخ الأدب لا على أساس الزمان والمكان (العصر أو اللغة القومية) ولكن على أساس أنماط أدبية خاصة من التنظيم والبناء"[١٢]. وهناك من يزعم أنّ نظرية الأجناس الأدبية "جملة من الصنعات الأسلوبية"[١٣]، و" طبقة من النصوص"[١٤]، وهي أيضًا " قالب أدبي"[١٥]. لأنَّ الأجناس الأدبية

"ليست مجرد فئات للتصنيف، بل مجموعات من المعايير والتوقّعات"[١٦]، كما أنَّ لكل نوعٍ أدبيٍّ خصوصيته؛ إذ "لا يعبِّر المرء بالطريقة نفسها عند كتابة رسالة إلى أحد أقربائه، أو رسالة إدارية، أو عقد موثق، أو بحث ماجستير، أو دراسة، أو رواية، أو قصيد، فلكل جنس طريقته في الكتابة، وتتخذ الأسلوبية مهمة وصف ماهية أسلوب جنس من الأجناس وتحليله"[١٧]. ومن ثمّ يفتح النَّوع الأدبيّ أفق انتظار للمتلقّي الذي يتفاعل مع النصوص الأدبية انطلاقا من خلفيته المعرفية المتعلقة بالأنواع[١٨]، وقد أكّد ستمبل هذا في قوله:" يعتبر الجنس مجموعة من المعايير تخبر القارئ عن الطريقة التي ينبغي أن يفهم بواسطتها نصه، ويعني ذلك أن الجنس سلطة تضمن قابلية فهم النص من وجهة نظر صياغته ومحتواه"[١٩].

يُفاد مما سبق، أن نظرية الأجناس الأدبية نظرية قائمة بذاتها، أساسها ضبط الأعمال الأدبية من خلال تصنيفها وتبويبها ووضعها في إطاراتها النوعية؛ فالإبداع الإنسانيّ يختلف ويتنوع حسب سماته وموضوعاته. ومن ثمّ، فإنّ الأمر يتعلق بنشاط "نظريّ تحليلي عماده تبويب النصوص الفردية وتجميعها في أجناس محددة بناء على السمات المميزة لها وانطلاقا من مصادرة أولية تقرّ بأن الأدب ليس ركامًا من النصوص المفردة بل مجموع ما بينها من علاقات. فليس بالإمكان أن نتصوّر نصًا أدبيًّا ما خارج أفق أجناسيّ يحيط به ويقدّم له مجموعة من الأعراف والتقاليد الأدبية قد يتقيّد بها إن كثيرًا وإن قليلا ولكنه لا بد في كلتا الحالتين أن يعقد معها صلة ما. فلم يوجد أدب قطّ دون أجناس"[٢٠].

يمكن القول، إذًا، إن "النوع الأدبي مؤسسة"[٢١]، والذات الكاتبة تخضع لنواميس هذه المؤسسة وتتقيّد بشروطها وإملاءاتها، و"الكاتب لا يعبّر إلا بما يسمح له النوع الذي يكتب فيه، النوع كما يتحدد في فترة ثقافية معينة"[٢٢].

ثانيًا-أصول نظرية الأجناس الأدبية:

تعود أصول نظرية الأجناس الأدبية إلى أرسطوطاليس وهوراس؛ إذ يمثلان أصل هذه النّظرية بامتياز، وهذا ما يقرّه صاحبا كتاب "نظرية الأدب" بقولهما:" تُعدّ كتب أرسطو وهوراس المصادر الكلاسيكية لنظرية الأنواع"[٢٣]؛ فالمحاولات التي قام بها هذان العلمان البارزان تعد من أقدم المحاولات التصنيفية وأبرزها وأكثرها تأثيرًا في نظرية الأدب بصفة عامة. وتحسن الإشارة إلى عَلمٍ آخر كان له قصب السبق في هذا المضمار، وهو الفيلسوف اليوناني "أفلاطون"؛ ففي كتابه المشهور "الجمهورية" "تناول الشعر اليونانيّ بالدرس فصنّفه إلى ضروب ثلاثة هي السردي الخالص، والمحاكاة أو العرض، والمشترك. وقام هذا التصنيف على مقياس "طرائق التلفظ"، فربط السردي الخالص بقصائد التمجيد التي يؤديها الشاعر نفسه، وخصّ المحاكاة أو العرض بالكوميديا أو التراجيديا اللتين تؤديان بأصوات الشخصيات، وحدّد المشترك بالملحمة لتداخل صوت الشاعر فيها مع أقوال الشخصيات"[٢٤]. غير أنّ تصورات أفلاطون لم يكتب لها الانتشار والذيوع؛ لأنه "لم يكن مهتمًا بتأسيس نظرية الأجناس الشعرية بقدر ما كان مهتما بدراسة

الشعر من وجهة نظر الإبداع وإحساسات الشاعر"[٢٥].

أما أرسطو، فهو المتربّعُ على عرشِ التأسيس؛ إذ يُعتبر المؤسس الأوّل لدعامة نظرية الأجناس الأدبية، وذلك انطلاقا من الاجتهادات المهمّة التي أصَّل لها في كتابه "فن الشعر"؛ إذ بلور مفهومًا نقديًا خاصًا هو "المحاكاة" على الرغم من أنه لم يشر إلى حدٍّ دقيق لهذا المفهوم في هذا الكتاب، إلا أنه أطلق مشروعًا نقديًا يرى أن المحاكاة هي منشأ الفنون جميعها؛ ومن بين الإشارات التي أومأ إليها أرسطو لمفهوم المحاكاة قوله:" إن المحاكاة ملكةٌ إبداعيَّة في الإنسان تظهر منذ الطفولة، والإنسان يختلف عن سائر الحيوان في كونه أكثر المخلوقات استعدادا للمحاكاة. فبها يكتسب معارفه الأولية وفيها يجد الناس لذة"[٢٦]. وفي كتابه "فن الشعر" نجد تمظهر نظرية الأجناس الأدبية في التصنيف الثلاثي المعروف: الملحمة، الدراما، الشعر الغنائي؛ فأرسطو يذهب إلى أن الشعر هو "محاكاة الفعل الإنساني حقيقيّا كان أو تخييليًّا"[٢٧]. وإذا كان أستاذه قد اعتمد كما مرّ بنا القول على مقياس "طرائق التلفظ"، فإنه قد اعتمد، في تصنيفه للشعر، على مقياسٍ آخر، يتكون من ثلاثة أسس هي: موضوع المحاكاة، صيغتها، ووسيلتها.

وتحضر نظرية الأجناس الأدبية في كتاب آخر لأرسطو هو كتاب "فن الخطابة"، الذي حاول فيه تصنيف النثر وتحديد أشكاله وأنماطه، وقد قسّم كتابه ثلاث مقالات:" اختص الأولى بفحص علاقة الخطابة بالجدل، وأفرد الثانية لدرس دور الخطابة في استمالة السامع، أما الثالثة فانتدبها لبحث الأسلوب الفني في الخطابة"[٢٨].

وفي معرض حديثه عن الأنواع، صنّف أرسطو الخطابة حسب أحوال المخاطب وأحوال السامع، ووصل إلى أنها تتوزع على ثلاثة أجناس هي:

١. **خطابة قضائية:** يكون المخاطب فيها قاضيا ينتظر منه إصدار حكم في قضايا وقعت في الماضي.

٢. **خطابة استشارية:** يكون فيها المخاطب عضوًا في جمعية يشاوره الخطيب في قضايا سياسية تهم المستقبل.

٣. **خطابة محفلية:** مجالها المحافل العامة حيث تلقى الخطب على الجمهور بغرض استمالته استحسانا أو استهجانا[٢٩].

يتضح بشكل جلي إسهام أرسطو في نظرية الأجناس الأدبية، وعلى الرغم أن خلفيات تصنيفاته كانت مرتبطة بواقع المجتمع اليوناني الذي كان يمتاز بالتراتبية وتقسيم الناس إلى طبقات، وعلى الرغم – أيضًا-من أن هذا التصنيف سُجلت عليه ملاحظات كثيرة، نذكر منها أنه "جزئي محدود لا يقدّم تفسيرًا للجنس الأدبي وهو إلى ذلك متعالٍ على حركة الزمان والتغيّر الثقافي ينحو إلى الثبات وتقديم قواعد صارمة للكتابة"[٣٠]. فإن مجهودات أرسطو في تأسيس نظرية الأجناس الأدبية بقيت صامدة في أعماق نظرية الأدب على مر العصور، لدرجة تمّ اعتبارها سُننًا أدبية لا تقبل التعديل أو التجديد؛ لتظل هذه التصورات قائمة بذاتها، حتى القرن العشرين إذ ستُثارُ مسألة الأجناس الأدبية من جديد، وسيتمّ إعادة النظر في التصورات التي قدّمها أرسطو؛ ولعل من أبرز من قام بمراجعة نقدية للتصورات الأرسطية ونظرية الأجناس الأدبية الكلاسيكية

الناقد الفرنسي "جيرار جينيت"؛ إذ اعتبرها:" فهما خاطئا"[٣١]، و"تفسيرا متسرعا"[٣٢]؛ لذلك بذل هذا الناقد قسطا وفيرا من الجهد في سبيل إعادة قراءة كتابات أفلاطون وأرسطو من أجل تصحيح تصوراتهم، ويمكن اعتبار دراسته "مدخل لجامع النص" "التي أفردها لمراجعة قضية الأجناس، منذ ظهورها مع أفلاطون وأرسطو إلى يومنا هذا، واحدة من أهم الدراسات في مجال نظرية الأجناس"[٣٣].

ثالثا-التجنيس في كتاب البرهان في وجوه البيان:

أ- وقفة مع الكتاب وإشكال نسبته إلى غير مؤلّفه:

أثار هذا الكتاب إشكالية بين الدّارسين؛ إذ إنّه ظهر ونُشر في أول الأمر منسوبا لقدامة بن جعفر صاحب كتاب "نقد الشّعر" تحت عنوان "نقد النثر"، وإذا كان محقّق هذا الكتاب "عبد الحميد العبادي" قد جزم بنسبة هذا الكتاب لقدامة؛ حيث أقرّ بذلك في قوله:" أما نحن فبعد طول البحث ثبت عندنا أن الكتاب المذكور لا بد أن يكون لقدامة كما جاء على الورقة الأولى منه"[٣٤]. فإن عميد الأدب "طه حسين" قد نفى هذا الأمر نفيًا قاطعًا إذا قال:" عنوان هذه الرسالة (نقد النثر) وهي تُنسب إلى قدامة بن جعفر الذي سبق الكلام عليه، ولكن المطلع عليها يرى أنها لا يمكن أن تكون له، بل هي في الغالب لكاتب شيعي ظاهر التشيّع قد صنَّف كتبًا عدّة في الفقه وعلوم الدّين يشير إليها ويحيل عليها في شيء من الطمأنينة والارتياح"[٣٥]. ويذهب في الطرح نفسه تلميذه "شوقي ضيف" الذي ساق معطى مهمّا حسم في الأمر، يقول:" وبينما الشك يلف الكتاب وصاحبه إذا ‹علي حسن عبد الحق› ينشر مقالا له في سنة ١٣٦٨هـ/١٩٨٤م بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق يقول فيه إن هذا الكتاب الذي طُبع باسم "نقد النثر" ونُسب خطأ إلى قدامة إنَّما هو جزء من كتاب "البرهان في وجوه البيان" لإسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب عثر عليه في بعض المكتبات الأوروبية"[٣٦]. ليخلص الناقد إلى خلاصة مؤداها أن المسألة:" خرجت من باب الشك إلى باب اليقين، فعنوان الكتاب ليس "نقد النثر" ومصنفه ليس قدامة"[٣٧]. وقد بسط "شوقي ضيف" القول في هذا الموضوع وذكر جملة من الأدلة التي تثبت هذا؛ أما المؤلف الحقيقي لهذا الكتاب الذي عنوانه "البرهان في وجوه البيان"، هو:" إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب، وأسرته كانت تخدم في الدواوين العباسية منذ عصر المأمون، وكان جدّه سليمان من جلّة الكتّاب، ووزير للخليفتين: المهتدي بالله والمعتمد على الله وتوفيّ سنة ٢٧٢"[٣٨].

ولعل من دواعي تأليف ابن وهب لهذا الكتاب هو معارضته لكتاب "البيان والتبيين" للجاحظ (ت٢٥٥هـ)؛ إذ على أنقاض المشروع الجاحظيّ، يبني ابن وهب الكاتب مشروعَه البلاغيّ ويُؤسّسه؛ فهو ينطلق من سدّ ما اعتور كتاب البيان والتبيين من نقص وما اعتراه من اللانسقية والتشتت[٣٩]، يقول ابن وهب:" فإنك ذكرت لي وقوفك على كتاب الجاحظ الذي سمّاه كتاب البيان والتبيين وإنك وجدته إنما ذكر فيه أخبارا منتخلة، وخطبا منتخبة، ولم يأت فيه بوظائف البيان، ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان، فكان عندك ما وقفت عليه غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب إليه"[٤٠]. نلاحظ أن ابن وهب ينتقد كتاب الجاحظ

نقدا لاذعا؛ إذ يعتبر أن كتابه يخلو من وصف البيان وتحديد أقسامه وخصائصه، أو بصيغة أخرى، "كأنه يريد أن يقول إن البحث في البيان ليس من شأن المتكلمين من أمثال الجاحظ إنما هو من شأن المتفلسفة الذين استوعبوا استيعابا دقيقًا كتابات أرسطو في المنطق والجدل والخطابة والشعر"[٤١]. وهكذا سيؤسِّس ابن وهب تصوّرا بيانيّا متجدّدا يحاول فيه أن يتجنّب المآخذ التي وقع الجاحظ في شَرَكها، وأن يحاول أن يضبط وظائف البيان وأقسامه.

وعلى الرّغم من أهمية كتاب البرهان، وطرافة مباحثه، وجدّته تبويبه، إلا أنّه لم يحظَ بكثير اهتمام من قبل الدّارسين قديمًا وحديثًا، ولم تلق اجتهاداته الاصطلاحية ومفهوماته للبلاغة، وتقعيده لوجوه البيان، ومنظومته التجنيسية المهمّة لأنواع الممارسات القولية في الكلام العربي، تفاعلا واستثمارا وتطويرا وتجويدًا، بل ظلّ الكتاب مغمورًا، وقد أشار الباحث عبد الله البهلول إلى هذا في قوله:" يُعد كتاب ‹البرهان في وجوه البيان› لابن وهب الكاتب من المصنفات النقدية المهمة لأسباب عديدة، منها ما اتصل بوضع هذا المصنف في التراث النقدي البلاغي؛ إذ ظل إلى عهد غير بعيد مغمورا، منسوبا إلى غير مؤلفه، واردا بغير عنوانه الأصلي. ومنا ما تعلق بانزياح هذا الأثر عن مألوف النقد عند العرب من حيث المنهج المعتمد في البحث وطريقة تشكيل المادة النقدية. ومنها ما هو موصول بمرجعيات الناقد"[٤٢].

وقد ظهر تحقيق دقيق، مع دراسة وافية شافية لهذا الكتاب[٤٣]، وهي التي نعتمدها في هذه الدّراسة.

ب- قضيّة التّجنيس في كتاب البرهان:

يكشف ابن وهب عن وجوه البيان، ويحصرها في أربعة وجوه يقول:" البيان على أربعة أوجه: فمنه بيان الأشياء بذواتها وإن لم تبن بلغاتها، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب، ومنه البيان باللّسان، ومنه البيان بالكتاب، وهو الذي يبلغ من بعُدَ وغاب"[٤٤]. وإذا كانت الوجوه الثلاثة (الاعتبار، الاعتقاد، الكتاب) لا تهمّنا في سياق بحثنا، فإننا قد ارتأينا تقليب النّظر في الوجه الثالث وهو بيان اللسان/ العبارة، إذ يعمد ابن وهب إلى تأصيل مفهوم الكلام وأقسامه وبيان النموذج الإرشادي الذي يهدي سبيل المتكلم إلى التمكّن من صناعتي الشعر والنّثر.

عقد المؤلف بابًا سمّاه "باب تأليف العبارة" وفيه ينطلق من تصور تجنيسي، وبعد تصنيفي، حيث يقسّم المدونة الكلامية العربية إلى قسمين رئيسين: المنظوم والمنثور؛ يقول: "اعلم أن سائر العبارة في لسان العرب إما أن يكون منظومًا، أو منثورًا. والمنظوم هو الشعر، والمنثور هو الكلام"[٤٥]. والملاحظة التي يمكن تسجيلها في هذا الصدد، هي عدم جِدّة هذا التصنيف فهو السائد لدى أغلب النقاد العرب المتقدمين والمتأخرين، غير أنّه يتعمّق في توصيف أنماط المنظوم وأصنافه، وهو ما يجعل الرؤية التصنيفية والنّزعة التجنيسية تتّضح بشكل أجلى؛ حيث قسّم الشعر إلى أربعة أنواع هي: القصيد، والرجز، والمسمط، والمزدوج، يقول ابن وهب:" فالشعر ينقسم أقساما منها: القصيد، وهو أحسنها وأشبهها بمذاهب الشعر. ومنها الرجز، وهو أخفها، والراجز الساقي الذي يسقي الماء، وكان الأصل في الأراجيز أن يرتجز بها السياقي على دلوه إذا مدَّها، ثم أخذت الشعراء فيه فلحق بالقصيد"[٤٦]. وكل نمط يتفرع إلى فنون مختلفة، وتوضح الخطاطة الآتية[٤٧] التقسيمات التي سبق ذكرها للشعر:

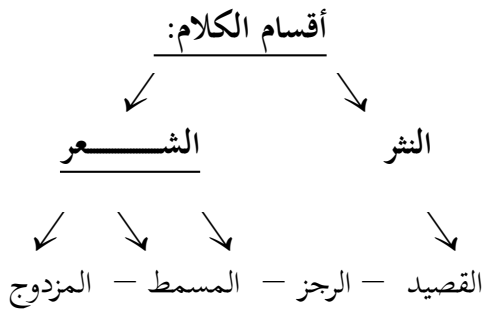

ثمّ عرج إلى الحديث عن الأغـراض التي ينطلق فيها الشّاعر، كما اهتم برصد القوانين والمقوّمات الّتي من شأنها أن تجعل من الشعر كلاما بليغا ومن الشاعر قائلا بارعا، ومن ثمّ، لم يخرج عن التصوّر الذي بلوره الجاحظ والذي عمد إلى صياغة قوانين الخطاب وشروط القول البليغ.

ومن جهة أخرى، ينتقل المؤلف إلى الجنس الثاني الذي يتشكّل منه كلام العرب وهو النثر، وقد أفرد له مبحثًا خاصًا وسَمَهُ بـِ:"المنثور"، وهنا نسجل ملاحظة تسترعي انتباهنا هي الاهتمام الكبير الذي أوْلته الكتب النقدية العربية للشعر في مقابل ذلك تهميش جنس النثر، وقد تفطن كثير من النقاد لهذه القضية وعبروا عنها تعبيرًا صريحًا، وعلى رأس هؤلاء الناقد الجزائري "عبد المالك مرتاض"، حيث أشار في معرض كلامه قائلا:" ألفينا معظم الكتابات النقدية القديمة تضطرب من حول الشعر، لا من حول النثر، أساسًا، وذلك مثل "الشعر والشعراء" لابن قتيبة، و"طبقات فحول الشعراء" لمحمد بن سلام الجمحي، و"نقد الشعر" لقدامة بن جعفر، و"الموازنة بين أبي تمام والبحتري" للحسن بن بشير الآمدي، و"معجم الشعراء" لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني...إلى سواء ذلك من أمهات الدراسات الأدبية النقدية، التي كتبت في العهود الأولى من التاريخ العربي الحافل"[٤٨]. وغير بعيد من هذا الـرأي يقرّ الباحث محمّد مشبال حقيقة ارتباط الاجتهاد البلاغي العربي بجنس الشعر ومدى ارتباطه الوثيق ببلاغته، يقول:" فنحن نرى أنّ البلاغة العربية تنطوي في كنهها على تصور جمالي شعري غير قادر على احتواء جماليات أجناس النثر وأساليبه"[٤٩]. إن هذه العناية التي انصرفت إلى جنس الشعر كانت سببًا في عدم "قيام أي تصور جنسي للسرد أو لأحد أنواعه الأدبية"[٥٠]، عكس ما حفل به الشعر من تصورات تجنيسية مختلفة.

ومن ثمّ، نستشعر أهمية الباب الـوارد في كتاب "البرهان في وجوه البيان" الذي يسعى فيه المؤلف إلى صياغة رؤية تجنيسية علمية للمنثور، فقد قسّم النثر إلى أربعة أقسام هي: الخطابة والترسل والاحتجاج والحديث؛ يقول:" وأما المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابة، أو ترسلا، أو احتجاجا، أو حديثا، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يُستعمل فيه"[٥١]، فالخطب: "تستعمل في إصلاح ذات البين، وإطفاء نار الحرب، وحمالة الدماء، والتسديد للملك، والتأكيد للعهد. وفي عقد الأملاك، وفي الدعاء إلى الله عز وجـلّ، وفي الإشـادة بالمناقب، ولكل ما أريد ذكره ونشره وشهرته بين الناس"[٥٢]. أما الترسل: فهو يستعمل" في الاحتجاج على من زاغ من أهل الأطـراف، وذكـر الفتوح، وفي الاعتذارات والمعاتبات وغير ذلك مما يجري في الرسائل والمكاتبات"[٥٣]. بينما يقصد بالاحتجاج الجدل وإقامة الحجة، ويستعمل في المناظرات والديانات والخصومات؛ وأخيرًا الحديث وهو ما يجري بين الناس في مخاطباتهم ومناقلاتهم.

ونوضّح هذا في الخطاطة الآتية:

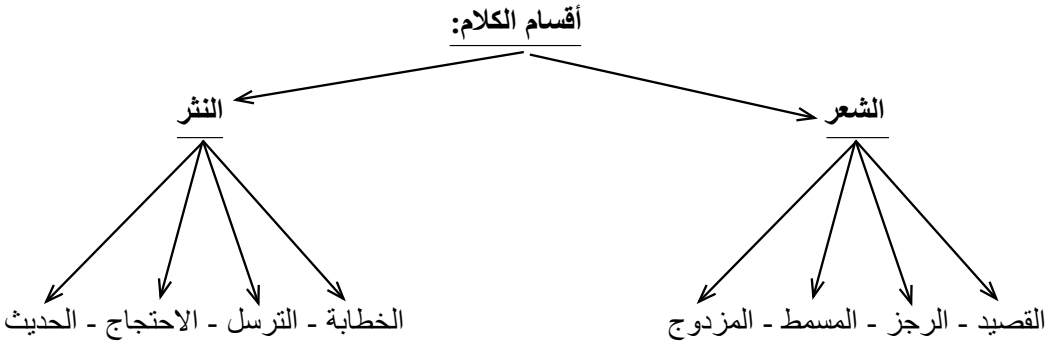

وإذا كان ابن وهب قد وضع قوانين وقواعد وخصائص للسّنن الشعرية، فإنه ينصّ، في أكثر من موضع، على أن هذه الشروط الفنّية والخطابية هي سارية على الكلام العربي شعره ونثره، يقول:" وقد ذكرنا المطالب التي يصير بها الشعر حسناً وبالجودة موصوفا، والمعاني التي يصير بها قبيحًا مرذولا. وقلنا: إن الشعر كلام مؤلف، فما حسن منه فهو في الكلام حسن، وما قبح منه فهو في الكلام القبيح. فكلّ ما ذكرناه هناك من أوصـاف جيد الشعر فاستعمله في الخطابة والترسل، وكلُّ ما قلناه من معايبه فتجنبه هاهنا"[٥٤] فهذا الملفوظ النّقدي يبرز تصوّرا شموليا يعكس "بلاغة عامّة" تشكل كل الأجناس الأدبية المنظومة والمنثورة. ونظرا لخصوصية بعض الأنواع النّثرية كالخطابة، تفطّن ابن وهب إلى أنّ ضمن هذه البلاغة "بلاغات خاصّة"؛ حيث ذكر سمات تلك الأجناس وبلاغته وأشار إلى شروطها وقوانينها، من ذلك ما ذكره في هذا الملفوظ: "والبلاغة في الجميع واحدة، والعيّ فيه قريب من قريب، إلا أن الخطابة لما كانت مسموعة من قائلها ومأخوذة من لفظ مؤلفها، وكان الناس جميعا يرمقونه ويتصفحون وجهه، كان الخطأ فيها غير مأمون، والحصر عند القيام بها مخوفًا محذورًا"[٥٥]. كما يتوقّف عند بلاغة خاصّة تقترن بالشّعر دون غيره، فأشار إلى بعض خصائصه البلاغية التي تزيد من قدرته التعبيرية والتأثيرية، يقول:" ومما يزيد في حسن الشعر، ويمكن له حلاوة في الصدر: حسن الإنشاد، وحلاوة النغمة"[٥٦].

يتّضح من خـلال ما سبق، بـروز الوعي الأجناسي النّظري عند ابن وهب في برهانه؛ إذ انبرى يكشف انصرافه إلى تأسيس تصور ناضج يبزّ به تصور الجاحظ من جهة، ويحاكي به تصور أرسطو من جهة ثانية، بيد أن المرجعية الأرسطية في تقسيم الكلام لم تعزبه عن الانطلاق من الخصوصية التعبيرية في الأدب العربي، لذلك عمد إلى ضبط المنثور انطلاقا من الإنتاج السائد لدى العرب. ومن الخصوصية التعبيرية والأجناسية التي امتاز بها الكلام العربي شعرا ونثرا. بيد أنّ النّزعة الفلسفية المنطقية كانت حاضرة في الكتاب، وقد تنبّه إلى هذا العديد من الباحثين، من ذلك قول عبد العزيز شبيل:" كان يجاري الفلاسفة في اعتبارهم الأدب فرعًا تابعًا للمنطق وجزءًا من قسم الحكمة العملية ضمن

المنظومة الفلسفية"[٥٧]. وغير بعيد عن هذا الرأي، سجّل عادل عبد اللطيف الملاحظة نفسها على دراسة ابن وهب قائلا: " وقد اعتمدت هذه الدراسة الترتيب المنطقي وعكست جهدا بالغا في التصنيف"[٥٨]، كما دقّق عبد الله البهلول في المصطلحات النّقدية التي وظفها الكاتب ليستشف نزعة فلسفية يونانية من محمولاتها الدلالية، يقول:" استند ابن وهب في التصنيف والترتيب إلى معيار الموضع:" ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يُستعمل فيه"، والمواضع في الأصل لفظة منقولة من اليونانية يراد بها مصادر الأدلة التي يمكن للخطيب استعمالها في كل مقام لإثبات قوله"[٥٩]. ويمكن إجمالا الوقوف عند المفاصل الكبرى التي تفصح عن الخلفية الفلسفية اليونانية التي اغترف منها ابن وهب تصوّره البلاغي عامّة والتجنيسيّ على وجه الخصوص في المشيرات الآتية:

- يحيلنا تقسيم ابن وهب إلى تقسيم أرسطو للخطابات (الخطاب القضائي/ الخطاب الاستشاري/ الخطاب الاحتفالي). فقد تأسّى هذا العقل التجنيسي وحاول أن يضع خريطة لتصنيف الكلام العربي وتبويبه.
- تعبّر هذه المنظومة التجنيسية عن البعد الوظيفي التداولي للأنواع الأدبية؛ إذ "بيّن أهمية الخطابة موضوعًا وغرضًا ومقصدًا"[٦٠]. فإذا كانت أغلب المصنفات البلاغية قد توّجهت إلى بلاغة العبارة وجمالية الأسلوب، فإن تصوّر ابن وهب قد تنبّه إلى الوظيفة الإقناعية التأثيرية للكلام، فقد "استند البيان في البرهان إلى الاستدلال والإقناع، ومن ثم ارتبطت بلاغة ابن وهب شأنها في ذلك شأن بلاغة الجاحظ بالاتجاه الخطابي، ويمكن تلمس الصفة الإقناعية في دفاع ابن وهب عن البيان المعرفي"[٦١].
- انشغال ابن وهب بعرض تصوّر يشمل قواعد إنتاج الخطاب المقنع والبليغ.

وعلى الرّغم من أهمية هذا التصوّر، وجدّة أفكار الكتاب التجنيسية، فإن هذا التجنيس تعرض لسهام النقاد، فقد سُجلت عليه ملاحظ كثيرة، وذُكرت فيه مآخذ متعددة، فقد لاحظ الناقد "عبد العزيز شبيل" أن الكتاب يطرح إشكالا متعلقا بالمستوى المصطلحي، حيث وجد أن المؤلِّف "لم يسلم من الخلط الاصطلاحي، كغيره من النقاد"[٦٢]، ومردّ هذا الخلط – حسب الناقد – هو أنه "كان يجاري الفلاسفة في اعتبارهم الأدب فرعًا تابعًا للمنطق وجزءًا من قسم الحكمة العملية ضمن المنظومة الفلسفية"[٦٣]. أما الباحث "محمد القاضي" فقد استرعى انتباهه إغفال ابن وهب لنوع بارز في النثر وهو القصص والحكايات، يقول:" نلاحظ تغييب القصص والحكايات من الأنواع النثرية لدى ابن وهب"[٦٤]. لكنه يستدرك عن هذه الملاحظة بقوله:" إلا أن هذا التغييب لن يدوم طويلا إذ ستطفو هذه الأنواع مع ذكر ابن وهب للأمثال كوسيلة للتعبير الفني، فيربط بين الأمثال والقصص برباط وثيق وكان لهما نفس الوظيفة والبنية"[٦٥]. وانتهى الباحث إلى الإشادة بالمجهود التجنيسي الذي سَكّه ابن وهب، باعتباره يمتاز بالجِدّة والانتصار للنثر الذي

لطالما ضرب عنه النقاد العرب صفحًا وطووا عنه كشحًا، يقول "محمد القاضي":" إن لمَّ شتات تصور ابن وهب، يضعنا أمام موقف جديد للأنواع، فهو يضع الشعر في خانة مستقلة، ويقدم أغراضه المختلفة. ثم يضع في الخانة الثانية المنثور، وضمن هذا المنثور يقدم أنواعًا منه إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة هو: القصص والأمثال؛ أي الأنواع السردية الحكائية"[٦٦].

ومهما يكن، فإنّ ابن وهب الكاتب قد سعى إلى صياغة تصور تجنيسي للكلام العربي، بناء على أسس نقدية واضحة المعالم، على عكس الكتب النقدية الأخرى التي ظهرت فيها ملامح نظرية في الأجناس الأدبية انطلاقا من خلفية الدفاع عن القرآن الكريم باعتباره نصًا مقدّسًا يخرج عن دائرة التصنيف والتجنيس، فقد كان "علماء القرآن وبلاغيوه ينحون بالقرآن إلى المتعالي والمعجز، فلم يسموه لا نثرًا ولا شعرًا"[٦٧]. ومن أجل تقوية تصورهم هذا وتجاوز مقولة "النظم في القرآن" كان لا بد من إثارة مسألة الأجناس الأدبية، "لأن البلاغة العربية قد نشأت أساسًا من أجل خدمة النص القرآني والبرهنة على إعجازه وأنها لم تر في الأجناس الأدبية الأخرى أكثر من وسيلة لتحقيق ذلك"[٦٨]. وهذا الذي فعله الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين"، إذ "لم يفكر في إنشاء نظرية لتصنيف النصوص، وإن كان يمارس هذا التصنيف بشكل غير مباشر، وهذا ما جعله يعطي لكل مجموعة من النصوص تسمية معينة تدل عليها، غير أن التأمل الدقيق في هذه التسميات يبين عدم انسجامها وتماسكها، وغياب المعيار المنطقي المضبوط لهذا التصنيف"[٦٩].

ومن ثمّ ندرك أن ابن وهب كان واعيًا بالحاجة الملحّة إلى تجنيس التراكمات الأدبية التي انتشرت بين النّاس؛ لذلك حاول استثمار الأدب السائد في فترته ليؤسس تصورًا خاصًا يتماهى وتلك الأشكال الأدبية الفنية، ولا نواري مدى استفادته من الفكر الفلسفي اليوناني خصوصا كتابات أرسطو التي شكّلت الملهم الأول والمشكاة التي أنارت طريقه؛ والحق أن اجتهاده شكّل لبنة تجنيسية في صرح النقد العربي القديم؛ لأن تصنيفه هو "أدنى التصنيفات إلى الكمال، وإن كنا نأخذ عليه إغفاله بعض الأنواع، وكذا إغفاله بيان موقع القرآن من أجناس الكلام المعروفة إذ ذاك"[٧٠].

خاتمة:

صحيح أن التأمل في التراث البلاغي العربي يؤكد أن أغلب التّواليف النّقدية اتّجهت إلى الاهتمام بديوان العرب تأصيلا وتنظيرا وتصنيفا ونقدا، غير أنّ ما رصدته هذه الدراسة، من خلال افتحاص قضية التجنيس في كتاب "البرهان في وجوه البيان" يجعلنا نطمئن لحال نظرية الأجناس الأدبية في النقد العربي القديم، فالكتاب يصدر عن وعي تجنيسي ويبلور تصوّرا واضح الملامح لنظرية الأجناس الأدبية العربية، ويكشف اجتهادا محمودًا لا يتأتى بسهولة بالنظر إلى الحقبة الزمنية التي ظهر فيها هذا الكتاب. على أنّ هذه القضية شائكة ومعقّدة تحتاج لمزيد من الحفر في مصنّفات البلاغيين والنّقاد القدامى لمحاولة استجلاء نظرية منسجمة البناء وواضحة

المعالم تكون مؤطّرة لجميع الأشكال التعبيرية التي راكمها اللسان العربي.

لقد بيّنت الدّراسة أن كتاب البرهان لابن وهب يحتضن تصوّرا ناضجا يؤطّر الأجناس الأدبية، ما يعني أنّ الإقبال على إعادة قراءة تراثنا النقدي والبلاغي قراءة واعية ومعمقة ومتأنّية قمين بأن يكشف لنا عمق هذا التّراث وغناه وأصالته. وهذه الخصائص المميّزة وإن استفادت من التراث النقدي الإنساني (الثقافة اليونانية بالخصوص) على مستوى التصوّرات النظريّة، إلا أنّ جهود النقاد القدامى ظلت لصيقة بالأجناس العربية الأصيلة، وهو ما وقفنا عليه في هذه الدّراسة انطلاقا من نموذج ابن وهب.

الحواشي

١. عبد الله البهلول، الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع الهجري: مقاربة أسلوبية حجاجية، دار الانتشار العربي بيروت، ودار علي الحامي تونس، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان، ط١، ٢٠١١م، ص:٨٦.

٢. سعيد جبار، الخبر في السرد العربي: الثوابت والمتغيرات، المدارس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م.ص:٤٨.

٣. محمد القاضي (إشـراف)، معجم السرديات، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط١، ٢٠١٠م، ص:١٣٠.

٤. نفسه، ص:١٣٠.

٥. نفسه، ص: ١٣٠.

٦. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: يوسف خياط، دار لسان العرب بيروت، ج١، ص:٥١٤، ج٣، ص:٧٤٤.

٧. أحمد المسناوي، نظرية الأجناس الأدبية، عالم الفكر، ع٣، المجلد ٤٠، ٢٠١٢، ص: ٢٠٩.

٨. سعيد جبار، الخبر في السرد العربي: الثوابت والمتغيرات، ص: ٤٨

٩. نفسه، ص: ٤٨.

١٠. محمد القاضي (إشراف)، معجم السرديات، ص: ١٣٠.

١١. سعيد جبار، الخبر في السرد العربي: الثوابت والمتغيرات، ص: ٤٩.

١٢. رينيه وليك وأوستن وارن، نظرية الأدب، تر: عادل سلامة، دار المريخ للنشر، ص: ٣١٤.

١٣. رشيد يحياوي، مقدمات في نظرية الأنواع الأدبية، إفريقيا الشرق، البيضاء، ط٢، ١٩٩١م، ص: ٩.

١٤. نفسه، ص: ن.

١٥. نفسه، ص: ن.

١٦. جوناثان كلر، نحو نظرية لأدب اللانوع، ضمن كتاب:" القصة الرواية المؤلف: دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة" ترجمة: خيري دومة، مراجعة: سيد البحراوي، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط١ سنة ١٩٩٧م، ص:١٩٣.

١٧. روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة: عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة- بيروت، ط١ سنة ٢٠٠٧م، ص:١٩٩

١٨. يرى عبد الله البهلول أن:" النص الأدبي لا يخضع لقواعد اللغة فحسب، وإنّما يخضع لقواعد نظام آخر هو الجنس الأدبي، والجنس مكره للكاتب، ولكن التمرّد عليه لا يُلغي المفهوم بقدر ما يؤكّده، فما من أثر أدبي ينشأ إلا يكون له في أذهان قارئيه أو متقبّليه أفق انتظار متمثّل في مجموعة من القواعد السابقة الوجود المتغيّرة باستمرار، وهي قواعد توجّه فهم القارئ وتمكّنه من تقبّل تقويمي". انظر دراسته: الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا: مقاربة أسلوبية حجاجية، دار محمد علي الحامي والانتشار العربي وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان، ط١ سنة ٢٠١١م، ص:٨٦.

١٩. عبد العزيز شبيل، الأجناس الأدبية في التراث النثري: جدلية الحضور والغياب، دار محمد علي الحامي – تونس، ط١ سنة ٢٠٠١م، ص: ٧٤.

٢٠. محمد القاضي (إشراف)، معجم السرديات، ص: ١٣٠.

٢١. رينيه وليك وأوستن وارن، نظرية الأدب، ص: ٣١٣.

٢٢. عبد الفتاح كيليطو، الحديث عن الذات في كتاب التعريف لابن خلدون، مجلة الجدل، العدد ٦-٥، مارس ١٩٨٧م، ص:٦.

٢٣. رينيه وليك وأوستن وارن، نظرية الأدب، ص: ٣١٥.

٢٤. محمد القاضي (إشراف)، معجم السرديات، ص: ١٣٠.

٢٥. سعيد جبار، الخبر في السرد العربي: الثوابت والمتغيرات، ص: ٥٢.

٢٦. محمد القاضي (إشراف)، معجم السرديات، ص: ٣٧٤.

٢٧. نفسه، ص:١٣٠

٢٨. مصطفى الغرافي، في مسألة النوع الأدبي، عالم الفكر، ع١، مجلد ٤٢، ٢٠١٣م، ص: ١٣٠.

٢٩. نفسه، ص: ١٣٠.

٣٠. محمد القاضي (إشراف)، معجم السرديات، ص: ١٣١.

٣١. أحمد المسناوي، نظرية الأنواع الأدبية، ص:١٧.

٣٢. نفسه. ص:١٧.

٣٣. مصطفى الغرافي، في مسألة النوع الأدبي، ص: ١٣٠.

٣٤. نقد النثر، ص: ٤٢.

٣٥. نقد النثر، ص: ١٩.

٣٦. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط١٣، ص: ٩٣.

٣٧. نفسه، ص: ٩٣

٣٨. نفسه، ص: ٩٥.

٣٩. أشار أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ)، إلى هذه السّمة التي ميّزت كتابات الجاحظ؛ إذ تحدّث عن منهج الجاحظ في كتاب البيان والتبيين، جاء فيها ما يلي:" وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وهو لعمري كثير الفوائد، جمع المنافع، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة، والفقر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء، وما نبّه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة، وغير ذلك من فنونه المختارة، ونعوته المستحسنة، إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة، وأقسام البيان والفصاحة، مبثوثة في تضاعيفه، ومنتشرة في أثنائه، فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد إلا بالتأمل الطويل، والتصفح الكثير". كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، سنة ١٩٨٩. ص:١٣

٤٠. في وجوه البيان، ص: ٥١-٥٢.

٤١. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص: ٩٦.

٤٢. عبد الله البهلول، بلاغة الجدل في مصنفات النقد الأدبي، مجلة عالم الفكر، العدد ٤، المجلد ٤١، أبريل يونيو ٢٠١٣م، ص:١٥٨.

٤٣. البرهان في وجوه البيان، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مكتبة الرشد، ط١، ٢٠١٢م.

٤٤. البرهان في وجوه البيان، ص:٦٠

٤٥. البرهان، ص: ١٦٠.

٤٦. نفسه، ص: ١٦٠.

٤٧. استفدنا من خطاطات الباحث فاضل عبود التميمي في دراسته: النقد العربي القديم والوعي بأهمية الأجناس الأدبية مقولات الجاحظ وابن وهب الكاتب مثالاً، مجلة العميد، المجلد الثاني، العددان ٢ و٣، تشرين الثاني، ٢٠١٢م.

٤٨. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في

تقنيات السرد، عالم المعرفة، ع ٢٤٠، ١٩٩٨م، ص: ١٨.

٤٩. محمّد مشبال، البلاغة والأصول: دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي نموذج ابن جني، ص:١٣.

٥٠. أحمد المسناوي، نظرية الأجناس الأدبية، عالم الفكر، ع٣، المجلد ٤٠، ٢٠١٢، ص: ٢١١.

٥١. البرهان، ص: ١٩١.

٥٢. نفسه: ص: ن.

٥٣. البرهان في وجوه البيان، ص: ن.

٥٤. نفسه، ص: ١٩٢.

٥٥. نفسه، ص: ١٩١.

٥٦. البرهان في وجوه البيان، ص: ١٨٦.

٥٧. راجع: عبد العزيز شبيل، نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، ص: ٣٧٥.

٥٨. عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف (بيروت)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، دار الأمان (الرباط)، ط١، ٢٠١٣م، ص: ٦٨.

٥٩. عبد الله البهلول، بلاغة الجدل في مصنفات النقد الأدبي، ص: ١٦٤.

٦٠. نفسه، ص: ن.

٦١. عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: ٦٨.

٦٢. عبد العزيز سبيل، نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، ص: ٣٧٥.

٦٣. نفســــــــه، ص:٣٧٥.

٦٤. محمد القاضي، الخبر في السرد العربي، ص: ٧٢.

٦٥. نفســــــــه، ص: ٧٢.

٦٦. محمد القاضي، الخبر في السرد العربي، ص: ٧٣.

٦٧. عبد اللطيف الوراري، الشعر والنثر في التراث البلاغي والنقدي، ضمن كتاب المجلة العربية، عدد ٤٣٨، يونيو ٢٠١٣م، ص:٢٩

٦٨. الإمام العزوزي، البلاغة العربية وجنس النثر: تجنيس المقامة نموذجًا، الصورة، ع٥، ٢٠٠٣م، ص: ٢٦.

٦٩. محمد القاضي، الخبر في السرد العربي، ص: ٧٠.

٧٠. عبد اللطيف الـوراري، ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي، ص:١٨٣.

قائمة المصـادر والمراجع

- أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٧٢م.
- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٢، سنة ١٩٨٩م.
- أحمد محمد ويس، ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي بحث في المشاكلة والاختلاف، منشورات وزارة الثقافة، سورية، ٢٠٠٢م.
- ابن وهب الكاتب، البرهان في وجـوه البيان، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مكتبة الرشد، ط١، ٢٠١٢م.
- جوناثان كلر، نحو نظرية لأدب اللانوع، ضمن كتاب:" القصة الرواية المؤلف: دراسـات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة" ترجمة: خيري دومـة، مراجعة: سيد البحراوي، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط١ سنة ١٩٩٧م.
- رشيد يحياوي، مقدمات في نظرية الأنواع الأدبية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩١م.
- روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة: عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة- بيروت، ط١ سنة ٢٠٠٧م.
- رينيه وليك وأوستن وارن: نظرية الأدب، تر: عادل سلامة، دار المريخ للنشر.
- سعيد جبار، الخبر في السرد العربي الثوابت والمتغيرات، المدارس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م.

- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتـاريـخ، دار المعارف، ط١٣.
- عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف (بيروت)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، دار الأمان (الرباط)، ط١، ٢٠١٣م.
- عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف (بيروت)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، دار الأمان (الرباط)، ط١، ٢٠١٣م.
- عبد العزيز شبيل: نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري جدلية الحضور والغياب، دار محمد علي الحامي، تونس، ط١، ٢٠٠١م.
- عبد الله البهلول، الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع الهجري: مقاربة أسلوبية حجاجية، دار الانتشار العربي-بيروت ودار علي الحامي-تونس وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان، ط١، ٢٠١١م.
- محمد القاضي (إشراف)، معجم السرديات، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط١، ٢٠١٠م.
- محمد مشبال، البلاغة والأصول: دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي نموذج ابن جني، أفريقيا الشرق، البيضاء، ٢٠٠٧م.

الدّراسات:

- أحمد المسناوي، نظرية الأجناس الأدبية، عالم الفكر، العدد ٣، المجلد ٤٠، ٢٠١٢م.
- الإمام العزوزي، البلاغة العربية وجنس النثر: تجنيس المقامة نموذجًا، الصورة، العدد ٥، شتاء ٢٠٠٣م.
- عبد الفتاح كيليطو، الحديث عن الذات في كتاب التعريف لابن خلدون، مجلة الجدل، العدد ٦-٥، مارس ١٩٨٧م.
- عبد اللطيف الوراري، الشعر والنثر في التراث البلاغي والنقدي، ضمن كتاب المجلة العربية، عدد ٤٣٨، يونيو ٢٠١٣م.
- عبد الله البهلول، بلاغة الجدل في مصنفات النقد الأدبي، مجلة عالم الفكر، العدد ٤، المجلد ٤١، أبريل- يونيو ٢٠١٣م.
- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، العدد ٢٤٠، ١٩٩٨م.
- مصطفى الغرافي، في مسألة النوع الأدبي، مجلة عالم الفكر، العدد ١، المجلد ٤٢، ٢٠١٣م.

الحرير في بلاد المغرب والأندلس صناعة عربية بامتياز خلال العصر الوسيط

عصام منصور صالح عبد المولى
كلية الآداب، جامعة طبرق
ليبيا

من إشكاليات دراسة مثل هذه المواضيع غياب الحديث الكامل عنها في المصنفات التاريخية العربية، عكس الدراسات الغربية التي قطعت أشواطًا بما توفر لها من ثراء مصدري، تمثل في أرشيف محفوظ في الكنائس والمكتبات العامة والخاصة، من مستندات إدارية ووثائق أدبية، نتج عنه تراكم معرفي، مكن لمثل هذه الدراسات بإظهارها بأدق التفاصيل، بعكس الدراسات العربية، التي عاقها انعدام الحظ الذي نالته الدراسات الغربية؛ لذا تزداد المشكلة صعوبة عند محاولة كتابة تاريخ حرفة همشها المؤرخون، وهو أمر لم ينج منه تاريخ المركز المشرق ـ، وبخاصة خلال الحقبة القديمة السابقة لظهور الإسلام بحثًا عن أخبار جذور هذه الصناعة، لجمع كل ما من شأنه التعريف بها، فثمة كثير من التساؤلات تطرح نفسها أولها زمن دخول هذه الصناعة بلاد العرب لرصد حركتها من المشرق إلى المغرب؛ ولعل أولى الإشارات المصدرية الصريحة التي تفيد ذلك جاءت من زمن القرن الخامس الهجري، وهو عصر البكري المتوفى ٤٨٧هـ[١]، غير أن هذا التاريخ لا يمكن التعويل عليه كثيرًا، على الاعتقاد أن دخول صناعة الحرير إلى بلاد المغرب كانت قبل هذا التاريخ، كون البكري ينقل كثيرًا عن الورّاق القيرواني المتوفى سنة ٣٦٣هـ، وتأكيد ذلك إشارات مصدرية أخرى تعود إلى زمن القرن الثالث الهجري وربما قبله[٢]، علاوة على تردد صدى ذلك في المصادر الفقهية المغربية، بإشارات مقتضبة تعود لزمن أبو محمد قاسم بن أصبغ البياني " ٢٤٤هـ ـ عام ٣٤٠هـ"[٣].

وهي تظل إشارات لا ننكر فائدتها ولا بأس بها، غير أنه يعاب على مصادرها اهتمامها فقط بوصف الأرض، والمناخ والمياه، والمحاصيل الزراعية، والفعاليات التجارية، وطرق المواصلات، وذكر البلدان ومميزاتها وخيراتها، فاكتفت بذكر هذا النشاط الزراعي الصناعي من خلال وصفها لوفرة الإنتاج أو جودته، من منطقة إلى أخرى، مع إغفال تام عن إيراد تفاصيل الظروف والعوامل التي ساعدت على ذلك، وحدت حدوها المصادر الفقهية، فتطرقها

لهذا النشاط ينم على كبر حجمه، عندما فصلت في القضايا والمنازعات، التي تنشأ عن عمليات الشراكة في إنتاجه[٤]، إلا أنها غيبت الحديث حول الكيفية التي كانت تتم بها عمليات الإنتاج، والتقنيات المستخدمة، غير أنه لا نستطيع إلقاء اللوم كله عليها، فهي اهتمت بما يهم ما أُلفت من اجله .

على كل حال فإن الثابت لدينا أن صناعة الحرير لم تعرفها بلاد المغرب قبل دخول العرب إليها فاتحين، ذلك أنه لم ترد أي إشارة مصدرية عنه ضمن قوائم أصناف الخراج الذي فرضه المسلمين على المحاصيل الزراعية والمنتجات الصناعية، مثلما حدث في المشرق وحسب ما تنص عليه الشريعة وكيفية التعامل مع أهل الأرض المفتوحة.

الواقع أن البحث يحتاج لجهد ووقت مضاعفين وذلك لا يكون إلا بالصبر والمثابرة والاجتهاد والتقاط الإشارات المصدرية وتحليلها، واستنطاق النصوص التاريخية، لسد فجوات الموضوع، وبالقياس على حالات سابقة أو لاحقة ومقارنتها، في حيز جغرافي غير الذي حددناه للدراسة، كقياس المشرق على المغرب، بحكم سيولة الحضارة وانسيابها، وذلك من باب نظرية تبعية الأطراف للمركز، ولربما الأيام ستجود بظهور مخطوطات لم تر النور، تشفي الغليل بالإجابة عن كل تساؤلات منطقية تطرح نفسها.

١ـ براعة العرب في الزراعة:

إن ما يهمنا هو محاولة معرفة الكيفية والتقنية والخبرة والمهارة التي اعتمدها العرب في جلب وتوطين شجرة التوت، التي هي الأساس في عملية إنتاج الحرير، فللأسف مصادرنا التاريخية لم تفصح كل الإفصاح عن ذلك، فمن المؤكد أنها تحتاج عناية خاصة، ودراية في علم الزراعة، من حيث حسن اختيار المكان المناسب لزراعتها؛ أي مُشابه لبيئتها الأولى في بلاد المشرق، وهذا إن نم على شيء إنما ينم على أن صناعة الحرير في بلاد المغرب صناعة عربية بامتياز، علاوة على ذلك الخبرة في تربية الدودة، دودة القز التي تتغذى على أوراق التوت، وتنتج الحرير كما تنتج النحلة العسل .

والمهم في الأمر إن المهارة في الزراعة والبستنة والدراية بالأشجار المثمرة هي عوامل لم يكن العرب في المغرب والأندلس ببعيدين عنها، فمنذ استقرارهم في بلاد المغرب طفقوا في زراعة الأشجار المثمرة كل منها حسب ما يتلاءم مع طبيعة الأرض التي استقروا فيها، فكانت لهم بساتين الفاكهة انتشرت من برقة حتى أقصى غرب حدود بلاد المغرب، فكانت من بينها شجرة التوت التي تتغذي علي أوراقها دودة القز، التي تنتج مادة الحرير[٥]، مثلها مثل جلبهم إلى بلاد المغرب من الحجاز أنواع من النخيل لم تكن موجودة قبلهم مثل، البرني والعجوة والصبحاني[٦].

بل تطور الأمر باتخاذ ما يمكن أن نسميه مراكز أبحاث زراعية، وهو ما صنعه عبد الرحمن بن معاوية سليل قبيلة قريش المتوفى سنة ١٧٢هـ بالأندلس منذ أول أيامه بها، عندما أنشأ منية الرصافة للنزهة، وجعل فيها حدائق نقل إليها غرائب الغروس من كل ناحية[٧]، ربما هي الصوبات الزراعية في وقتنا الحالي، وعلى أثره اقتدى حفيده الخليفة عبد الرحمن الناصر المتوفى سنة ٣٥٠هـ، متخذًا في قرطبة حديقة خصصها للنباتات الطبية، وطفق في إرسال

المختصين في علم النبات إلى كل حدب وصوب، لجلب بذور كل نبات نادر، فجلبوا عديد النباتات الطبية الصناعية، لغرض ضمها إلى حديقته[٨]، وقاموا بالإشراف عليها، حتى غدت مختبرًا زراعيًا تجرى فيه التجارب العلمية على البذور المجلوبة من خارج الأندلس، لغرض أقلمتها وتهيئة البيئة المناسبة لإنباتها، وربما يكون أشجار التوت من بينها ولكن أُهمل ذكره[٩].

وربما أن الأغالبة سبقوا أمويين الأندلس في هذا المضمار وهم عرب عدنانيين جاءوا من المشرق لحكم بلاد المغرب سنة ١٨٤هـ، ومنها وطوال فترة حكمهم التي استمرت أكثر من قرن من الزمان، نراهم عاكفين على توسيع الرقعة الزراعية لبلاد المغرب وبخاصة أفريقية، وذلك باستقدام مهندسين عرب من المشرق، لاستحداث طرق جديدة للري، علاوة على عكوفهم على نقل المعارف المشرقية أي العربية، وبيت الحكمة في القيروان خير دليل على ذلك، عندما صار أكبر مركز لنسخ المؤلفات المشرقية، من مختلف العلوم من طب وهندسة وفلك ونبات[١٠]، وهو محاكاة لبيت الحكمة في بغداد الذي أسسه الخليفة العباسي هارون الرشيد[١١].

لاَ مُماحكة في القول إن أهم ما اعترض محاولتنا من عراقيل تمثل في غياب كتب الحيوان أو الحشرات التي أُلف كثير منها في بلاد المشرق، وعز وجودها لدى مؤرخي بلاد المغرب، الجناح الغربي للدولة العربية الإسلامية، وهي فن من التأليف التاريخي العلمي، تطور عند المسلمين في العصور الوسطى، يتناول فيه المؤلف شجرة من الأشجار[١٢]، أو حيوان أو حشرة من الحشرات، متحدثًا عن كل ما يتعلق به من حيث هيئتها وخلقتها، وأجناسها، وطريقة عيشها، وغذائها وأوصاف مسكنها، والظروف التي تتأقلم معها، وأمراضها وطرق علاجها، فثمة هناك العديد من المؤلفات التي وضعت عن النحل وكيفية تربيته، ولعل أقدمها كتاب النحل، للمدائني، أبو الحسن علي بن محمد، المتوفى سنة ٢١٥هـ[١٣]، ويليه كتاب النحل والعسل، للأصمعي، المتوفى سنة ٢١٦هـ[١٤]، وكذلك كتاب النحل والعسل، للدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، المتوفى سنة ٢٨٢هـ[١٥]، وأيضًا كتاب النحل، للزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله، المتوفى سنة ٢٣٦هـ[١٦]، علاوة على كتاب النحل والعسل، للسجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان، المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وأيضًا كتاب الأهوازي، النحل وأجناسه[١٧]، والأصفهاني، علي بن حمزة، ت: ٣٧٥، رسالة في وصف النحل والشهد[١٨]، وأبي عمرو الشيباني، سنة ٢٠٦هـ، كتاب النحل والعسل[١٩]، ولتقي الدين المقريزي كتاب نحلة عبر النحل[٢٠].

ربما كانت الخبرات والتقنيات التي سخرت من أجل جني العسل من النحل، قريبة الشبه من تربية دودة القز لاستخراج مادة الحرير منها، ولو سُعدنا بوجود مثل هذه المؤلفات عن تربية دود القز لكان أنجع وأسلم في دراسة جل جوانب الموضوع، وهو أمر ربما علته راجعة إلى سر المهنة باحتكار خبرتها، فكانت شفوية تنتقل من جيل إلى جيل يتوارثها الأبناء عن الآباء، ومؤكد أنها كانت تحتاج عناية خاصة، وخبرة وتقنية ومهارة، فإن إنتاجها ليس بالهين والدليل هو ارتفاع أسعار الحرير، وما يؤكد صدق ذلك بلوغ ثمن العمامة المصنوعة من الحرير بمدينة سوسة بأكثر من مائة دينار[٢١]، في حين أن غيرها من الثياب لم يتعد خمسة دراهم[٢٢]، وبخاصة الملابس

المصنوعة من الصوف، وذلك تبعًا لوفرة المادة الخام، إذ كان ثمن الصوف ٢٤ رطلًا بدينار[٢٣]، وهو خفيف الوزن يزن الكثير؛ أي الرطلين ونصف بدرهم، الرطل يعادل ٤٠٦ .٢٥ جرام، مما يعني أن ٢٤ رطلا تساوي ١٠كجم، وبهذا يكون ثمن الكيلو الواحد بدرهم[٢٤].

ولعل ما يؤكد ما ذهبنا إليه عدم شيوع سر الصنعة واحتكار الخبرة، احتكار الأغالبة لها، ومن بعدهم الفاطميين وثم الحفصيين، عندما أبعدوا دور صناعته بعيدًا عن المدن والأسواق، بتخصيصهم الرباطات مكانًا لها[٢٥].

على كل حال لزم الأمر ألا نقف مكتوفي الأيدي مع غياب هذا النوع من المصادر المهمة لدراستنا؛ لذلك لم يعد أمامنا مفر من الاعتماد على ما يتوفر لدينا من نوعيات أخرى من المصادر، ككتب التاريخ والجغرافيا وكتب الطبقات والتراجم وكتب البلدان، وجمع المادة التاريخية منها والتقاط إشاراتها، ووضعها جنبًا إلى جنب، لتكوين صورة تقترب من الكمال .

٢ـ التقنيات المستخدمة:

قلة المصادر وقصورها عن تقصي دقائق هذه الخبرة لم تترك لنا معلومات كافية تساعدنا على الوصول التام لرسم صورة كاملة عن حيثيات هذه الصناعة، من زمن دخولها إلى بلاد المغرب، إلى كل ما يتعلق بتقنيات إنتاجه وكيف كانت، والآليات المستخدمة، والظروف التي ساعدت على إنتاجه، بل من قصورها أعجزتنا على الولوج إلى التاريخ الكمي الإحصائي، فيما يخص كميات إنتاجه وانتشاره، فالحرير مادته الخام محصول كأي محصول نباتي حيواني فلابد له من تقنية وخبرة تختلف في إنتاجه وجودته عن إنتاج أي محصول آخر، من حيث البيئة ودرجات الحرارة والحراثة، وكميات المياه ومواعيد معينة من السقاية، وكميات معينة من السماد، علاوة على التحضير لصناعة بتحويله من ماده خام إلى مادة صناعية، من حيث طريقة جني المحصول إلى أساليب تخزينه علاوة، على الآلات والأدوات المستخدمة في تحضير المادة الحريرية .

وان كان هذا لا يمنع من محاولة إثبات أنها صناعة للعرب فضل في إدخالها إلى بلاد المغرب والأندلس، فلا تعوزنا القرائن الدالة على ذلك، فكان منها انتشار زراعة التوت في أماكن استقرار العرب في بلاد المغرب، حتى في النائية منها مثل ودان[٢٦]، الواقعة جنوب طرابلس على بعد مسيرة ستة أيام[٢٧]، والتي استقر بها بعض بطون قبيلة حضر موت اليمنية، وبطون قبيلة قريش العدنانية منها بنو سهم[٢٨]، وبنو عويج بن عدي بن كعب، رهط الخليفة عمر بن الخطاب[٢٩]، وبقابس التي لا تبعد كثيرًا عن القيروان بها ما بها من شجر التوت الكثير وتنتج الواحدة منها ما لا تنتجه خمس شجرات من غيرها[٣٠]، وهي مستقر لقبيلة المعافر اليمنية، ولهم بها قرية تعرف باسمهم المعافريين[٣١]، ولا نستبعد أنهم هم من أنتجوا الحرير، واشتغلوا بالحياكة والنسيج[٣٢]، فقد كانوا في موطنهم الأول اليمن والحجاز أبرع العرب في ذلك قبل الإسلام وبعده، حتى إنه فُرض على قبيلة المعافر باليمن من الجزية أيام الرسول صلى الله عليه وسلم دينارًا، أو عدله ثوبًا معافريًا[٣٣]، بل كانت منسوجاتهم وبخاصة المعافر، أو المعافري من أحسن ما تُكسى به الكعبة قبل الإسلام[٣٤]، واستمرت شهرتهم بالمهارة والإتقان في الإسلام،

حتى صار يضرب بهم المثل: " هم بين دابغ جلد وناسج بُرد"[٣٥]، وفي غير قابس انتشرت تربية دودة الحرير وعلوفتها من ورق التوت، وتُوسع في حجم النشاط ليتعدى من النشاط الفردي إلى الجماعي؛ ليتدخل الفقهاء في تنظيمها، من حيث الشراكة والأجرة، وخاصة الأخيرة لما لها من دلالة على كثرة استئجار اليد العاملة للعمل فيها[٣٦]، ومن دلائل اتخاذ العرب المستقرين في أفريقية لهذا النشاط، وبخاصة في القيروان، أن هناك من الأسر وتحديدًا من قبيلة تميم العدنانية، حملت لقب القزاز[٣٧].

بل انتقلت صناعة الحرير إلى تونس المدينة العربية الصرفة، التي عادلت القيروان بكثرة العرب المستقرين بها وحولها[٣٨]، يشهد على ذلك عديد القرى الزراعية، التي حملت أسماء قبائل عربية، ويمنية بالذات[٣٩]، لازالت باقية حتى الآن، على الرغم من مضي أربعة عشر قرنًا، تؤكد على كثافة استقرارهم فيها وحولها، كقرية الأنصاريين، نُسبت إلى قوم نزلوها من الأنصار، وهي طيبة الأرض كثيرة الريع[٤٠]، ومثل قرية المهرين، وهو نسبة إلى قبيلة مهرة، وقرية الأزدين نسبة إلى قبيلة الأزد[٤١]، والشامين[٤٢]، نسبة إلى الشام، والمرجح جدًا إن أهلها من جيش حسان بن النعمان الخارج معه من الشام، وعدته أربعين ألف مقاتل، أغلبهم من القبائل اليمنية[٤٣]، بل كانت في تونس قرية تسمى الحريرية[٤٤]، اشتهرت بالحرير إنتاجًا وصناعة، عندما انتشرت بها زراعة أشجار التوت، وعلى الرغم من تأخر زمن مصدر المعلومة[٤٥]، فلا بأس في ذلك فهي تفيد أول ما تفيد بالدليل المادي أن طبيعة أراضي قرى مدينة تونس ملائمة لزراعة أشجار التوت، وربما أن العرب استطاعوا تطويع الأرض لتلائم عملية إنبات الشجرة، أو العكس تطويع الشجرة لتتكيف مع الأرض والبيئة. ومثلما عرف عرب بلاد المغرب صناعة الحرير كذلك عرفه عرب الأندلس، وهي الأخرى شهدت استقرارًا عربيًا مكثفًا ومبكرًا، وحسب المعطيات الواقعية شكلت القبائل اليمنية أغلبية في الأندلس حسب نص صريح للمقري، بقوله: **"والقحطانية وهم المعرفون باليمانية .. وهم الأكثر بالأندلس"**[٤٦]، يقاس نفس الحال على بلاد المغرب، إذ كانت القبائل اليمنية أغلبية فيها، تفوقت عدديًا على القبائل العدنانية[٤٧].

في الواقع أن العرب كانوا يأنفون من امتهان الحرف الصناعية، وبخاصة العدنانيين منهم[٤٨]، وهم أهل الحجاز والذين يغلب على حياتهم طابع البداوة، وكرههم واحتقارهم للزراعة، والحط من شأن من يعمل بها، واعتبارهم الرعي والتجارة جديرة بالرجل الحر، فبلغ بهم الأمر إلى ترديد حديث نُسب للرسول صلى الله عليه وسلم قوله عن محراث الزراعة: "ما دخل دار قوم إلا دخلها الذل"، وذلك أنه رأى محراثًا في بيت رجل من أهل المدينة[٤٩]، ولعل عذرهم في ذلك قلة مردودها المادي في الحجاز، الذي يغلب عليه الجفاف والطابع الصحراوي، وتعرضها أغلب الأوقات للآفات الطبيعية المدمرة، مثل الجراد الذي يصاحب أوقات الجفاف المألوفة بالحجاز .

لحسن الطالع أن صناعة الحرير ببلاد الأندلس نالت من التأريخ مالم تناله بلاد المغرب، ربما لنشاط حركة التدوين بها؛ غير أن التدوين كان هو الآخر في صورة إشارات مصدرية مقتضبة وليست حديثًا متصلًا؛ لذلك أشارت المصادر

في إطـار حديث عام عن النشاط الاقتصادي لبعض المدن والأقاليم، ومثال ذلك ما ذُكر عن مدينة المرية، وهي جديرة بأن تنال اهتمام الجغرافيين والمؤرخين، لما ذكر عنها أنها من أكبر المدن الصناعية، اشتهرت بتربية دودة القز ووفرة أشجار التوت، عندما بلغت عدد الأنوال بها ٨٥٠٠ نـول[٥٠]، وما أن كشفنا النقاب عن تركيبتها السكانية حتى وجدناها مستقرًا لعديد القبائل العربية وخاصة اليمنية، غير أن ذلك لم تحدثنا عنها المصادر في حديث متصل، مما اضطرنا الأمر لجمع ما تفرق من إشارات مصدرية، فكان من أبرزها قبيلة تجيب[٥١]، بنو عذرة[٥٢]، وقبيلة غسان[٥٣].

ونفس الحال انطبق على **مدينة جيان:** عندما أشارت المصادر إلى أن بها ثلاثة آلاف قرية تُربى بها دودة الحرير[٥٤]، وهي أيضًا استقرت بها عديد القبائل اليمنية بشكل مكثف، منذ أن وطأت أقدام العرب بلاد الأندلس، فكان منها قبيلة غسان[٥٥]، والأزد[٥٦]، وطيء[٥٧]، وخولان[٥٨]، والمعافر[٥٩]، ولخم[٦٠]، وبنو عذرة[٦١].

٢ـ دلائل عربية الحرفة:

ما أسعفتنا به المصادر بعد مضاعف الجهد والوقت بالبحث والتقصي والاستنباط يمكن الاطمئنان إليه والرضا به لرسم صورة تكاد تكون تامة عن بعض جوانب الموضوع ولا نقول جله، بل أكدت أول ما أكدت على أنها صناعه عربية بامتياز، وهي غايتنا من البحث، فصناعة الحرير يمر بعدة مراحل بداءً من تغذية الدودة على أوراق التوت، يقوم الحرفيون على استخلاص الحرير منها بفك الشرانق، وجمع ما بها من الحرير المادة الخام، ومن ثمة صباغته بمواد كثيرة باهظة الثمن، أغلبها مشرقية، تجلب من بلاد العرب مثل:

الشبة: التي كانت تجلب من خراسان لتستعمل في تثبيت ألـوان الصباغة على الأقمشة[٦٢]، وكذلك **المصطكي** من البطميات[٦٣]، موطنه الوحيد سواحل بلاد الشام[٦٤]، وأيضًا **اللاك:** وهو صبغ أحمر[٦٥]، ويجلب من الهند وخراسان[٦٦].

إضافة إلى **النيلة:** التي يعرفها العرب أيضًا باسم العظلم، وهي جنس من النبات المعمر، يُـزرع لاستخراج مـادة صبغية زرقـاء من أوراقه[٦٧]، اشتهرت بزراعته بلاد العرب[٦٨]، وصارت تصدر منه إلى بلاد المغرب والأندلس في شكل قوالب[٦٩]، وتحديدًا من مكة[٧٠].

ويبدو لكبر حجم إنتاج الحرير في بلاد المغرب لم يعد الاستيراد كافيًا لسد الحاجة، عندما تداولت خبرة كيفية زراعته كتب الفلاحة المغربية، وعلى رأسها كتاب الفلاحة الأندلسية لابن الـعـوام[٧١]، علاوة على الزعفران الذي كـان للعرب فضل إدخـال زراعتـه إلـى بلاد المغرب[٧٢].

حبذا لو أن المصادر أمدتنا بمعلومات أكثر تفصيلًا عن تقنيات هذه الصناعة التي رجحنا أنها هي الأخـرى عربية مشرقية، فهناك من الإشـارات المصدرية ما يؤكد ذلك، بما ورد عن نوع النول آلة النسج المستخدم في عملية نسج مادة الحرير بأنه عربي بصريح العبارة، ووصف بتميزه بالبساطة متميزًا عن أي نوع آخر من آلات النسج، عبارة عن نول عمودي بسيط يتركب من عارضتين من الخشب أفقيًا ممدودة عليهما سداة تشدهما عارضتان من الخشب عموديتان وتمر الخيوط بواسطة اليد[٧٣]، وربما كانت أعمدة النول الخشبية تصنع من

أغصان شجر التوت، الذي كان يصنع منه أيضًا السواقي في بلاد المغرب[٧٤].

٤ـ تكلفة الإنتاج:

تجدر الإشارة إلى هذا المنتج كان ذو تكلفة عالية، تبعًا لندرة وارتفاع سعر المواد، التي كانت تدخل في تحضيره، حتى إن سعر العمامة التي كانت تصنع من الحرير تساوي أكثر من مائة دينار كما أسلفنا، على الرغم من أن العرب حاولوا توفير بعضًا منها كالزعفران، إذ يشير ابن منظور إلى أن منبته وأصله ببلاد العرب[٧٥]، فانتشرت زراعته في برقة[٧٦]، والأربس[٧٧]، ومجانة[٧٨]، وهي مناطق استقرار العرب، حتى أن بعض العرب ممن استوطنوا القيروان حمل لقب الزعفراني، بحسب النقوش المقبرية التي عُثر عليها في القيروان[٧٩].

ومن حسن الطالع أن بعض المصادر أمدتنا بأرقام عن تكلفة تجهيزه في آخر مرحلة من مراحل إنتاجه، وهي صباغته، وكانت العينة على مقدار معين يقدر بـ ٦٦ رطلًا، الرطل يعادل ٤٠٦ .٢٥ جرام[٨٠]، فمثلا ٦٦ رطلًا من الحرير ثمنه ٣٠٠ دينار، وثمن القرمز اللازم لصباغته ٨٥ دينارًا، وأجور الصباغين ٢٠دينارًا[٨١]؛ أي بمعنى أن تكلفة صباغته بالقرمز الأحمر تكلف أكثر من ثلث ثمنه، وهو نوع من الصبغ يستخرج من حشرة تعيش على شجرة السنديان[٨٢]، وكانت العرب تعرفه في موطنها الأول شبه الجزيرة العربية، إذ ورد ذكره في الشعر الجاهلي[٨٣]، وكذلك الأندلس، إذ اختصت به قرية قبيلة بلي اليمنية[٨٤]، وقرية قبيلة مراد اليمنية[٨٥]، وأيضًا قرية قبيلة غافق اليمنية[٨٦]، قرى مدينة قرطبة[٨٧]، وكذلك قرى مدينة أشبيلية ومدينة شذونة،[٨٨]، وهي قرى عربية ذات استقرار عربي كثيف، لا يتسع المقام ههنا لذكرها كلها، لذا سنكتفى بإيراد ذكر بعض منها، فعلى على سبيل المثال كثير من القرى المحيطة بأشبيلية سكنتها قبيلة خولان[٨٩]، وقبيلة مراد[٩٠]، وقبيلة لخم[٩١]، وقبيلة حضر موت[٩٢]، وقبيلة المعافر، وقبيلة كلب[٩٣].

واضح من خلال المصادر التي بين أيدينا أن إشبيلية نالت الحظ الأوفر من الاستقرار العربي، وربما الحظ الأوفر من الرصد والتدوين حسب الإشارات المصدرية، بعكس مدينة شذونة، وهي الأخرى شهدت استقرار عربي، ونشأت في محيطها قرى عربية مثل قرية قبيلة خولان[٩٤]، وقرية قبيلة خثعم[٩٥].

بل أن أمر العناية بدود القز للحصول على أوفر محصول لم يخل من مشقة وعناء، فالاعتناء ببيض الدود الذي يحوي مادة الحرير خُصصت له نساء لحضنه، في فصل الشتاء، لمنحه الدفء اللازم، يطلق عليهن اسم الحضنات، فكن يضعنه على بطونهن، وتحت أباطهن حتى يفقس[٩٦]، وهي مهنة اختصت بها نساء قرطبة، أطلق عليها اسم السراقة، جاءت من كلمة السرق، وهي أجود أنواع الحرير، والسُراقة أحدى ممتهنات نسج الحرير ذو اللون الأبيض[٩٧]، وهي من المهن التي كانت معروفة في بلاد العرب، وبخاصة الحجاز في صدر الإسلام، لما ورد من إشارة عنها في حديث السيدة عائشة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم[٩٨]، وقرطبة كانت من أهم مراكز استقرار العرب في الأندلس، حتى إن قبيلة الصدف اليمنية لكثافة استقرارها بها، أعطت اسمها لأحد أرياف قرطبة، كإقليم يضم ثمانية وعشرون قرية[٩٩].

٥ـ حجم الإنتاج:

حبذا لو أن مصادرنا أمدتنا ولو بأي إشارة تاريخية عن أعداد ناسجين الحرير لنتمكن في أضعف الأحوال من تقدير حجم الإنتاج، ولكن لا بأس فيمكن لنا تعويض ذلك بالنظر إلى قوائم الخراج لبعض المدن والأقاليم الأندلسية، أيام الدولة الأموية، التي حكمت الأندلس خلال الفترة من ١٣٨هـ إلى ٤٢٢هـ، أن حظي إقليم البيرة بذكر ما كان يؤديه للدولة من خراج، وهو فقط من الحرير سنويًا ٢٠٠٠ رطل؛ أي العشر؛ أي أن إنتاجها كان يعادل ٢٠,٠٠٠ رطل سنويًا[١٠٠]، وذلك فقط أيام ثالث أمراءها المتوفى سنة ٢٠٦هـ، وحاولنا الكشف عن أصول سكانها بما توفر لدينا من إشارات مصدرية، فوجدنا كثير من قراها تعود لقبائل يمنية، فكان أبرزها قبيلة المعافر[١٠١]، وهم من قلنا إنهم كان يضرب بهم المثل: **"هم بين دابغ جلد وناسج برد"**.

هذا ولم يكن الاستقرار العربي في مدينة البيرة وما حولها حكرًا على قبيلة المعافر، فيكفي عن تحسس كثافة استقرارهم أن بعض من الكور الشاسعة حملت اسم اليمن مثل إقليم اليمانيين، وإقليم ربع اليمن، وجزء أُرش اليمن، فكان لقبيلة يحصب اليمنية قرية حملت اسمها[١٠٢]، وقرية وغسان[١٠٣]، وقبيلة خثعم اليمنية[١٠٤]، وقبيلة مراد[١٠٥]، وقبيلة عنس[١٠٦]، وبنو عذرة[١٠٧]، وخولان[١٠٨]، وتنوخ[١٠٩]، وقبيلة كلب[١١٠]، وقبيلة ضبة العدنانية[١١١].

لذلك مثل الحرير سلعة من أهم سلع بلاد المغرب إلى المشرق خلال القرن الثالث للهجرة حسب تقديرات بعض الجغرافيين ومؤلفي المسالك والممالك، مثل: الإصطخري، المتوفى سنة ٣١٦ هـ[١١٢]، وابن حوقل المتوفى سنة ٣٦٧هـ[١١٣]، وكذلك وثائق الجنيزة[١١٤].

وهو ما يوحي بتفوق عرب المغرب عن عرب المشرق في الإتقان، وربما أن بيئة المغرب هي ما أنتجت مادة خام أفضل من تلك التي كانت بالمشرق، لا ندري أيهما هو السبب، ومن جودة الإتقان صار يجهز الحرير في القيروان وسوسة ليرسل إلى الفاطميين في مصر[١١٥]، فقد تبوأت القيروان الصدارة والمركز الأول والرئيس ببلاد المغرب في إنتاج الغزل والنسيج[١١٦]، وتفوقت فيه من حيث الجودة والإتقان والجمال، ما لم يوجد له مثيل، حتى صار يُعرف: "بالقيرواني"[١١٧]، ومن حُسنه وجودته صار ضمن خراج المغرب للدولة العباسية أيام الأغالبة[١١٨]، وما وصول هذه الصناعة إلى هذه الدرجة من الإتقان إلا بفضل الاستقرار السياسي الذي أوجده الأغالبة العدنانيين، ومنعهم للغش والتدليس[١١٩].

٦ـ خلاصة القول:

ما توصلنا إليه من نتائج أرى أنها مرضية، تحاول أولًا وأخيرًا رسم ملامح صورة، ربما سيكتب لها الكمال بظهور مخطوطات جديدة، تنفي أو تثبت ما ذهبنا إليه، فما ثبت لدينا أنها صناعة عربية بامتياز في بلاد المغرب، تأتى لنا ذلك من خلال الكشف عن أصل تقنياتها وأدواتها، حتى بدت لنا أنها عربية بالأساس المطلق، بداية من نقل شجرة التوت من بلاد المشرق موطنهم الأول، وتوطينها ببلاد المغرب والأندلس موطنهم الثاني، علاوة على توفيرهم المواد الداخلة في صناعته، جلبًا وإنتاجًا، مثل الزعفران الذي يستخدم في صباغة الحرير في آخر مرحلة من إعداده، عندما لم يكتفوا بجلبه بل بإدخال زراعته في عديد المناطق التي استقروا بها في بلاد المغرب، بل إن المناطق التي انتشرت بها زراعة شجرة التوت وصناعة

الحرير هي مواطن استقرار عربي مكثف وقديم، اختصت بهم لوحدهم منذ الأيام الأولى للفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس، ولا مشاحة بأنها من أهم القرائن الدالة والمؤكدة، وهو أمر مُسلم به، لا يأتي صدفة أو عبطًا، بل إن غاية ما يطمئن إليه أن جل المستقرين من العرب اليمنية، اشتهروا بصناعة الغزل والنسيج والحياكة والتطريز، في موطنهم الأول، وكانوا مضرب مثل لذلك، وتواصل تعاطيهم للحرفة، في كل بلاد هاجروا إليها، حتى أن بعض من عائلاتهم في بلاد المغرب حملت لقب القزاز، انطلاقا من الشهرة وطول باع في امتهان الحرفة.

الحواشي

١. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، ت: ٤٨٧هـ، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٣، ج٢، ص١٧٥، ص١٩٩.

٢. الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، ت: ٣١٦ هـ، المسالك والممالك: تحقيق: محمد جابر عبد العال الحسيني، ومراجعة: محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،١٩٦١، ص ٣٧؛ ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي، ت: ٣٦٧هـ، كتاب صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، لا.ت، ص ٩٥.

٣. الونشريسي، أحمد بن يحيى، ت: ٩١٤هـ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج: جماعة من الفقهاء، بإشراف، محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠، ج٥، ص ٥٩.

٤. نفسه، ج٥، ص٥٩،٣٦: ٦٢، ج٦، ص٩٧.

٥. البكري، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٥، ١٩٩؛ الحميري، محمد عبد المنعم الصنهاجي، ت: ٩٠٠هـ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٤، ص٢٩٩، ٣٦٦، ٥٧٨.

٦. الوسياني، أبو الربيع عبد السلام، ت: ٤٧١هـ، كتاب سير الوسياني، مخطوط بدار الكتب المصرية، ميكرو فيلم رقم: ٨٤٥٢، ورقة ٦٩.

٧. المقري، أحمد بن محمد التلمساني، ت:١٠٤١هـ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتاب العربي، لا.ت، ج١، ص ٤٦٦، ٤٦٧.

٨. عادل محمد علي الشيخ، علم النبات في الأندلس، مجلة المورد، مج ١٧، عدد ٢، ١٩٨٨، ص٨٨.

٩. خوسيه ماريا مياس، علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالأندلس، ترجمة: عبد اللطيف الخطيب، تطوان، مطبعة المخزن، ١٩٥٧، ص٢ .

١٠. حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة عن الحضارة العربية في إفريقية التونسية، جمع: محمد العروسي المطوي، تونس، مكتبة المنار،١٩٧٢، ج٣ ص ٣٢١.

١١. نفسه، ج١، ص٢٦، ٣٠، ٧٣، ١٩٦.

١٢. السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان، ت: ٢٥٥هـ، كتاب النخلة: تحقيق: حاتم بن صالح الضامن، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢.

١٣. ابن النديم، محمد بن إسحاق، ت: ٣٨٥هـ، كتاب الفهرست، قطر، دار القطري بن الفجأة، ١٩٨٥، ص ١١٣، ١١٧.

١٤. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، ت: ١٠٦٧هـ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، لا. ت، ج٢، ص ١٤٦٦.

١٥. تحقيق: محمد جبار المعيبد، مجلة المورد، العراق، منشورات وزارة الإعلام، مج٣، ع١، ١٩٧٤، من ص١١٣ إلى ص ١٤٢.

١٦. ابن النديم، المصدر السابق، ص ١٢٣.

١٧. نفسه، ص١٧١ .

١٨. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك، ت: ٤٢٩هـ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٣، ص ٤٣٣.

١٩. حاجي خليفة، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٦٦.

٢٠. المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، ت: ٨٥٤ هـ، نحل عبر النحل، تحقيق: احمد السايح والسيد الجميلي، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، لا. ت.

٢١. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر:

سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشئون الثقافية العامة، ١٩٨٦، ص ١١٩.

٢٢. ابن أبي زيد القيرواني، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، ت: ٣٨٦هـ، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الامُهات، تحقيق: محمد الأمين بو خبزة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩م، ج٦، ص١٠٣ .

٢٣. ابن أبي زيد القيرواني، المصدر السابق، ج٥، ص٣٦٤.

٢٤. فالترهنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي، الأردن، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١، ص٣٦.

٢٥. عثمان الكعاك، العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٢، ص ١٨٧، ٢٠٩، ٢١٠.

٢٦. ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي المصري، ت: ٩٣٠هـ، نشق الأزهار في عجائب الأقطار، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٤٣٩جغرافيا، ميكروفيلم: ٤٥٨٥٣، ورقة ١٦٥؛ المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، ت: ٨٤٥هـ، جنى الأزهار من الروض المعطار في عجائب الأقطار، مخطوط بدر الكتب المصرية، ٩٧٢، جغرافيا، ميكرو فيلم رقم:٤٦٢٤٠، ورقة ٢٤ .

٢٧. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، ت: ٦٢٦هـ، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٧، ج٥، ص٣٦٦.

٢٨. البكري، المصدر السابق، ج٢، ص١٨٣.

٢٩. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت: ٤٥٦هـ، جمهرة انساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٩، ص١٥٨.

٣٠. البكري، المصدر السابق، ج٢، ص١٨٩؛ الحميري، المصدر السابق، ص٤٥٠.

٣١. الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، ت: ٦٩٦هـ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: عبد المجيد خيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥، ج٣، ص١٣٦.

٣٢. الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله، ت: ٥٦٠هـ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، لا.ت، ج١، ص ٢٧٩.

٣٣. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، ت: ١٨٢هـ، كتاب الخراج، تحقيق: محمود الباجي، تونس، دار بو سلامة، لا.ت، ص٦١؛ القرشي، يحيى ابن آدم، ت: ٢٠٣هـ، كتاب الخراج، شرح وتصحيح: أحمد محمد شاكر، القاهرة، مكتبة دار التراث، لا.ت، ص٧٠؛ ابن سلام، أبو عبيدة القاسم، ت: ٢٢٤هـ، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦، ص٣٢.

٣٤. ابن إسحاق، محمد بن يسار، ت: ١٥١ هـ، كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، المعروف بسيرة ابن إسحاق، تحقيق: محمد حميد الله، المغرب، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ١٩٧٦، ص٣٠،٣١.

٣٥. الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد، ت: ٢٥٠هـ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، بيروت، مكتبة خياط، لا. ت، ج١، ص١٢٢، ١٢٣.

٣٦. الونشريسي، المصدر السابق، ج٥، ص٣٦،٥٩: ٦٢، ج٦، ص٩٧.

٣٧. ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، ت: ٤٥٦هـ، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، تحقيق: محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦، ص٣٦٥.

٣٨. الرقيق، إبراهيم بن القاسم القيرواني، توفي النصف الأول من القرن الخامس الهجري، تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس، الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٥، ص٢٢٣.

٣٩. عصام منصور صالح عبد المولى، القبائل العربية في المغرب الأدنى منذ الفتح الإسلامي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعه عين شمس، ٢٠١٢، ص١٢٣.

٤٠. البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٣؛ جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطي، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، الإسكندرية، منشأة المعارف، ص١٩٩١،ص٢٠٥.

٤١. أحمد الحمروني، الشمال الغربي التونسي، فصول ومراجع، تونس، دار سحر للنشر، ٢٠٠٦م، ص١٤٥، ١٤٧.

٤٢. محمد حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع، فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤، ص١٧.

٤٣. ابن عذارى، محمد بن عذارى المراكشي، ت: نهاية القرن السابع الهجري، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان وليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣،ج١، ص٣٤؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت: ٧٣٢هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٣،ج٢٤، ص٣٤.

٤٤. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ترجمة: حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٩٢، ج٢، ص٣٦.

٤٥. عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص٢٠٩.

٤٦. المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٣.

٤٧. للمزيد ينظر: عصام منصور صالح، المرجع السابق، ص ٩٥: ١٢٩.

٤٨. الأصبهاني، أبو القاسم حسين محمد الراغب، ت: ٥٠٢ هـ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦١، ج٢، ص ٤٥٩؛ الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص ١٢٢، ١٢٣.

٤٩. البخاري، إسماعيل بن إبراهيم، ت: ٢٥٦هـ، صحيح البخاري، القاهرة، مطابع الشعب، ١٣٧٨هـ، ج٣، ص١٣٥.

٥٠. المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٣؛ ديماند، م . س، الفنون الاسلامية، تعريب: احمد محمد عيسى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٨، ص ٢٧١.

٥١. ابن الخطيب، لسان الدين الغرناطي، ت: ٧٧٦هـ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثاني، المنشور بعنوان تاريخ اسبانيا الإسلامية، نشر: ليفي بروفنسال، بيروت، دار الكشوف،١٩٥٦ ج٢، ص ١٨٩.

٥٢. ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٥٠.

٥٣. ابن جلجل، أبو داوود سليمان، ت: ٣٧٧هـ، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥، ص ١٠٨، ١٠٩؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٩١.

٥٤. الإدريسي، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٦٨.

٥٥. ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٤٠؛ المقري، المصدر السابق، ج١،ص ٢٦٨.

٥٦. الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، ت: القرن الرابع الهجري، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف،١٩٨٤، ص ٣١٠.

٥٧. ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٠٤؛ ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد السائب، ت: ٢٠٤هـ، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، بيروت، عالم الكتب، ٢٠٠٤، ص ٢٨٩؛ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، ت: ٣٢١هـ، الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، لا.ت، ص ٥٣٦.

٥٨. ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤١٨؛ ابن الفرضي، أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي، ت: ٤٠٣هـ، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٩٧، ص١١٦، ١١٨، ١٤٦، ٢١٥، ٢٣٥، ٢٥٢.

٥٩. ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤١٩.

٦٠. نفسه، ص ٤٢٣؛ الحميدي، أبو عبد الله محمد أبو نصر الأزدي، ت: ٤٨٨هـ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة،١٩٦٢، ج١، ص١٠٣؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٥، ج٣، ص٨٧.

٦١. ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٥٠.

٦٢. محمد حسن، المدينة والبادية بأفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، ١٩٩٩، ج١، ص٤٨١.

٦٣. نوع من الأشجار الحبة الخضراء، شجرة الحبّة الخضراء، من الفصيلة الفستقية، شجرتها من أربعة أَمتار إلى ثمانية، تنبت في الأراضي الجبلية، ثمرتها حَسَكةٌ مُفَلْطَحَة خضراء، تنْقشر عن غِلاف خشبيّ يحوي ثمرة واحدة، يعرفها أهل اليمن كذلك باسم الضرو، ابن منظور، أبو الفضل جمال،

ت: ٧١١ هـ، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٥٥، ج١٢، ص٥١.

٦٤. محمد حسن، المرجع السابق، ج١، ص ٤٨١.

٦٥. ابن منظور، المصدر السابق، ج١٠، ص ٤٨٤ .

٦٦. عطا أبو رية، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، القاهرة، ايتراك للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص ١٣٧.

٦٧. يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، بيروت، دار لسان العرب، لا.ت، ص ٦٩٤.

٦٨. ابن منظور، المصدر السابق، ج١٢، ص٤١٢؛ الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، ت: ٨١٧هـ، القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دمشق، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨، ص١١٣٩.

69 - S.D.Goiten:The main Industries of the Mdite´rranean Area as reflected in the recordes of the cairo geniza j .E.S.H.O. 1961 V.I X August.p 237.

٧٠. الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج٢، ص ٢٤٩.

٧١. ابن العوام، أبو زكريا يحيى بن محمد، ت: ٥٨٠هـ، الفلاحة الأندلسية، تحقيق: أنور أبو سويلم، وسمير الدروبي، وعلي أرشيد محاسنة، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ٢٠١٢، ج٥، ص١٩٩.

٧٢. ابن منظور، المصدر السابق، ج٤، ص٣٢٤؛ محمد حسن، المرجع السابق، ج١، ص ٤٨٢.

٧٣. روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة: حماد الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨، ج٢، ص ٢٢٣.

٧٤. ليون الإفريقي، الحسن الوزان، ت ٩٥٧هـ، وصف إفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ٢٠٠٥م، ص٤٤٨.

٧٥ المصدر السابق، ج٤، ص٣٢٤؛ يوسف خياط، المصدر السابق، ص٢٩٤.

٧٦. ابن إياس، المصدر السابق، ورقة ١٨.

٧٧. ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٨٦؛ المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد، ت: ٣٨٨هـ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، دار صادر، لا.ت، ص٢٢٧؛ المقريزي، جنى الأزهار، مصدر سابق، ورقة ٢٣.

٧٨. ابن حوقل، المصدر السابق، ص٨٤.

79. Poinssat, P., Inscriptions arabes de Kairouan, Paris, 1958, Volume II,p.607.

هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن سعيد الزعفراني، توفي ٤٣٩هـ .

٨٠. فالترهنتس، المرجع السابق،ص٣٦.

81. Goiten: op cit,p 171

٨٢. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت: ٢٤٥هـ، كتاب التبصر بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، القاهرة، مكتبة الخانجي،١٩٩٤، ص ٢٤؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٨؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج٥، ص ٣٩٤.

٨٣. ابن منظور، المصدر السابق، ج٥، ص٣٩٤.

٨٤. الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٤٩٤.

٨٥. نفسه، ج٥، ص ٩٢؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٥.

٨٦. ابن حزم، المصدر السابق، ص٣٢٨، ٣٢٩؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٤.

٨٧. الخشني، محمد بن حارث، ت: ٣٦١هـ، قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م، ص١٣٥، ١٥٥؛ الحموي، المصدر السابق، ج٤، ص ١٨٣؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٥.

٨٨. البكري، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٨٥.

٨٩. ابن حيان القرطبي، أبو مروان حيان بن خلف، ت: ٤٦٩ هـ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٥، ص ١٧٠؛ ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ت: ٦٥٨هـ، التكملة لكتاب الصلة، القاهرة، مكتب نشر

الثقافة الإسلامية، ١٩٥٦، ج١، ص ٤٨٧ .

٩٠. ابن حيان القرطبي، أبو مروان حيان بن خلف، ت: ٤٦٩ هـ، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، القاهرة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى لشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي،١٩٩٤، ص ٣٢٣، ٣٣٣.

٩١. ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٢٣.

٩٢. ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص ٧١؛ مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت،دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م، ص ٨٤، ١٠١، ١١٧.

٩٣. العذري، احمد بن عمر بن انس المعروف بالدلائي، ت: ٤٧٨هـ، نصوص عن الأندلس مأخوذة من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الاهواني، مدريد، مطبعة الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥، ص ٩٦؛ ١٠١.

٩٤. ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤١٨؛ ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى، ت: ٦٨٥هـ، المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٥، ج١، ص٣١٠؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٥.

٩٥. ابن حزم، المصدر السابق، ص ٣٩١، ٣٩٢.

٩٦. عريب، عريب بن سعيد القرطبي، ت: ٣٦٩هـ، كتاب تقويم قرطبة، تحقيق: رينهارت دوزي، ليدن ١٨٧٣م، ص٣٢، ٣٣.

٩٧. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد،ت:٤٥٦هـ، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: الطاهر احمد مكي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥، ص ٥٨؛ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود، ت: ٥٣٨هـ، أساس البلاغة، تحقيق: محمد الباسل سود العيون، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨،ج١، ص٤٥٢.

٩٨. ابن منظور، المصدر السابق، ج١٠، ص١٥٧.

٩٩. العذري، المصدر السابق، ص ١٢٥.

١٠٠. العذري، المصدر السابق، ص٩٣.

١٠١. ابن الخطيب، لسان الدين الغرناطي، ت: ٧٧٦هـ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد بن عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٣م، ج٣، ص ٥٢٤؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ص٣٦٦.

١٠٢. المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٧؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٧٥.

١٠٣. ابن الخطيب، المصدر السابق، ج١، ص ١٢٨.

١٠٤. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص ٢٠٠؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ج١، ص ١٣٥ .

١٠٥. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص٢٢، ١٠٦.

١٠٦. ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٠٦.

١٠٧. نفسه، ص٤٥٠.

١٠٨ ابن الخطيب، المصدر السابق، ج١ص ١٣١، ١٣٢؛ ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤١٨.

١٠٩. المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٧.

١١٠. ابن الخطيب، المصدر السابق، ج١، ص ١٠٧.

١١١. المقري، المصدر السابق، ج١، ص ٩١؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن علي الجزري، ت:٦٣٠هـ، اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠، ج٢، ص٦٢، ٦٣.

١١٢. الإصطخري، المصدر السابق، ص ٣٧.

١١٣. ابن حوقل، المصدر السابق, ص ٩٥.

114. Goietein (S.D), "La Tunisie du XIs, à la lumière des documents de la Geniza du Caire, ", in Etudes l'orientalisme dedi-ées à la mémoire de Levi-Provençal, CP Maisonneuve et la Rose, Paris,1962 , P 570 ,571.

١١٥. ارشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: احمد محمد عيسى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، لا. ت، ص ٣٢٩.

116. Poinssot et Revault: Tapis Tunisns. pqris:1937:p.6.

١١٧. حسن حسني عبد الوهاب، بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، تقديم:

محمد العروسي المطوي، قرطاج، بيت الحكمة، ٢٠٠٩، ص٣٤.

١١٨. نفسه، ص ٣١.

١١٩. محمود إسماعيل عبد الرازق، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، القاهرة، الكتاب الثاني" طور الازدهار(١)، الخلفية السوسيو تاريخية، القاهرة، سينا للنشر،٢٠٠٠، ج٢، ص١٣٢.

١٢٠. ملاحظة: تم استثناء " ابن أبو أبي " من الترتيب الأبجدي .

قائمة المصـادر والمراجع[١٢٠]

- ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ت: ٦٥٨هـ، التكملة لكتاب الصلة، القاهرة، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٩٥٦م.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن علي الجزري، ت:٦٣٠هـ، اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٠م.
- أحمد الحموني، الشمال الغربي التونسي، فصول ومراجع، تونس، دار سحر للنشر، ٢٠٠٦م.
- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله، ت: ٥٦٠هـ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، لا.ت.
- ارشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: احمد محمد عيسى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، لا. ت.
- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد، ت: ٢٥٠هـ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، بيروت، مكتبة خياط، لا. ت.
- ابن إسحاق، محمد بن يسار، ت: ١٥١ هـ، كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، المعروف بسيرة ابن إسحاق، تحقيق: محمد حميد الله، المغرب، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ١٩٧٦م.
- الأصبهاني، أبو القاسم حسين محمد الراغب، ت: ٥٠٢ هـ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦١م.
- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، ت: ٣١٦ هـ، المسالك والممالك: تحقيق: محمد جابر عبد العال الحسيني، ومراجعة: محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،١٩٦١م.
- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي المصري، ت: ٩٣٠هـ، نشق الأزهار في عجائب الأقطار، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٤٣٩، جغرافيا، ميكروفيلم: ٤٥٨٥٣.
- البخاري، إسماعيل بن إبراهيم، ت: ٢٥٦هـ، صحيح البخاري، القاهرة، مطابع الشعب، ١٣٧٨هـ .
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، ت: ٤٨٧هـ، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٣م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك، ت: ٤٢٩هـ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٣م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت: ٢٤٥هـ، كتاب التبصر بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، القاهرة، مكتبة الخانجي،١٩٩٤م.
- ابن جلجل، أبو داوود سليمان، ت: ٣٧٧هـ، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
- جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطي، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، الإسكندرية، منشأة المعارف، ص١٩٩١م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله، ت: ١٠٦٧هـ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت،

دار إحياء التراث العربي، لا. ت.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت: ٤٥٦هـ.
- (١) جمهرة انساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٩م.
- (٢) طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: الطاهر احمد مكي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م.
- حسن حسني عبد الوهاب.
- ..... (١) بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، تقديم: محمد العروسي المطوي، قرطاج، بيت الحكمة، ٢٠٠٩م.
- ..... (٢) ورقات عن الحضارة عن الحضارة العربية في إفريقية التونسية، جمع: محمد العروسي المطوي، تونس، مكتبة المنار، ١٩٧٢م.
- الحميدي، أبو عبد الله محمد أبو نصر الأزدي، ت: ٤٨٨هـ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٢م.
- الحميري، محمد عبد المنعم الصنهاجي، ت: ٩٠٠هـ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، ت: ٦٢٦هـ، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٧م.
- ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي، ت: ٣٦٧هـ، كتاب صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، لا.ت.
- ابن حيان القرطبي، أبو مروان حيان بن خلف، ت: ٤٦٩ هـ.
- ..... (١) المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٥م.
- ..... (٢) المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، القاهرة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى لشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٤م.
- الخشني، محمد بن حارث، ت: ٣٦١هـ، قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م.
- ابن الخطيب، لسان الدين الغرناطي، ت: ٧٧٦هـ.
- ..... (١) الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد بن عبدالله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٣م.
- ..... (٢) أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثاني، المنشور بعنوان تاريخ اسبانيا الإسلامية، نشر: ليفي بروفنسال، بيروت، دار الكشوف، ١٩٥٦م.
- خوسيه ماريا مياس، علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالأندلس، ترجمة: عبد اللطيف الخطيب، تطوان، مطبعة المخزن، ١٩٥٧م.
- الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، ت: ٦٩٦هـ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: عبد المجيد خيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، ت: ٣٢١هـ، الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، لا.ت.
- ديماند، م . س، الفنون الاسلامية، تعريب: احمد محمد عيسى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٨م.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، المتوفى سنة ٢٨٢هـ، كتاب النحل والعسل، تحقيق: محمد جبار المعيبد، مجلة المورد، العراق، منشورات وزارة الاعلام، مج٣، ع١، ١٩٧٤م.
- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، ت: ٤٥٦هـ، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، تحقيق: محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦م.
- الرقيق، إبراهيم بن القاسم القيرواني، توفي النصف

الأول من القرن الخامس الهجري، تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس، الدار العربية للكتاب،٢٠٠٥م.

- روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة: حماد الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م.
- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، ت: القرن الرابع الهجري، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دارالمعارف،١٩٨٤م.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود، ت: ٥٣٨هـ، أساس البلاغة، تحقيق: محمد الباسل سود العيون، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
- ابن أبي زيد القيرواني، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن،ت:٣٨٦هـ، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الامُهات، تحقيق: محمد الأمين بو خبزة، بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٩٩م.
- السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان، ت: ٢٥٥هـ، كتاب النخلة: تحقيق: حاتم بن صالح الضامن، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢م.
- ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى، ت: ٦٨٥هـ، المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٥م.
- ابن سلام، أبو عبيدة القاسم، ت: ٢٢٤هـ، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.
- عادل محمد علي الشيخ، علم النبات في الأندلس، مجلة المورد، مج ١٧، عدد ٢، ١٩٨٨م.
- عثمان الكعاك، العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٢م.
- ابن عذارى، محمد بن عذارى المراكشي، ت: نهاية القرن السابع الهجري، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان وليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣م.
- العذري، احمد بن عمر بن انس المعروف بالدلائي، ت: ٤٧٨هـ، نصوص عن الأندلس مأخوذة من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مدريد، مطبعة الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥م.
- عريب، عريب بن سعيد القرطبي، ت: ٣٦٩هـ، كتاب تقويم قرطبة، تحقيق: رينهارت دوزي، ليدن ١٨٧٣م.
- عصام منصور صالح عبد المولى، القبائل العربية في المغرب الأدنى منذ الفتح الإسلامي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعه عين شمس، ٢٠١٢م.
- عطا أبو رية، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، القاهرة، ايتراك للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
- ابن العوام، أبو زكريا يحيى بن محمد، ت: ٥٨٠هـ، الفلاحة الأندلسية، تحقيق: أنور أبو سويلم، وسمير الدروبي، وعلي أرشيد محاسنة، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ٢٠١٢م.
- فالترهنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي، الأردن، الجامعة الأردنية،٢٠٠١م.
- ابن الفرضي، أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي، ت: ٤٠٣هـ، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٩٧م.
- الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، ت: ٨١٧هـ،القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دمشق، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م.
- القرشي، يحيى ابن آدم، ت: ٢٠٣هـ، كتاب الخراج، شرح وتصحيح: أحمد محمد شاكر، القاهرة، مكتبة دار التراث، لا.ت.

- ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد السائب، ت: ٢٠٤هـ، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، بيروت، عالم الكتب، ٢٠٠٤م.
- ليون الإفريقي، الحسن الوزان، ت ٩٥٧هـ، وصف إفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ٢٠٠٥م .
- مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني،١٩٨٩م.
- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار،نشر سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشئون الثقافية العامة،١٩٨٦م.
- محمد حسن.
- ..... (١) الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى

القرن التاسع، فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م.

- ..... (٢) المدينة والبادية بأفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، ١٩٩٩م.
- محمود إسماعيل عبد الرازق، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، القاهرة، الكتاب الثاني" طور الازدهار(١)، الخلفية السوسيو تاريخية، القاهرة، سينا للنشر،٢٠٠٠م.
- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد، ت: ٣٨٨هـ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، دار صادر، لا.ت.
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني، ت:١٠٤١هـ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتاب العربي، لا.ت.
- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، ت: ٨٥٤ هـ.
- ..... (١) جنى الأزهار من الروض المعطار في عجائب الاقطار، مخطوط بدر الكتب المصرية، ٩٧٢، جغرافيا، ميكرو فيلم رقم:٤٦٢٤٠.
- ..... (٢) نحل عبر النحل، تحقيق: احمد السايح والسيد الجميلي، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، لا. ت.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال، ت: ٧١١ هـ، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٥٥م.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق، ت: ٣٨٥هـ، كتاب الفهرست، قطر، دار القطري بن الفجأة، ١٩٨٥م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت: ٧٣٢هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٤، تحقيق: حسين نصار، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٣م.
- الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ترجمة: حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٩٢م.
- الوسياني، أبو الربيع عبد السلام، ت: ٤٧١هـ، كتاب سير الوسياني، مخطوط بدار الكتب المصرية، ميكرو فيلم رقم: ٨٤٥٢.
- الونشريسي، أحمد بن يحيى، ت: ٩١٤هـ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج: جماعة من الفقهاء، بإشراف، محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٩٠م.
- يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، بيروت، دار لسان العرب، لا.ت.
- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، ت: ١٨٢هـ، كتاب الخراج، تحقيق: محمود الباجي، تونس، دار بو سلامة، لا.ت.
- Poinssat, P., Inscriptions arabes de Kairouan, Paris, 1958, Volume II,p.607..
- Poinssot et Revault: Tapis Tunisns. pqris:1937.
- Goietein (S.D), " La Tunisie du XIs, à la lumière des documents de la Geniza du Caire, ", in Etudes l'orientalisme dediées à la mémoire de Levi-Provençal, CP Maisonneuve et la Rose, Paris,1962.
- - S.D.Goiten:The main Industries of the Mdite´rranean Area as reflected in the recordes of the cairo geniza j .E.S.H.O. 1961 V.l X August.

"الأمراض والأوبئة المعدية في الدولة العثمانية"

دراسة على القرن التاسع عشر

د. أحمد صالح علي محمد
الجامعة الإسلامية – بولاية منيسوتا الأمريكية

اجتاحت الأمراض والأوبئة الأراضي العثمانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، لعدة أسباب فقد كانت ملتقى المسافرين من ثلاث قارات العالم القديم والحجاج من جميع دول العالم ويزيد على ذلك الموانئ على البحار التي تسيطر عليها الدولة العثمانية.

ومن الملاحظ أن المناخ الحار الذى كان يجتاح معظم الولايات العثمانية في الشرق خاصة في الولايات العربية، إذ أن الأمراض والأوبئة تنتشر وتستوطن في المناخ الحار وأماكن المستنقعات، وعلى الرغم من ذلك، فقد انتشرت بالفعل الأمراض والأوبئة في بعض الموانئ الأوروبية.

وبالفعل فقد انتشرت العديد من الأمراض والأوبئة مثل الجدري والتيفوس والطاعون والكوليرا وغيرها من الأمراض الفتاكة التي أطاحت بالمجتمع العثماني، وأهلكت الكثير من النفوس والعباد؛ حيث كانت تكمن الأزمة في بعض السفن التي ترسى داخل الموانئ، ولا يتم الكشف على من بها من طاقم وركاب، إذ كان البعض منهم مصاب بأمراض معدية وفتاكة. وما كان يخيف الدولة العثمانية وبشكل كبير انتشار الأمراض والأوبئة وقت الحج، فعند إصابة أحد الحجاج فهو عرضة لنشر المرض بين الحجاج، وفى طريق عودته عند الاختلاط مع سكان مناطق نزولهم واستراحتهم أيضا. لهذا كانت الدولة تحافظ على نظافة مدينة مكة المكرمة للحرص على خلوها من الأمراض والأوبئة.

وعلى ذلك وجب على الدولة العثمانية إيجاد وسائل للوقاية من الأمراض والأوبئة؛ حيث بدأ العثمانيون بتطبيق الحجر الصحي خاصة على المعابر الحدودية والموانئ وتبعتها بإنشاء

المستشفيات والمدارس الطبية، والتفتت الدولة أيضا إلى تنظيف المدن من القمامة والحفاظ على نظافتها للوقاية من الأمراض. وقيام الدولة أيضا بالحفاظ على نظافة الحمامات ونشر الوعى بين الناس للمحافظة على النظافة الشخصية لإفادتها في الوقاية من الأمراض. أضف إلى ذلك توجه الدولة للتطعيم للوقاية من الأمراض والأوبئة. وشكل موضوع البحث أهمية بالغة عند دراسته للتاريخ الاجتماعي للدولة العثمانية عامة وتاريخ الأمراض والأوبئة المعدية التي اجتاحت الأراضي العثمانية خاصة، فقد كانت الدولة العثمانية معبرا لمعظم سكان العالم القديم في آسيا وإفريقيا وأوروبا، هذا جعلها عرضة لكل تلك الأمراض والأوبئة.

ونظرا لأهمية دراسة تاريخ الأمراض والأوبئة المعدية في الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر من ناحية، وندرة الدراسات والبحوث العربية والأجنبية المتعلقة بتاريخ الدولة العثمانية الاجتماعي ومن ناحية أخرى، يأتي هذا البحث لكشف النقاب عن العلاقات التي قامت بين الدولة العثمانية بولاياتها والعالم الخارجي من ناحية الصحة العامة، وقد واجه البحث بعض الصعوبات والتي تكمن في قلة المادة العلمية بل وندرتها، فكانت شذرات متناثرة في بطون المصادر والمراجع، حتى وصل على هذا النحو.

والراجح هنا، مما وصل إلينا أنه لم تتوافر دراسة مستقلة تناولت موضوع الأمراض والأوبئة المعدية، إلا بعض المعلومات القليلة التي تتحدث عنها وبالعموم منها:

- أحمد حافظ موسي وآخرون: الأمراض المستوطنة بأفريقيا وآسيا، مؤسسة سجل العرب، ط١، القاهرة، ١٩٦٢م.
- شلدون واتس: الأوبئة والتاريخ المرض والقوة والإمبريالية، ترجمة: أحمد محمود عبد الجواد، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م.
- الإسهامات الإيطالية في دراسة مصر الحديثة في عهد محمد على باشا، ترجمة: عماد البغدادي، المشروع القومي للترجمة، ط١، ال قاهرة، ٢٠٠٥ م.
- خليل إينالجك: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، دار المدار الإسلامي، ط١، بيروت، ج٢، ٢٠٠٧م.
- محمد فؤاد شكري وآخرون: بناء دولة مصر "محمد على"، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠١٣م.
- جولدن صاري يلدز: الحجر الصحي في الحجاز (١٨٦٥-١٩١٤م)، ترجمة: عبد الرازق رمضان، مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، ط١، الرياض، ٢٠٠١م.
- أحمد جودت باشا: تاريخ جودت، ترجمة: عبد القادر الدنا، تحقيق: عبد اللطيف بن محمد الحميد، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت ١٩٩٩م.

وهي لم تغط بشكل كبير تاريخ تلك الأمراض والأوبئة.

التمهيد

ركز العثمانيون في القرن التاسع عشر الميلادي على تنظيم وإصلاح الدولة في كافة الشؤون فيما سمي بعصر التنظيمات؛ حيث استغل السلطان محمود الثاني سمات ذلك العصر وفرض الإصلاحات على الأمور الصحية داخل الأراضي العثمانية، إذ قام السلطان بنقل نموذج الحجر الصحي النمساوي الذي يستمر لمدة ٤٨ يوما يتم فيهم الكشف والفحص على المشتبه في أصابتهم بأي مرض أو وباء معدي.

وقد أدرك السلطان محمود الثاني أيضا منذ البداية أهمية تلك الإجراءات الاحترازية التي وجب على الدولة تطبيقها، والواضح هنا، أن السلطان قام بنقل تجربة محمد علي باشا والي مصر المحروسة، في تطبيق الحجر الصحي على الموانئ في الإسكندرية ودمياط، وأمور الرعاية والوقاية والإجراءات الصارمة التي طبقها للحد من انتشار تلك الأمراض بشكل وبائي.

وأيقن العثمانيون منذ البداية أن تطبيق الإجراءات الاحترازية لابد منها للوقاية من الأوبئة المعدية، مثل تطبيق الحجر الصحي، وإنشاء المستشفيات، وتعيين الأطباء، وإزالة النفايات والقمامة، ونظافة الحمامات العامة والنصح والإرشاد الدائم للحد من الأوبئة.

ولقد ركز العثمانيون على تنظيم الحجر الصحي في إدارتهم للولايات بوضعهم ما يسمى نظام الصحة العامة، للحفاظ دائما على سكان تلك الولايات التابعة لها. وقد اهتمت الدولة العثمانية بموسم الحج وتطبيق الإجراءات سالفة الذكر على الحجاج والمسافرين.

ولم تستطع الدولة العثمانية إخفاء قلقها الدائم نحو انتشار الأمراض والأوبئة داخل أراضيها، وبخاصة بعد استمرار تلك الأمراض في اجتياح الأراضي العثمانية لفترات طويلة خلال القرن التاسع عشر، ومع ذلك، لم تخف حدة الأمراض والأوبئة إلا بعد أخذ المرض طوره الخاص وحصد العديد من الأنفس.

لقد كانت الدولة العثمانية في ذلك القرن – تمثل جهازا إداريا وقائيا طبيا تؤثر فيه الإجراءات الصحية والوقائية للدول الأوروبية الذي يدعو للإعجاب، لكنه كان مجتمع شبه معزول بسبب العالم الديني والتقليدي الذي حال بين الدولة وبين الاندماج الوثيق بالإصلاح والتحديث؛ حيث رفض البعض تلك الإجراءات الاحترازية والوقائية لكونها من أوروبا.

ومع ذلك، لا خلاف في أن العثمانيين كانوا يسعون دائما لتطبيق تلك الأمور الوقائية قدر المستطاع.

أولا: الأمراض والأوبئة:

تعددت الأمراض والأوبئة داخل الأراضي العثمانية خاصة في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي، إذ انتشرت الأمراض الفتاكة، والعاصفة التي راح ضحيتها كثير من البشر داخل الدولة العثمانية وخارجها، وسيتم عرض العديد من الأمراض والأوبئة التي اجتاحت الأراضي العثمانية في الآتي:

(١) الطاعون

يعد الطاعون من أشد الأوبئة هولا وخطرا، وأكثر ما يصيب المدن الساحلية والموانئ؛ حيث

يصيب الحيوانات القارضة كالجرذان المنتشرة؛ بسبب وجود السفن بشكل وبائي فيقتلها، وتنتقل العدوى من الفأر إلى آخر سليم بواسطة البراغيث التي تنتقل أحيانا إلى الإنسان ناقلة إليه عدوى ذلك المرض، والجدير بالذكر أن الميكروب الموجود في الإنسان هو نفسه الميكروب الذي يصيب الفئران، وللطاعون تاريخ أسود حالك في تاريخ البشرية فإنه وبمجرد ذكر اسمه يثير الذعر والهلع بنفوس سكان العالم جميعا وغالبا ما ينتشر الطاعون فجأة مكتسحا قطرا بأكمله، حتى أن بعض الأطباء على مستوى العالم في العصر الحديث أسموه بالمرض العاصف، وذلك لكثرة الضحايا موتا بسبب الطاعون[١].

وإذا لم يكن الطاعون أكثر الأوبئة انتشارا فهو على الاقل من الآفات الفتاكة أكثر من غيرها بـالأرواح. بل هو من الأوبئة الكامنة في بلاد الشرق، والطامة الكبرى هي أن أسباب المرض شتى لاتزال مستعصية على المتصدين لمعالجتها بالبحث والتمحيص والاستقصاء. وكان الطاعون وباء في سائر البلدان الممتدة على السواحل الشرقية والجنوبية من البحر الأبيض المتوسط. ومع تفاوت درجات انتشاره فيها شدة وخطورة، فإنه لا تكاد تمر سنة حتى ينزل بكلكله على الشرق في ميعاد واحد. والعادة أنه نشأ بين الناس بادئ ذي بدء لا يكون شديدا. فإذا انتشر بشكل وبائي، وهو ما يحدث مرة في كل ست سنوات أو ثمان أو عشر، فإنه يحصد الأرواح حصدا، ويكون شأنه في ذلك شأن الكوليرا إذا انتشرت وأحلت بهم باسمها فجعلتهم غرضا لسهامها وجزرا لسيوفها[٢].

كـان الطـاعـون لا ينتقل إلا عـن طريق الملامسة، وإن البعض يرجع أصل الطاعون إلى تصاعد الروائح العطنة من الطين بالقنوات؛ ولكن هذا الزعم بعيد عن الحقيقة بدليل أن الأجانب الذين يسكنون على الشواطئ لم يصابوا مطلقا بالطاعون؛ حيث ينتشر الطاعون في الهواء عن طريق الاتصال المباشر، أو الطعام أو المواد الملوثة فهو من الأمراض المعدية. وكان الوباء ينتشر كالنار في الهشيم في أجواء فصلي الصيف والشتاء معتدلي الحرارة على عكس الحر الشديد أو البرد القارص[٣].

وتكمن خطورة الطاعون في أنه من الأمراض شديدة الفتك والمعدية سريعة الانتشار، والتي فتكت بالكثير من سكان العالم عند اجتياحه لأي منطقة. فلم يكترث له العالم في بداية الأمر حتى انتشر بشكل مفزع وخطير، فإذا اجتاح مدينة أمات من فيها.

والعدوى وهي انتقال المرض من شخص إلى شخص آخر، موضحة أن هذه العدوى تنتقل في موسم الحج، ومن خلال الحركة التجارية، وذات المكانة الدينية المهمة في المنطقة التي ترتبط مع العالم الخارجي.

والواضح هنا، أن وباء الطاعون ظهر أول ما ظهر في القارة الآسيوية ثم في أوروبا في عهد البيزنطيين وذلك في القرن السادس الميلادي وبعد عدة موجات وبائية لهذا المرض في ربوع أوروبا سكتت حدته، وخفت وطأته، وظل الأمر هادئا لفترة تزيد على الثلاثمائة عام وفي القرن الرابع عشر الميلادي انتشر الذعر مرة أخرى؛ حيث عم المرض أوروبا للمرة الثانية، وسمي في ذلك الحين بالموت الأسود، وفتك بما يزيد عن

ثلث سكان أوروبا ومنذ هذا التاريخ ظل الوباء، متأرجحا بين الانتشار والانحدار حتى القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي؛ حيث قضي على أعداد كثيرة من سكان العالم والجدير بالذكر أن مرض الطاعون كان متوطن في الموانئ مثل شمال أفريقيا ومصر المحروسة[٤].

ارتبط انتشار الطاعون بالموانئ والمدن الساحلية وذلك بسبب المسافرين وانتقالهم من المدن وعدم إجراء أي كشف صحي عليهم طوال فترة السفر.

وينقسم مرض الطاعون إلى ثلاثة أنواع الأول الطاعون الدبلي والثاني الطاعون التسممي والثالث الطاعون الرئوي، على العموم يبدأ المرض بارتفاع مفاجئ في درجة الحرارة مع قشعريرة وصداع ثم إعياء شديد يعقبه هذيان ينتهي بغيبوبة ووفاة وتتضخم الغدد الليمفاوية في النوع الدبلي، وفي بعض الحالات يتسرب الميكروب إلى الدم فيسبب النوع التسممي كما قد تسبب الإصابة التهابا بالرئة غالبا ما ينتهي بالوفاة وهو النوع الرئوي من أخطر الأنواع في حالة حدوث الأوبئة، إذ أنه ينتقل بالرذاذ عن طريق الهواء، وهو شديد الخطورة وقاتل لضحاياه[٥].

وتشير الدلائل، أن مرض الطاعون قد اجتاح البلاد العثمانية عام منذ ١٧١٦م واستمر طويلا في ولايات البلقان المجاورة التي حكمت بواسطة السلطان العثماني ولا يزال خفيا لماذا كانت الكردونات الصحية والحجر الصحي مؤثرة، فبعد أن نهى سلام بلجراد الحرب النمساوية - العثمانية عام ١٧٣٩م، أنشأ النمساويون منطقة تحكم في الطاعون غطت حوالي نصف الأراضي المجاورة لها ووفرت العمل لحوالي ٤٠٠ من القوات وأنشأت مناطق عسكرية مشابهة في ترانسلفانيا وجنوب الدانوب على طول الجبهة العسكرية، كانت هناك مراكز صحية تدعمها دوريات متنقلة لديها أوامر بإطلاق النار على المسافرين بطريق غير شرعي[٦].

وتشير الدلائل إلى أن النمسا كان لها الأفضلية لإنشاء نقاط تفتيش صحية على حدودها (الحجر الصحي) تقوم بإجراءات صارمة للكشف عن دخول المسافرين إلى أراضيها، وذلك لعدم تفشي الأمراض المعدية الفتاكة.

والواضح هنا، أنه كان على الأفراد القادمين من الأراضي العثمانية أن يخضعوا للكشف على أعلى الفخذ وتحت الإبط وخلع الملابس والحجر الصحي الذي قد يستمر لثمانية وأربعين يوما، وكان تطهير السلع التجارية يتم بتعريضها للدخان وفي حالة الشك في صوف خام كان المتبع وضعه في مستودعات البضائع؛ حيث كان يستخدمه الفقراء من الناس في النوم، فإذا ظهر عليهم أعراض الطاعون كان يطلق عليهم النار، ويتم حرق الصوف، وفرضت سياسات النمسا في الطاعون صعوبة على الشعب البلقاني التابع للدولة العثمانية على خط الحدود؛ إذ تم وضع سياسة للحجر الصحي لمدة ثمانية وأربعين يوما، وقد أعاقت سياسات النمسا أيضا التجار الرأسماليين من البلغار واليونانيين على الجانب العثماني الذين كان عمالهم الحرفيون يعرضون القماش للبيع في أوروبا.[٧] ففي السنوات الأولى كان القماش والحبوب من الصادرات الرئيسية ومع طول مدة الحجر الصحي في النمسا وفي

الوقت الذي يستغرقه السفر الطويل؛ لذلك المدة لم تكن بسيطة، ظن النمساويون أنهم يطبقون إجراءات صارمة وأنهم شعوب متمدنة خالية من الطاعون وأن بلاد الشرق المسلمين التابعين للدولة العثمانية هم بدائيون وموبوئون بالأمراض، وفي عام ١٧٩٩م تذكر مجلة طبية بريطانية أنه لا توجد أمة لم تشتبك في حرب طويلة مع الأتراك العثمانيين إلا وأصيبت بالطاعون. والجدير بالذكر أن في عام ١٧٨٥م قضى الطاعون الذي اجتاح مصر المحروسة على سدس عدد السكان وكما هو معروف فإن المدن غالبا ما تكون بؤرة للأوبئة[٨].

وغالبا ما كان سكان المدن في معظم المناطق يشكلون من ١٠ إلى ٢١٠٪ من مجموع السكان تقريبا أما في مقدونيا فقد كانت النسبة حوالي ٢٥٪ وهذه حالة استثنائية لكن تناقص عدد سكان من الأرياف إلى المدن، ولعل مدينة أزمير عانت أكثر من غيرها من المدن لكونها مدينة ساحلية ومرفأ هام وبالتالي فهي على احتكاك مستمر بالعالم الخارجي، وكذلك مدينة سالونيك في بلاد اليونان التي تعرضت لوباء الطاعون عام ١٧٨١م، والذي راح ضحيته ٢٥ ألف شخص، وهذا العدد يمثل نفس عدد سكان سالونيك بيد أن الأرقام لا يحول عليها كل ما نستطيع قوله هو إن الوباء قضى على عدد كبير من الناس إلا أنه يوجد إحصاءات أكثر دقة بالنسبة لمدينة حلب بفضل وجود طبيب أوروبي كان يقيم فيها عندما ضرب الطاعون المدينة، وقد أحصى بنفسه عدد الموتى، وكانت حلب آنذاك مركزا مهما يقع على طريق القوافل، وهذا يفسر تفشي الطاعون في المدينة ثمان مرات على امتداد خمس عشرة سنة في القرن الثامن عشر وبين سنتي ١٨٠٢ و ١٨٢٧م تعرضت مدينة حلب أربع مرات لوباء الطاعون وتبعا لإحصاءات النفوس لهذا الطبيب أفنى الطاعون من ١٥ إلى ٢٠ ٪ من سكانها في أواخر القرن الثامن عشر[٩].

عند النظر لتلك الإحصاءات، من الملاحظ أن الأطباء الأوروبيين هم الذين اهتموا بالحالة الصحية داخل المدن العثمانية بعد الكشف عن المصابين أنفسهم ومحاولة علاجهم من الامراض المعدية للحد من المرض وخسائر الأنفس.

وفي نفس الصدد، إذ ضرب الطاعون العاصمة استانبول عام ١٨١٢م[١٠] وبالفعل قد اجتاح الطاعن الدبلي المعروف في المنطقة منذ وقت طويل، بسقوط أعداد ضخمة للغاية من الضحايا في أزمير وغيرها من الموانئ خلال القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر فتعرضت الدولة العثمانية بأكملها لهذا المرض ما بين عام ١٨١٢ وعام ١٨١٨م، وفى عام ١٨١٢ مات عدد يقدر بثلاثمائة ألف نسمة ربما يكون مبالغا فيه في مدينه استانبول الكبرى بسبب الطاعون[١١]. وقد أشار نفر من المؤرخين إلى أعداد الضحايا فيذكر أن مرض الطاعون قد سبب دمارا كبيرا بين سكان استانبول، إذ مات بسببه أكثر من سبعين ألف من سكان العامة وأجوارها[١٢].

وتشير الدلائل إلى أن وباء الطاعون قد اجتاح الجزائر عام ١٨١٦م، إذ جاءت العدوى من الإسكندرية عندما حلت سفينة الحجيج بميناء عنابة وعلة متنها مصابين بالوباء، وعام ١٨١٧م اجتاح الوباء مرة أخرى بسبب سفينة سويدية

قدمت من أزمير، والبعض يرجع سبب الوباء إلى سفينة يونانية التي خرجت من بيروت. ومع ذلك انتشر الوباء وهرب السكان الجبال[١٣].

وبالفعل عند النظر لتلك الأعداد التي تذكرها الإحصاءات والتي ماتت بسبب مرض الطاعون، فمن الملاحظ أن تلك الأعداد تدل على الخطر الذي كان يحيط بالمدن العثمانية ويفتك بها.

وفي أثناء ذلك، حدث طاعون في بغداد وكان شديد الوطأة ففتك بالأهلين فتكا ذريعا حتى بلغ في اليوم عشرة آلاف في رواية، ويروى أنه سبب موت نحو الثلاثين ألفا في شهر واحد، وفر من استطاع حتى أصبحت بغداد خالية تقريبا. ودفن الموتى في بادئ الأمر مثل المعتاد، وبعد ذلك صاروا يلقون في كل حفرة عددا كثيرا من الموتى فلما اشتدت وطأة الطاعون أكثر وأكثر وعظمت مصيبته، أخذوا يطرحون الجثث في الطرقات وكان عددهم عظيما[١٤].

وبالفعل فقد عانى العراق العثماني، وبغداد بشكل خاص من انتشار الأوبئة والأمراض، وكان من بين هذه الأمراض الفتاكة مرض الطاعون، الذي كان له آثار سلبية كبيرة ونتائج مدمرة تؤدي إلى هلاك البشر وتدمر المدن فضلا عن شل الحركة السكانية والاقتصادية، ولاسيما بعد أن بدأ السكان بالهرب والفرار من هذا الوباء القاتل خشية الإصابة به، مما أسفر عن ذلك تلف المحاصيل الزراعية لعدم وجود من يرويها ويرعاها، كما أدى انتشار وباء الطاعون إلى توقف النشاط التجاري، وعدم وفود الكثير من العلماء لإصابتهم بهذا المرض. وقد أثر الطاعون على الحياة السياسية بسبب موت الكثير من الأمراء والموظفين في زمن انتشار الطاعون في بغداد عام ١٨٣١م[١٥].

وفي السياق ذاته، في اليوم الثامن عشر من سبتمبر ١٨٣٢م، وصلت من استانبول السفينة النمساوية "ساقيربودللانيدي" وهي من نوع الإبريق إلى ميناء الإسكندرية ويقودها القبطان ماركو سكو جليارين وقد حدثت بعض الوفيات بين البحارة في أثناء الرحلة، ولكنه لم يعلن ذلك حين وصوله، فانتشر المرض بين البحارة بعد أيام قليلة، وكانوا ستة رجال، لم ينج منهم غير رجل واحد هو القبطان، وفي السادس والعشرين من نوفمبر ١٨٣٣م وصل القبطان "يانا" يقود سفينة من نوع الإبريق تدعي ليونيداس وعلى ظهرها واحد وثمانون مسافرا أنزلوا في الحجر الصحي وقد ظهر الوباء خلال بضعة أيام[١٦].

يتضح من السابق أن الإجراءات الوقائية كانت ضعيفة جدا على ظهر السفن والبواخر؛ لذلك كان لا يسلم من تلك الأمراض طاقم وركاب السفن المصابة.

وتشير الدلائل أن مرض الطاعون قد ظهر مرة أخرى في اليوم السابع من شهر يوليو ١٨٣٤م في دير يوناني، فمرض راهبان مات أحدهما، وقد اتخذت جميع التدبيرات اللازمة لفحص الوباء بين جدران الدير، وكلل هاملتون العمل بالنجاح، وعندما أريد البحث عن هاملتون الطاعون، ثبت ثبوتا قاطعا أنه ظهر عند وصول سكرتير البطريرك اليوناني في مدينة القدس إلي الدير، وكان الوباء منتشرا في تلك المدينة، ولم تكن الحقائب التي تحوي أمتعة هذا الشخص قد فتحت قط خلال رحلته بطريق البر أو البحر،

ولا خلال الأيام السبعة، وهي الفترة القصيرة التي طلب إليه أن يقضيها في المعزل الصحي عند وصوله قبرص، ولكن هذه الحقائب لم يقم بفتحها أحد خدم الدير حتى أصابه المرض وعاجله الموت في ثمان وأربعين ساعة، وكاد هذا الحادث أن يمضي دون يلتفت إليه أحد لولا أن الراهبين اللذين ساعدا الخادم، مرا في صبيحة يوم وفاته[١٧]، وفي اليوم الخامس من أغسطس من نفس العام، مات القبطان ديمتري العثماني، وكان يقود سفينة عثمانية من نوع الإبريق، تدعى "ليونيداس"، وكانت آن ذاك راسية في الميناء بالإسكندرية، وقد وجدت على جسمه آثار الطاعون ظاهرة ظهورا واضحا، وثبت عند تحري أسباب الوفاة، أن القبطان اتصل ببعض الفتيات السود في قرية فوة، وكن يقمن قبالة المستشفى الأوروبي وفي اليوم الثالث عشر من أغسطس توالت عدة وفيات خلال أيام قليلة، قرية فوة وفي قرية أخرى تجاورها، وهما قريتان يقطنهما الزنوج وقد ظهر الطاعون فيهما وعند التدقيق في تحري منشئة اتضح أن غسالتين زنجيتين، تقطنان أحدى القريتين، كانتا تقومان بعملهما في الدير اليوناني سالف الذكر لأول مرة، حيث كانتا تجمعان أمتعة الراهبين اللذين ماتتا بالطاعون[١٨].

ومن الواضح هنا، أن المجتمع كان قليل التدابير من أجل الوقاية من الأمراض المعدية، وأن مناطق الحجر الصحي كانت مهملة وغير مجهزة وليست على القدر الكافي من الجهازية من الأمصال والأدوية.

ونتيجة لما سبق من أحداث في القرى، فقد صدرت الأوامر بإخلاء هاتين القريتين وتبخيرهما تبخيرا جيدا، كما بخرت بالجير المحور أمتعة الأهالي كل على انفراد وبذلك أمكن القضاء على الوباء وظل الأهالي تبدو عليهم مظاهر الصحة والطمأنينة[١٩].

على غرار الحجر الصحي في النمسا كان يتم حرق الملابس وتبخير الأمتعة والأغراض الشخصية وعزل المسافرين المشكوك في إصابتهم لمدة ٤٨ يوما.

والشاهد من المصادر، أن الطاعون ظل منتشرا في بلاد الليفانت (البحر المتوسط) من ٢٧ أكتوبر ١٨٢٨م إلى ١٧ يناير ١٨٣٧م وكان مصدره الحجاج القادمين من جهات الليفانت التابعة للدولة العثمانية وهناك من مات وهناك من حالفه الشفاء[٢٠].

كان البحر المتوسط سواء الجانب الأوروبي أو الجانب العربي يمثل منطقة وباء واضحة بسبب اتصاله ببعضه البعض خاصة بسبب أبحار السفن طوال الرحلة للعديد من الموانئ.

ويتضح هنا أن الدولة كانت في موسم الحج غاية في الذعر والرعب الشديد عند انتشار الأمراض والأوبئة مثل مرض الطاعون، فهو من الأمراض المعدية وشديدة الفتك، إذ أن الطاعون سريع الانتشار خاصة بسبب ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة العالية، فهي بيئة مؤهلة لانتشار الطاعون والمعضلة الأكبر هي بعد انتهاء الحج، فبعد خروج الحجاج إلى طريق العودة متجهين إلى بلادهم وإذ كان بينهم مصاب فعلى طول الطريق يتم نشر المرض بين اختلاط الحجاج بأهالي الطرق بغرض الاستراحة أو

التزود بالماء والطعام لذلك كان الوضع غاية في التعقيد.

علاوة على ما تقدم، وفي عام ١٨٣٦م كان وباء الطاعون لا يزال قويا بحيث قضى على حوالي ثلاثين ألفا من سكان العاصمة واستمر الطاعون بزيارة استانبول وولايات البلقان كل عام تقريبا خلال السنوات الثلاثين التالية، بيد أنه من الواضح أن حدته قد تناقصت، وقد عاود الطاعون الدبلي الظهور في كل عقد حتى خمسينات القرن التاسع عشر والأقاليم المصرية والسورية والعراقية وفي شبه الجزيرة العربية وعلى ساحل بحر إيجة في الأناضول، ضرب الطاعون ستة وعشرين مرة في ما بين عام ١٨٠١م وعام ١٨٥٠م؛ وفي أزمير حد طاعون سنة ١٨١٢م خمس هذه المدنية، وقد زاد الوباء شرقي ووسط أقاليم الأناضول ٢٨ مرة خلال نصف القرن هذا، أما في الأراضي السورية، فقد قتل الوباء الذي حل بحلب سنة ١٨٢٧م ما يراوح بين ٢٠ و ٢٥ ٪ من السكان[٢١].

أضف إلى ذلك، أنه في بغداد عام ١٨٣١م مات حوالي سبعة آلاف شخص، وفي أسبوعين فقط هبط عدد سكان بغداد من ٨٠ ألف نسمة إلى ٢٧ ألفا بسبب العديد من الكوارث والأوبئة[٢٢]، وساعد الطاعون على إنهاء حكم آخر المماليك في المدينة المحاصرة، وقد كان ذلك جزءا من أكبر عملية انتشار لهذا الوباء حدثت خلال القرن التاسع عشر؛ حيث حل أيضا بإيران والعراق إلي جانب سوريا، وأزمير وطرابزون، وقد عاود الوباء الظهور في البلقان العثماني والأناضول في أثناء أربعينات القرن التاسع عشر؛ وبينما خفت حدته تدريجيا في هذه المناطق، بقيت أقاليم الجزيرة العربية والمنطقة القارية مصابة بالطاعون[٢٣].

والراجح هنا أن انتشار الطاعون في بلاد الشرق يرجع إلي طبيعة المناخ، حيث ارتفاع درجة الحرارة خاصة في شبه الجزيرة العربية وغيرها من البلاد، ويتضح أن الطاعون من الأمراض الخطيرة وسريعة الانتشار.

(٢) الكوليرا "Cholera"

يعد مرض الكوليرا أيضا من أشد الأوبئة خطورة وفتكا، وذلك لسرعة انتقال العدوى بين الأهالي، وارتفاع نسبة الوفيات فيها، ويتميز المرض بحدته، وحدوث إسهال شديد دون ألم أو مغص، وكذلك بوجود قيء شديد لا يسبقه غثيان، وإنما يعقب ذلك ضمور وجفاف بجسم المصاب نتيجة لاستنزاف السوائل الموجودة بالجسم ما ينتج عنه تقلصات في العضلات وهبوط في درجة حرارة الجسم ثم هبوط في الدورة الدموية ونقص في إدرار البول أو احتباسه مما يسبب الوفاة في أغلب الأحيان[٢٤].

يصنف مرض الكوليرا على أنه من الأمراض أشد فتكا بسبب عدد الوفيات التي أصيبت بهذا المرض حول العالم، فهو سريع الانتشار فما كان من هذا المرض إلا حصد الأرواح حصدا.

وتشير الدلائل أن الكوليرا تتوطن في بعض المناطق بآسيا كالصين والهند، ولكنها تنتشر في صورة وبائية خطيرة إلى باقي أجزاء العالم عن طريق التجارة والسفر والحج إلى الأماكن المقدسة لذلك وضعت العديد من الحكومات إجراءات ولوائح صحية التي تكفل حماية البلاد

من هذا الوباء المدمر والتقليل من حدته[٢٥].

والجدير بالذكر أن الكوليرا ظهرت عام ١٨١٧م؛ حيث شملت القارة الهندية بأكملها، ودخلت منطقة الخليج العربي سنة ١٨٢١م عندما هاجمت عمان والبحرين والساحل الشرقي للخليج العربي، ووصلت إلى بلاد الحجاز والبصرة[٢٦].

وعند الإشارة للكوليرا كمرض فهو خطير سريع العدوى ويحدث غالبا عن طريق الماء نتيجة تلوثه بالمواد البرازية للمرضي أو لحاملي الميكروب[٢٧]. وقد تنتقل العدوى أيضا عن طريق المأكولات والفواكه التي تلوثت ولم تغسل جيدا، أو غسلت بماء ملوث، أو عن الطريق تناولها بأيد ملوثة، وأيضا عن طريق تناول سرطان البحر والأستكوزا والمحار والبطيخ والفراولة والخضروات وغيرها من الأطعمة التي تحتوي على كميات من الماء الملوث بالبراز، أو أي طعام يكون الذباب قد حط عليه ببراز آدم مصاب بالعدوى[٢٨].

وفي نفس الصدد، فهناك سلسلة أخرى لانتقال المرض يمكن أن تحدث خلال ابتلاع عرق المصاب بارتداء ملابسه غير النظيفة بوصول طرف الكم مثلا إلى الفم وهناك وسيلة أخرى بابتلاع قطرات من الماء المستخدم في غسيل أغطية وملاءات فراش ملوثة بالكوليرا بدون قصد[٢٩]، وعلى أية حال، فإن مرض الكوليرا لا ينتقل عن طريق الهواء وكذلك يندر حصولها عن طريق المخالطة، وبالتالي يندر إصابة الأطباء أو الممرضات المعالجين بها أثناء عملهم إذا ما اتخذوا الاحتياطات اللازمة للسيطرة على مرض الكوليرا[٣٠].

ويتضح من السابق أن تعددت طرق الإصابة بوباء الكوليرا من الماء الملوث بالبراز والأغطية والملاءات الملوثة بالكوليرا والملابس الملوثة، وقطرات الماء الملوثة، والتي تصيب الإنسان في النهاية بإسهال شديد وغثيان يؤدي لموت أشخاص كثر في نهاية المطاف.

تشير الدلائل على ظهور الكوليرا الآسيوية قادمة من الشرق إذ دخلت الكوليرا العالم العثماني عن طريق روسيا، فإنها ضربت أولا الأقاليم العراقية في عام (١٨٢١ - ١٨٢٢) وتحركت بسرعة إلى داخل المناطق السورية والأناضولية الشرقية[٣١].

أضف إلى ذلك أن الكوليرا كانت أقل فتكا وتدميرا من مرض الطاعون[٣٢]، وقد انتشرت الكوليرا عن طريق المدينتين المقدستين مكة والمدنية، وتكشف التقارير عن أن الكوليرا ظهرت في الحجاز للمرة الأولي سنة ١٨٣٢م؛ لتقتل ما يزيد على عشرة ألف شخص قبل أن تنتقل إلى مصر وأوروبا وجاءت موجتان جديدتان من الكوليرا في ثلاثينيات القرن التاسع عشر أعقبتهما موجة وبائية في أربعينيات القرن قتلت حوالي عشرة آلاف شخص في مكة، وأفيد عن أنها قتلت عشرين ألفا في بغداد، ثم حدثت أربع موجات أخرى في خمسينيات القرن التاسع عشر إذ راح ضحيتها الكثير[٣٣].

كان الشغل الشاغل للدولة العثمانية هي وقاية ورعاية الحجاج؛ حيث تقوم بالعديد من التدابير الاحترازية لمقاومة الأمراض المعدية. فقد اجتاح مرض الكوليرا أراضي الحجاز عام ١٨٣١م، واعتبر وباء خطيرا أثناء فترة الحج في مكة،

ثم ظهر مرة أخرى ظهورا خفيفا في الأعوام ١٨٣٨م، ١٨٣٩م، ١٨٤٠م وبشدة في عام ١٨٤٦م. تلا ذلك موجات خفيفة عام ١٨٥١م، ١٨٥٦م، ١٨٥٧م. ولم تجد الدولة العثمانية بدا من اتخاذ بعض الإجراءات اللازمة لمنع انتشار الوباء؛ لذلك فرض في عام ١٨٥٩م على كل سفينة حجاج تدخل المياه العثمانية وجود طبيب مرافق[٣٤]. ونتيجة لزيادة الوباء في بلاد الحجاز قامت الدول الأوروبية بطرح فكرة إنشاء الحجر الصحي في البحر الأحمر. والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية قامت منذ ستينيات القرن التاسع عشر بتطبيق الحجر الصحي للبحر الأحمر على مضيق باب المندب للحجاج من جنوب شرق آسيا، وبالفعل فقد انتشر الحجر الصحي على طول سواحل الحجاز للحفاظ على الوضع الصحي في موسم الحج[٣٥]. وزادت أهمية الحجر الصحي في البحر الأحمر خاصة بعد افتتاح قناة السويس للملاحة عام ١٨٦٩م.

وعلاوة على ما تقدم، فإنه وأثناء حرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٦) تعرضت جيوش الحلفاء (إنجلترا - فرنسا - الدولة العثمانية) إلى وباء الكوليرا الذي انتشر بطريقة كبيرة بين الجنود، إذ أخذ الوباء يحصد الأرواح بصورة مروعة خلال المراحل الأولي للحرب[٣٦]، والذي زاد من تفشي الوباء والأمراض الأخرى هو أن المستشفيات كانت في حالة متدهورة معيبة، بحيث ترك كثير من الجرحى والمرضي في أفنيتها، وكان الشتاء قارص البرودة وهو الأمر الذي زاد من آلام الجنود من ناحية وانتشار الأمراض من ناحية أخرى[٣٧].

والجدير بالذكر أيضا أن الحروب كانت مركزا لانتشار الأمـراض والأوبـئـة سريعة الانتشار بين الجنود وفي المستشفيات الميدانية، مما جعل من المرض الوبائي يحصد الجنود بطريقة سريعة ومخيفة.

وقد أشار نفر من المؤرخين (أنه قد انتشر وباء الكوليرا في (سيس)[٣٨]؛ لذلك صعدنا إلى الجبال بسبب الكوليرا؛ حيث كان من اللازم إرسـال الجنود لتغيير الهواء كلما لزم الأمر مراعاة للأصول الصحية أما عن سيس فقد زادت الكوليرا من وطأتها، واستشرت وأثناء صعودنا الجبل كنا ندفن الموتى، وتحمل من إصابتها الكوليرا على ظهر الخيل، ونرسلهم إلى المعسكر ولم يحل يوم واحد من مريض محمول على ظهر الخيل الاحتياطي وبالفعل فد اشتدت وطأة مرض الكوليرا على السكان والعساكر[٣٩]

وفي عام ١٨٦٥م عاد وباء الكوليرا بموجة قاسية، إذ حصد أرواح ثلاثين ألف فرد على الأقل من الحجاج وكذلك زوجة حاكم الحجاز وابنه وابنته ووقعت الكارثة مرة أخرى عام ١٨٩٣م حيث توفي ما يصل إلى أربعين ألف حاج وحمل الحجاج العائدون الكوليرا إلى استانبول؛ حيث قتلت ألفا ومائتي شخص، كما حكموها إلى أزمير وطرابزون، وانتشر الوباء بشكل كبير أيضا في عام ١٩٠٢م[٤٠]

والراجح هنا أن الدولة العثمانية كانت تعاني كثيرا من الأمـراض الفتاكة سريعة الانتشار، وبخاصة عند دخول هذه الأمراض إلى قرية أو مدينة بعينها، فما كان من الوباء إلا يقتل من أمامه من سكان القرية حيث يتركها بدون بشر أحياء مما أضر بالدولة العثمانية بوضعها الاجتماعي

الذي أضر من خلاله الوضع الاقتصادي للدولة وترتب عليه ضائقة مالية تقف دون تحقيق الدولة لالتزاماتها في كافة المجالات.

(٢) الملاريا Malaria

يوصف أبو قراط، الطبيب اليوناني الملاريا قائلا: عرفها بأنها حمى راجعة (متكررة) يصحبها تضخم في الطحال[٤١]، وعن أسباب المرض يذكر أنه تتسبب فيه الأبخرة المتصاعدة من المستنقعات والمياه الراكدة لفترة طويلة بمكان كريه الرائحة[٤٢].

فالملاريا نوع من الحمى يكثر تواجدها في مناطق زراعة الأرز والمستنقعات؛ كذلك ينتشر في فصوص من الرئتين، وتمدد حجم القلب في الحالات الشديدة، وتشنجات أثناء النوبات الخانقة، نزف وخاصة بالأعضاء في المناطق الاستوائية والمناطق المعتدلة، وتنقل الإصابة للشخص السليم بنوع من البعوض يسمى (أنوفيليس)، يعدي بجراثيم الملاريا من شخص مصاب، والأعراض لهذه الحمى نوبات، كل نوبة لها ثلاثة أدوار متعاقبة، البرودة والقشعريرة، الحرارة ثم العرق[٤٣].

والواضح أن الملاريا كانت قد انتشرت داخل الأراضي العثمانية، وبخاصة في معظم أراضي الأودية النهرية في غربي الأناضول، إذا كانت هناك مستنقعات تنتشر فيها الملاريا بشكل كبير؛ لأنها مستنقعات متروكة بدون استخدام، فما كان من الدولة العثمانية إلا أن قامت بوضع البدو التركمان في تلك المناطق ذلك للإقامة فيها والعمل على استصلاح جزءا كبيرا من تلك الأراضي لزراعها بمحاصيل تدر عليهم أموالا نقدية كالقطن والأرز وعن رحيلهم إلي المراعي الصيفية كانوا يتركون مراقبين ليعودوا من أجل الحصاد[٤٤].

وجدت الدولة العثمانية هذا الحل في توطين بعض من البدو للقضاء على أراضي المستنقعات ذات الرائحة الكريهة والأمراض المعدية مثل الملاريا، وإعادة استصلاحها وزراعتها للاستفادة منها، والحد والوقاية من الأمراض ويزيد على ذلك الإفادة الاقتصادية بزراعة تلك الأرض.

ومن الملاحظ أن الدولة العثمانية قد وجدت هذا الحل في القضاء على تلك المستنقعات في غربي الأناضول التي كانت مصدرا لقلق الدولة وأمنها الصحي بعد انتشار مرض الملاريا.

الشاهد من المصادر في أواخر القرن التاسع عشر أن الملاريا قد انتشرت بصورة كبيرة وأنها قد قضت على أعداد كبيرة، إذ قللت من أعداد السكان المهاجرين من التتار والشراكسة في إقليم أضنه[٤٥]، وأزالت بعض مستوطنات المهاجرين عن بكرة أبيهم[٤٦].

وغالبا أن مرض الملاريا لم يكن له الباع الطويل داخل الأراضي العثمانية خاصة وأنه ليس سريع الانتشار من الأمراض سابقة الذكر.

(٤) التيفوس "Typhus"

يوجد هذا المرض في المناطق المرتفعة الباردة من شمال وجنوب أفريقيا وآسيا؛ حيث يضطر الإنسان إلى ارتداء الملابس الثقيلة التي قد تحوي الحشرات الناقلة لهذا المرض وأشهرها القمل والبراغيث والقراد، مع عدم العناية التامة بالنظافة والاستحمام وغسيل الملابس وغليها في

الماء والصابون، وتنتقل هذه العدوى عن طريق هذه الحشرات إذ تتكاثر في أمعائها بعد لدغها للعائل الأول، وتصبح قابلة لعدوى شخص آخر بعد عدة أيام وتحصل العدو عن طريق تلوث مكان اللدغ ببراز الحشرة المصابة[٤٧].

وتشير الدلائل أن مرض التيفوس اجتاح الأراضي العثمانية في العقود الوسطي والأخيرة من القرن التاسع عشر وجاء بصحبة اللاجئين المسلمين من أراضي الروسية، وكن عندما خفت حدة هذه الهجرات اختفت معه حدة مرض التيفوس، وقد ظهر التيفوس في أواخر القرن التاسع عشر عام ١٨٩٢ م حين جاءت سفينة محملة بالعمال الفارين من المجاعة حول بنغازي في ليبيا وتسبب في انتشار خفيف للتيفوس في بلاد الشام[٤٨].

وبما أن أماكن انتشار المرض تتركز في الأماكن الباردة فقد انتقل المرض من روسيا إلى الأراضي العثمانية والمناطق الشاطئية التي تستقبل المسافرين.

ونتيجة لما سبق، فإن التيفوس لم يكن له الأثر الكبير داخل الدولة العثمانية بسبب محاصرته خاصة في أواخر القرن التاسع عشر، وتقدم العلوم الطبية والأساليب الوقائية من الأمراض والأوبئة في ذلك العصر.

(٥) الجدري "Small - pox":

هو مرض وبائي شديد العدوى، وتنتقل العدوى في هذا المرض من المريض إلى السليم عن طريق رذاذ التنفس، أو عن طريق القشور الجلدية التي تعقب ظهور طفح الحمى، والتي يبقي بها الفيروس المسبب حيا لمدة طويلة، ويصيب هذا المرض كان المعرضين له إناثا كانوا أو ذكورا، وقد عرف أن هناك نوعا من الأمراض التي تصيب الحيوان كبير الشبه بمرض جدري الإنسان ويسمي جدري البقر، وقد تمكن العلماء حينئذ من تحضير طعم له فائدة كبيرة في تحصين الإنسان ضد الإصابة بالجدري، وذلك بإصابة الحيوان بفيروس جدري البقر وتحضير الطعم من الحيوانات المصابة[٤٩].

والجدري مرض معدٍ مصحوب بحمى ذات السير المخصوص، تنتقل عدواه بطرق كثيرة من أهمها الهواء، وله طفح خاص يظهر على معظم الجسد أو كله، يبدأ بهيئة "حليمات papules" تتدرج إلى "حويصلات vesicles"، وثم إلى براثت pustules" ثم تقشر وتنتهي غالبا "بندب scar".فهو مرض تلوثي معدٍ ينتقل من شخص إلى آخر، ومن بين الأعراض التي يتميز بها هذا المرض الطفح الجلدي بشكل الفقاعات السوداء المليئة بسائل، وكان الجدري يودي بحياة عدد كبير من الأطفال، يفتك بالأرواح ويترك آثاره المدمرة في فصل الشتاء وينتقل بالعدوى؛ لذلك كانت الغالبية العظمى من ضحاياه من الأطفال. وأهم أعراض المرض إصابة المريض بالتهاب حاد معدٍ يظهر على هيئة طفح جلدي بعد ثلاثة أو أربعة أيام من الإصابة، وتظهر تقيحات على سطح الجلد بعد أسبوع واحد يصاحبها حمى شديدة، ثم تجف الالتهابات بمضي ثلاثة أسابيع تاركة خلفها ندوبا عميقة وصغيرة على الجزء المصاب وبخاصة على الوجه، والتي قد تمتد لأجزاء أخرى من جسد المصاب، وربما يصاحب المرض بعض حالات الهياج العصبي عند المريض إذا طالت فترة المرض[٥٠].

فمن الواضح أن مرض الجدري انتشر في أوروبا في ذلك الوقت، وهذا الداء قد ينجو منه القليل من الناس، ولا يصاب من يصاب به أكثر من مرة واحدة في العمر، وقد تكلم جماعة من الأطباء الأقدمين عن أسبابه فقالوا إنه فضلة رطبة رقيقة تدفعها الطبيعة، هذه الفضلة تتولد عن اختلاط اللبن ودم الحيض في دماء الصبيان فبعد أن تخرج هذه الفضلات من البدن الإنساني يصفو الدم ويقوى[٥١].

وخطورة مرض الجدري تعود إلى انتشاره بسبب العدوى بفيروس خاص تنتقل عدواه من المريض إلى السليم بواسطة الرذاذ يخرج من فم المريض أو باستنشاق القشور عند انفصالها عن الجسم، وتنتقل القشور من مكان لآخر بواسطة الهواء أو الذباب، وقد تحدث العدوى أيضا من ملامسة الأيدي بثياب المريض الملوثة بالقشور أو صديد البثور، كما يساعد الازدحام وتكدس السكان على انتشار الأمراض بصورة وبائية، وأهم أعراضه ارتفاع شديد في درجة الحرارة وصداع وألم في منطقة أسفل الظهر[٥٢].

ونظرا لوجود هذا الوباء في الأطفال عموما يستدل بأنه مستعد للعدوى، ويذكر أحمد جودت باشا[٥٣]، أن الأطباء اليونان والعرب لم يذكروا شيئا عن داء الجدري، ومن المستغرب أن الأطباء الأقدمين بحثوا كثيرا عن علل هي أقل أهمية من الجدري بكثير.

وعلى أية حال فقد ظهر التلقيح ضد مرض الجدري في الممالك المحروسة (الدولة العثمانية)، بعد أن اكتشفه الأطباء العثمانيون في أواخر القرن ١٧م، وقد حصل الأطباء على اللقاح عن طريق أخذهم ماء حبة الجدري الممتلئة من الأطفال الذين أصيبوا به خفيفا ويفتحون في ذراع الأطفال غير المصابين به محلا، ويضعون ذلك الماء المذكور، بهذه الواسطة كان الولد ينجو من داء الجدري[٥٤]. وقد تم تطعيم الأطفال في استانبول ضد مرض الجدري منذ عام ١٦٩٥م[٥٥]. والجدري من الأمراض الجلدية الأكثر شيوعا في مصر وفتكا بأهلها. على أنه فقد منذ بضع سنوات كثيرا من قوة انتشاره وشيوعه، بفضل ما اتخذته الحكومة من الوسائل لإجراء عملية التلقيح على الأطفال. والمأمول أن ينتهي الأمر بانقطاع ضرر هذا الداء عن مصر كما انقطع عن الدول الأوروبية[٥٦].

وطبقا لما شاهدته زوجة مونته كو سفير إنجلترا المقيم لدة الدولة العثمانية من منافع تلقيح الجدري في أدرنة[٥٧] وجربته في ابنها، وقامت بنقل الصورة كاملة موضحة أنه لم تحدث أية حالة وفاة لأي أحد لقح في الدولة العثمانية، وقد أرسلت تحريرا بذلك إلى إنجلترا بخصوص المرض، والجدير بالذكر إنهم قد جربوا التلقيح في إنجلترا فتحققوا منافعة فانتشر في سائر الأطراف، وقد صادقت علية أطباء أوروبا وقبلته، غير أن رجال الكنيسة قد قاوموا انتشار اللقاح بل وحرموا أنفسهم هذه الفائدة بسبب غطرستهم في ذلك الوقت، ولم يكفيهم ذلك بل اعتبرت الكنيسة من يعالج باللقاح خارجا عن الدين؛ لأنه من صنع الكفار المسلمين[٥٨].

لكن ملوك أوروبا كانوا بخلاف ما كان عليه رجال الدين والكنيسة؛ حيث أعطى الملوك بعض العطايا للذين يلقحون أولادهم ويعاملونهم معاملة لطيفة، ومن بعد ذلك شاهد الجميع محسنات

التلقيح واعترف جميع الناس بأنه دواء أنعم الله به على عباده وهداهم إلى عمله، وأخذوا يصرفون الأموال لأجل تلقيح أولادهم. وفي بداية الأمر تردد الفرنسيين في استخدام اللقاح العثماني للوقاء من مرض الجدري، لكن في نهاية الأمر بادر العموم في استعماله.

ولفت نظر جودت باشا أن تلقيح جدري الأبقار ظهر بداية الأمر في الأناضول[٥٩] من طائفة تدعى اليورك (قبائل تركية متنقلة)؛ حيث زار رجل منهم العاصمة استانبول، وصادف فيها وجود علة الجدري بشدة فقال..(أن هذه العلة لا يحصل منها في بلادنا ضرر يصل إلى هذا الحد؛ لأننا في كل سنة نلقح أولادنا بالطعم الذي نأخذه من الدمامل التي تظهر في أصابع الرعاة منتقلة إليهم من ضروع أبقارهم، لهذا لا يحدث ضرر لدينا من الجدري..)[٦٠].

من الملاحظ أن زوجة مونته كو سمعت به وأرسلت السر إلى انجلترا بعد عام ١٧٩٥م، ولم يغفل جودت باشا ذكر أن طوائف الشركس والإباضية الكورج قامت بصنع اللقاح؛ حيث إن تلك الطوائف كانت تتاجر في العبيد والجواري، لذلك وجب عليهم تلقيحهم؛ لأن مرض الجدري إذا أصاب الوجه زال جمال الشخص، ويكون بذلك خسارة لأرباحهم، فاستخدموه بشكل أو بآخر[٦١].

والجدير بالذكر أن مرض الجدري قد انتقل إلى الجزائر بسبب اللاجئين الإسبان والتجار الإيطاليين؛ حيث تسبب وباء الجدري في فقدان وتشوه عدد كبير بين عامي(١٨٠٣-١٨٠٤م)، ونتيجة لهذا الوباء كان السبب المباشر في إدخال التلقيحات ضد وباء الجدري في الجزائر[٦٢]

وطبقا لما ذكره جودت باشا أن لقاح الجدري، بعدما سمع من بعض الشيوخ في أدرنة، أنه تم استخدام اللقاح قبل إلحاقه بفن الطب، ولكننا نجهل وقت استعماله وكيفيته. وعلى أية حال فإن اللقاح تم استخدامه في كافة أنحاء الدولة العثمانية؛ حيث استخدم في حلب وكردستان وغيرها من البلاد، على العموم يظهر في كل إنسان حبة تزول بعد سنة حتى صارت معروفة بحبة سنة، وقد استخدموها في التطعيم.

هذه كانت آخر أخبار لقاح الجدري واستخدامه في الدولة العثمانية ومعارضة تلك الدول لاستخدام اللقاح، بسبب الجهل الذي كانت تعيش فيه أوروبا لتذمر الكنيسة، وإصرارهم على مواجهة كل ما يأتي من الممالك الاسلامية العثمانية، ولم يكفيهم ذلك بل معارضة كل العلوم الطبية، للحفاظ على سلطتهم الكنسية، وتحكمهم في كافة أنحاء أوروبا. وظل هذا الإصرار قرونا عدة لإبقاء الناس في ظلامات الجهل، حتى استنكر ذلك معظم ملوك أوروبا، ونتيجة لتلك الصحوة الاستنكارية تم تحجيم سلطة الكنيسة في الأمور الدينية فقط. جعل ذلك الفرصة متاحة أمام العلماء الأوروبيين للتعلم والنقل من العلماء المسلمين بالدولة العثمانية؛ حيث كان العلماء دائمين البحث والتنقيب عن أسباب الأمراض والعلل، واستكشاف الأدوية والعقاقير لعلاج الامراض، واللقاح المطلوب للوقاية من الأمراض المعدية؛ حيث إن الدولة كانت توفر لهم كل الظروف؛لأنها لم تكن لتترك رعاياها لأي أمراض معدية تفتك بهم، لهذا اتخذت الدولة كل احتياطاتها في هذا السبيل.

ثانيا: الوسائل التي اتبعتها الدولة للوقاية من الأمراض:

(أ) الحجر الصحي:

وتشير الدلائل أن فكرة الحجر الصحي كان مصدرها الأساس هو الطب العربي الذي كانت له مراكزه في الشرق مثل بخارى وبغداد والقاهرة، كما وقد انتقلت تلك الأفكار الطبية والممارسات العلمية عن طريق العلاقات التجارية والزيارات العلمية ومراكز الترجمة وكذلك عن طريق الحروب؛ حيث سقطت مدن إسلامية في يد الجيوش المسيحية فقد أصبحت مدينة طليطلة - وتعد من أكبر المراكز العلمية والثقافية في شمال الأندلس - ضمن مملكتي أرجون وتتشالة بعد موقعة لاس نافلاس دي توالوز عام ١٢١٢م[٦٣].

وأشارت الوثائق إلى ظهور الطاعون في استانبول (ولاسيما بلاد الشام)؛ فرتب الحجر الصحي اللازم لذلك في مرفأي دمياط والإسكندرية، وتؤكد الوثائق أيضا بظهور الطاعون أولا في بلاد الشام عام ١٨١٣م قبل حدوثه في مصر[٦٤].

وفي بداية الأمر قام السلطان محمود الثاني ببناء مدرس للطب في استانبول، إذ جهزها بكافة التجهيزات الحديثة، واستقدم للتدريس فيها أطباء أجانب مشهورين، وابتدأ التدريس في هذه المدرسة الطبية الحديثة التي عرفت باسم المدرسة الشاهنية العسكرية للطب والصيدلة في عام ١٨٢٧م[٦٥].

وقد بدأ السلطان محمود الثاني نظام الحجر الصحي والاهتمام بأمور الصحة العامة منذ عام ١٨٣٨م، إذ قامت الدولة بتطبيق نظام الحجر الصحي، وأصدرت بعد سنتين أي في عام ١٨٤٠م نظاما خاصا به أسمته بـ (نظام الكورنتينة)[٦٦] واستمرت بإصدار ذيول وأنظمة فرعية كثيرة لهذا النظام حتى عام ١٨٧١م، وفي ٢١ يوليه من نفس العام قامت بنشر أول نظام يتعلق بالصحة العامة وإدارتها في العاصمة وفي الولايات على حد سواء، وهو نظام الإدارة العمومية الطبية المؤرخ في ٣ جمادي الأول ١٢٨٨ هـ، الذي اتجه بإصدار اهتمام الدولة نحو مجمل الأوضاع الصحية، ولم يقتصر على الحجر الصحي فقط بل قد تعددت الأساليب لحماية المرضى[٦٧].

الواضح هنا، أن السلطان محمود الثاني أراد تطبيق الإصلاحات على النظام الصحي في الأراضي العثمانية؛ حيث أخذ الكثير عن الحجر الصحي الذي قام بإتباعه محمد علي باشا والي مصر لحماية السكان من الأمراض المعدية التي تنتقل مع المسافرين عبر الموانئ.

وقد وردت الأخبار المترادفة بوقوع الطاعون في كثير من استانبول، فأشار الحكماء على الباشا بعمل كورنتيلة بالإسكندرية على قاعدة اصطلاح الإفرنج ببلادهم، فلا يدعون أحدا من المسافرين الواردين في المراكب من الديار الرومية يصعد إلى البر إلا بعد مضي أربعين يوما من وروده، وإذا مات بالمركب أحد أثناء المدة استأنفوا الأربعين[٦٨].

والجدير بالذكر أن محمد على باشا والي مصر قد بدأ أسلوب الحجر الصحي بتأسيس أول مجلس للصحة في مدينة الإسكندرية في عام ١٨٢٧م[٦٩]، إذ قام محمد على باشا بإنشاء الحجر

الصحي، لمنع دخول الطاعون والأمراض المعدية الفتاكة إلى البلاد وانتشارها فيها[٧٠].

وعلى أية حال، فقد أنشئ محمد على باشا الحجر الصحي بسبب تكرار الأوبئة التي تعرضت البلاد لها، وقام في عام ١٨٢٨م بتحويل بعض المخازن الكبيرة في دمياط إلى مراكز للحجر الصحي، وفي هذه الهيئة تطبق تعليمات جهاز الحجر الصحي، على الطراز الأوروبي باتباع الاتجاه العام لسياسة الباشا المصري، والواقع أن محمد على قد وافق بالفعل منذ عام ١٨١٥م على محاربة الطاعون بمختلف الوسائل؛ مع ذلك فإن التحول الحقيقي يحدث في بدايات الثلاثينات، بعد أن ينجح محمد على بنفسه في أن يكسب في صفة علماء الدين، ومشايخ الشريعة الإسلامية، إذ استطاع بعدها التحرك بكل سهولة في ذلك الصدد[٧١].

أراد محمد علي باشا، أخذ الطابع الديني والشرعي في علاج المرضى، وفن الموتى حتى لا يقابل معارضة من رجال الدين.

وقد تم اتخاذ التدبيرات في ميناء الإسكندرية للمحافظة على الصحة العامة بتطبيق قوانين الحجر الصحي على السفن القادمة من جهات موبوءة، وتم تعيين موظفين أكفاء في المجلس الصحي بالإسكندرية[٧٢].

والواضح أن السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩م) يتبع الطرق الإصلاحية للدولة العثمانية في كافة المجالات ومن المجالات مجال الصحة العامة؛ حيث إن السلطان محمود الثاني قد نقل عن والي مصر محمد على باشا العديد من تلك الإصلاحات إذ قام بإنشاء الحجر الصحي للدولة العثمانية على غرار الذي تم إنشائه في مصر المحروسة؛ وذلك للحد من الأمراض والأوبئة التي تجتاح الأراضي العثمانية؛ بل وتطوير الحجر الصحي على أحدث طراز موجود داخل الدول الأوروبية للوصول إلى حجر صحي على مستوى رفيع أضف إلى ذلك، أنه وبعد اندلاع الحرب وزوال الود بين محمد علي والسلطان محمود الثاني، قام جيش محمد على بغزو بلاد الشام بقيادة إبراهيم باشا ابن محمد علي، وقد أصيبت هذه المنطقة بعد ذلك بالطاعون الذي اجتاح بيروت مع سفينة رحلت في٣ نوفمبر عام ١٨٣١م من استانبول، ووصل بعد ذلك إلى الإسكندرية وبعد أن تقرر لها هذا الحجر الصحي لمدة ١٩ يوما مات فيها أربعة من الركاب البالغ عددهم ٩٥ راكبا، وقد اقنع تشخيص الطاعون الذي قام به الدكتور الإيطالي رنتسيكو جراسي لجنة الصحة بإبعاد السفينة التي تتجه بمقدمتها جنود بيروت بقيادة القبطان حسين، وتصاب سوريا التي لم يمسها الطاعون في الوقت نفسه وتهدد العدوى بالوصول إلى أكرى، التي كانت تحت حصار إبراهيم باشا[٧٣].

وفي نفس الصدد، قام إبراهيم باشا بإحاطة نفسه بسياج صحي للدفاع عن نفسه ضد هجمات الطاعون، ويستدعي الباشا تقنية أوروبية، وينجح هكذا في قواته المسلحة ولا ينجح بالطبع في السيطرة على تحركات الحجاج إلى الأراضي الشامية[٧٤].

والجدير بالذكر هنا، أن محمد علي والي مصر وابنه إبراهيم باشا لم يتهاونوا في مواجهة الأوبئة التي تحيط بهم؛ حيث حرصوا على اتباع كافة التدابير والإجراءات الوقائية، لعدم

الإصابة وانتشار المرض في أرض المحروسة أو بلاد الشام. وعلى الرغم من ذلك الحرص الشديد، فكانت مصر وبلاد الشام لها نصيب كبير في الأمراض المعدية مثل الطاعون والجدري والكوليرا وغيرهم من الأمراض الوبائية سريعة الانتشار.

ويتضح هنا أن نقطة الانطلاق هي جيش محمد علي باشا الذي يميل لمشروع التوسع الطموح والاستقلال عن الدولة العثمانية، فعلى إثر ذلك اهتم محمد على بحماية الجيش من الكوارث الوبائية في ذلك العصر، ومن ثم فإن مشروع التوسع هذا دفع محمد على في البداية لإصلاح الإشراف الطبي في البلاد وخلق نظام صحي مستقل بعد ذلك ونظرا لاقتناعه بالفاعلية الأعلى الدواء الغربي في الكفاح ضد الأمراض الوبائية، فقد بدأ في عملية للتقليل من شأن الدواء التقليدي وإزالة النظام الصحي القائم من قبل[٧٥].

وفي الصدد نفسه، فعند اجتياح الطاعون مصر عام ١٨٣٤م قام محمد على باشا بعمل حجر صحي في مدينة الإسكندرية ووضع تدابير مشددة، وقامت الشرطة والجيش بحبس ضحايا الطاعون في الحجر الصحي والكردون الخاص به وحرق متعلقاتهم الشخصية كما كان يحدث في أوروبا، وأخذت الحالات الاجتماعية في الاعتبار، فأهالي الإسكندرية من الطبقة المتوسطة أو العليا الذين كان يشتبه في مرض أحد أفراد أسرهم، كان يتم ترحيلهم مع عزل أهل البيت وفي المقابل كان يتم تجميع أسر الطبقات الفقيرة بالكامل المشتبه في إصابة أحد أفرادها بالطاعون ليلا ونقلهم إلى مراكز للحجر الصحي في حافة المدينة، وكان الرصاص يطلق على الفور على أرباب الأسر الذين لم يقوموا بالإبلاغ عن موت أحد أفراد الأسرة بالطاعون[٧٦].

يتضح من تلك الإجراءات الصارمة، قسوة الموقف بسبب انتشار الأمراض والأوبئة في مصر أثناء تلك الفترة، والدليل على تلك القسوة أن محمد علي أمر بإطلاق النار مباشرة عند مرض شخص ما أو أحد أفراد العائلة ولم يتم التبليغ عن مرضه.

أضف إلى ذلك أن المسافرين قد تضرروا من إجراءات الحجر الصحي وطول المدة لذلك تم تقليل مدة الحجر الصحي المفروضة على المسافرين؛ لأنه لا خطر من ورائه كما قد يؤدي إلى السماح بالفحص عنهم في فترة أقصر مما تسمح به الأنظمة الحالية للحجر الصحي[٧٧].

وقد غضب أهل الإسكندرية وبخاصة المسلمين بسبب اعتماد محمد على باشا في الحجر الصحي على الأطباء الغربيين، إذ كانوا يظهرون وكأنهم يأمرون الأطباء المسلمين بفعل أشياء تتنافي مع شريعة الله، كانت إجراءات الصحة التشريحية التي يقوم بها الأطباء عند فحص وتشريح جثة المتوفي العارية، والتي كانت تدفن في الجير الحي، تعد أمثلة صارخة على التدنيس، ولإيقاف تجميع المشتبه فيهم الذي كان يشاع أنهم ربما ماتوا بفعل الطاعون بعد الفحص الإكلينيكي اعترضت مجموعات من المسلمين سبيل الجنود الذين كانوا يأخذون الناس تحت جنح الظلام، فكانت النتائج المتوقعة قتل بعض الأفراد رميا بالرصاص، مما روع كل المناطق المحيطة، وتم تجميع المزيد من ضحايا الطاعون وأسرهم، بعض الأسر التي وجهت بفشل تضامن الجوار

قامت باتخاذ تدابير خاصة بها؛ حيث قاموا سرا أثناء الليل بحفر حفر لموتاهم بفعل الطاعون في ساحة الدار، أو وضع تلك الجثة في أحد الشوارع البعيدة بحيث لا يمكن التعرف عليها وبذلك يجنبون الأسرة العقاب[٧٨].

وفي النهاية لم يتمكن محمد على باشا مع التدابير الصارمة في الحجر الصحي للحد من مرض الطاعون والأمـراض الوبائية؛ حيث بمجرد الانتشار لمرض الطاعون بين الفئران والبراغيث والسكان في جميع الأنحاء من الإسكندرية إلى الأقصر، ولم يكن لدى محمد على ما يفعله سوى الانتظار حتى يأخذ الوباء دورتـه في الوقت الذي تراجع فيه الوباء في أكتوبر ١٨٣٧م، توفي ما يقرب من ٧٥٠٠٠٠ قاهري و١٢٥٠٠٠ مصري آخرين كان مجموع الوفيات مساويا لحجم الجيش كله، الذي كان يبلغ حوالي ٧٪ من سكان مصر[٧٩].

كل تلك الإجراءات والإصلاحات التي قام بها والي مصر محمد على باشا في مجال الصحة العامة، كانت دافعا للتقليد والسير على نفس النهج من قبل السلطان العثماني في ذلك الوقت، وهو السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩ م)، إذ نقل السلطان محمود الثاني كل ما يتعلق بالصحة العامة والإجراءات الصحيحة المتبعة من مصر المحروسة، والجدير بالذكر أن السلطان محمود الثاني قام بنقل نظام الحجر الصحي وتعميمه في أنحاء الدولة العثمانية بالكامل، فقد ظهر الطاعون في القدس عام ١٨٣٢م، وانتقل الطاعون أيضا إلى مدينة يافا عن طريق سفينة وصلت وعلى ظهرها مسافرون من اليونانيين سبق وأن قضوا ١٤ يوما محجورا عليهم حجرا صحيا في بيروت، وأحضروا معهم براءة الصحة غير أن الرحلة من بيروت استغرقت ١٢ يوما، وكان من إثر العوائق التي صارت فيصادفها المسافرون أنهم لم ينزلوا إلى البر إلا في اليوم ٢٨ من شهر مارس، وقد توفي أحدهم بعد نزولهم إلى البر، ولم يكن الطاعون سبب الوفاة، وبعد فترة قصيرة ماتت بين يافا والقدس أرملة وصلت على ظهر هذه السفينة، ويتضح من التقارير الطبية أنها ماتت بسبب الطاعون[٨٠].

وتشير الدلائل، إلى مدى الاهتمام الفائق الذي تبديه الإسكندرية بالصحة العامة، ومدى اهتمام شركة المياه بتنقية المياه وتصفيتها فكان من نتاج هـذا أن هبط متوسط الوفيات في السنوات (١٩٠١-١٩٠٥م) إلى ٣٢,٣ في الألف بالنسبة إلى المحليين و١٦ في الألف بالنسبة إلى الأجانب[٨١].

وفي تقارير أحد الأطباء، عند وصف معزل بيروت الصحي أنه ليس معزولا صحيا مع أنه هكذا يدعى، ومن أجل ذلك إقليم أن موقعه لا بأس به، إذ أنه يبعد عن المدينة، وعن حاجز الأمواج القائم خارج الميناء، مسافة معقولة، ولكن يعوزه منظر الحجر وهندسته، فهو يتألف من أبنية منفصلة في مستوى واحـد، لا نظام لها ولا تناسق بينها، فضلا عن أنها لا تلاءم المسافرين الذين يمضون مدة الحجر فيها، ولهذا كانوا على حق إذ يشكون من أنها غير مستوفية الشروط الصحية، فهي رطبة يعوزها ما يدرأ عمن فيها قسوة الجو، وليس ثمة فواصل تحول دون اتصال الطوائف المختلفة التي يضمه الحجر الصحي، فالمراحيض في متناول الجميع، فضلا عن أنها مكشوفة من ناحية البحر أما مخازن البضائع

فربما كانت أسوأ حالا، فلا يفصلها عن بعضها البعض أبواب أو خنادق أو حواجز. وما الخدمة العامة، فلا تقل عن ذلك في سوء نظامها[٨٢].

على الرغم من وجود حجر صحي في بيروت إلا أنه غير مطابق للمواصفات الصحية الواجب اتباعها للوقاية والعلاج من الأمراض المعدية، لعدم تهويته، ونظام بنائه غير المنسق، مما جعل الأمراض تتفشى داخل الحجر الصحي نفسه.

وظهرت مشكلات الحجر الصحي في الوقت نفسه في ولايتي تونس وطرابلس الغرب، لكن قامت بعدة مبادرات في سبيل الصحة العامة، إذ بدأت هذه السياسة تطور داخل الأراضي العثمانية منذ عام ١٨٣٥م[٨٣].

ولا نزاع في أن هذا النظام قد أوجب على كل ولاية ومدنها وبلدانها تعيين طبيبا، ومعاونا له في المدن الكبيرة؛ ليعاين المرضى مجانا مرتين في الأسبوع في محل يتعين، ويعلن من طرف الإدارة البديلة، وهو مسؤول عن الصحة العامة في المدينة، وتقوم البلدية بدفع راتبه، ولكنه يكون مرتبطا بـ (إدارة الأمور الطبية، التي أنشئت في استانبول في سنة صدور هذا النظام، ويتلقى تعليماته منها كما أوجب النظام على بلدية المدنية أن تقوم أيضا بفتح صيدلية عامة لتزود الفقراء بالأدوية مجانا[٨٤].

ويتضح هنا أن الدولة العثمانية اتبعت تلك الإجراءات الاحترازية للتقليل من حدة وانتشار الأوبئة في الولايات، بأن قامت الدولة بتعيين بشكل رسمي طبيبا للولايات ومعه مساعدين للحفاظ على الصحة العامة في الدولة العثمانية.

وعلى أية حال، فإن الكوليرا كانت أقل تدميرا من الطاعون، وقد كتب رئيس أطباء السلطان محمود الثاني وصديقه الحميم قاضي عسكر مصطفي بهجت بأمر من السلطان بحثا عن الكوليرا بالتركية؛ حيث استفاد من كتاب نمساوي وبعد أن سرد وصفا لتاريخ المرض ويصف المؤلف أعراضه وأوصى بتدابير احترازية ونماذج من المعالجة، وقد طبع من الكتاب عدة آلاف نسخة في المطبعة العثمانية، وفي أغسطس عام ١٨٣١م، ووزع الكتاب مجانا على السكان المدنيين، وعلى الجنود في استانبول، وكل تلك الإجراءات كانت للحد من انتشار المرض والوقاية منه[٨٥]. وعند الحديث عن السلطان محمود الثاني والاقتداء بالوالي محمد على باشا، إذ أشيع أن العلماء عارضوا رغبة السلطان محمود الثاني؛ حيث كتب الضابط الروسي الشاب هلمت فون الذي عاش عدة سنوات في الدولة العثمانية في عام ١٨٣٠م إلى عام ١٨٣٧م، وقام بكتابة رسالة يذكر فيها: "أن الطاعون سيبقى ما بقي العلماء، وقد برهنت الأيام بسرعة أنه كان مخطئا وعلى كل حال ففي عام ١٨٣٨م أبطل السلطان كل معارضة، وقرر أن يقيم حجرا صحيا قرب استانبول بمساعدة خبراء نمساويين، وقد صدرت فتوى تبيح هذا التجديد"[٨٦].

ومن المشاكل التي واجهت نظام الحجر الصحي هي اعتراض بعض الدول الكبرى على الإجراءات المتبعة داخل الأراضي العثمانية وعلى السفن التجارية، وبخاصة عندما كتب السفير البريطاني وقتها اللورد يونسونباي عام ١٨٣٩م إلى الباب العالي، أبدى ازدراءه بصراحة للسياسات البشرية بشأن فحصه وحجز

السفن والمخازن[٨٧]. وهذه بالطبع إجراءات احترازية تقوم بها الدول للحد من الأمراض المعدية لعدم تفشي الوباء.

وأضف إلى ذلك، أنه كانت دوائر الحجر الصحي (الكرنتينات) تزاول أعمالها في كافة الولايات، ومن الضمن ولاية بغداد، وقد عني الوالي مدحت باشا في أثناء ولايته بتنظيمها[٨٨]؛ حيث كانت دوائر الحجر الصحي في الولاية، وبخاصة في مدينتي خازقين ومندلي الواقعتين على الحدود الإيرانية، دائبة آنذاك على اتخاذ إجراءات حجر الزوار القادمين إلى الولاية لمدة عشرة أيام قبل التصريح لهم بالدخول، وذلك عند ظهور بوادر أي وباء في المدن الإيرانية[٨٩].

والواضح أن الحجر الصحي في مركز الولاية يشرف على باقي المدن التابعة، كما حدث في ولاية بغداد، فكانت تشرف على بعض المدن التي تقع على الحدود الشرقية، وفي مدن العتبات المقدسة، وبعض المدن الكائنة في الطرق الموصلة إليها، وذلك لكثرة الزوار الإيرانية الذين يفدون لزيارتها وتألفت هذه الدوائر في السنوات ١٨٧٥ - ١٨٨٥ م من (مدير)، وكان هذا طبيبا في معظم الأحيان، ومن مفتش لدوائر الحجر الصحي الفرعية، ومحاسب واثنين إلى ثلاثة موظفين للأعمال الكتابية، وقد ألغت وظيفة (المدير) في عام ١٨٦٣م، وأصبح المفتش من تلك السنة مسئولا عن تصريف شؤون الدائرة[٩٠].

والجدير بالذكر أن مفتشة صحة الولاية التابعة لإدارتها المركزية في استانبول ولها ميزانية خاصة مستقلة عن ميزانية أي ولاية، وتولت دوائر الحجر الصحي التابعة لها مهمة الإشراف الصحي على دخول الزوار إلى الولايات، وفحص الجنائز التي ترد إليها لتدفن في مدن العتبات المقدسة؛ حيث كانت تسمح بمرور الجنائز القديمة، التي مضى زمن على وفاة أصحابها وسبق دفنها، وترد ما وسعها من الجنائز الحديثة؛ وذلك منعا لما قد ينتشر من أوبئة وأمراض، وتتقاضى هذه الدوائر رسما من الزوار الداخلين مقداره عشرة قروش عن كل زائر، كما تتقاضى رسما آخر عن فحص كل جنازة وتتولى دوائر الحجر الصحي في مدن العتبات المقدسة جباية رسم مقداره (٥٠) قرشا عن كل جثمان يدفن في هذه المدن[٩١].

وتشير الدلائل أنه قد بدأ من خمسينات القرن التاسع عشر نظام حجر صحي عالمي قوي لمكافحة الأمراض والأوبئة، وقد حدت محطات الحجر الصحي من الأمراض المولودة، وحالت دون حدوث حالات وبائية رئيسية بدءا من ستينيات إلى ثمانينات القرن التاسع عشر لكن الكارثة وقعت مرة أخرى في سنة ١٨٨٣م؛ حيث توفي ما يصل إلى أربعين ألف حاج، وحمل الحجاج العائدون الكوليرا إلى استانبول؛ حيث قتلت ألفا ومائتي شخص، كما حملوها إلى أزمير وطرابزون[٩٢].

ومن المعلومات التي وردت في الدفاتر عن بلاد الحجاز، وفيما يتعلق بالشؤون الصحية في مكة المكرمة، الخطاب الذي بعث به البابا العالي إلى ولاية مكة المكرمة وولاية الحجاز في ٥ من شوال ١٢٩٤ هـ الذي أفاد أنه تم تعيين فوزي أفندي من أعضاء المجلس الصحي للقيام بالإشراف على الأمور الصحية للحجاج والزوار المتوجهين إلى الحد في هذه السنة المباركة من

الشام الشريف وكافة البلاد، وكذلك للإشراف على أمور النظافة في منى وعرفات، وربما أنه توجه إلي تلك البقعة المقدسة، ونظرا لأنه من رجال الدولة العلية العثمانية الجديرين بالاحترام والتقدير، فالمرجو منكم بذل الهمة في تقديم التسهيلات اللازمة إليه[٩٣].

وقد سعت الدولة العثمانية أواخر القرن التاسع عشر من أجل تفادي خطر الأوبئة والأمراض الناتجة عن دخولهم إلى إنشاء مراكز للحجر الصحي كان من ضمنها إنشاء مراكز للحجر الصحي في الفاو سنة ١٨٧٢م، ونتيجة لتأكيدات مؤتمر الصحة الدولي، المنعقد في باريس سنة ١٨٩٤م على ضرورة الاهتمام بالحجر الصحي أنشئ في مراكز عدة لمراقبة الداخليين للأراضي العثمانية، وكانت السفن تتعرض للحجر الصحي، ولمدة عشرة أيام في نهاية القرن؛ حيث يعزل ركابها في مركز الحجر الصحي، كما خضعوا للعزل والتطهير ومن بينهم أطقم السفن. والشاهد من المصادر أن إجـراءات الحجر الصحي التي بالغت فيها السلطات العثمانية كانت أحيانا تأخذ طابعا سياسيا تبعا لعلاقة الدولة العثمانية بالحكومات الأجنبية. وعلى الرغم من الضعف الحاصل في إجـراءات الحجر الصحي، فأنها عملت على الحد من انتشار الأمراض والأوبئة لعدد من السنين، إذ لو سمحت السلطات المعنية آنذاك للوافدين من المناطق الموبوءة الدخول دون اتخاذ الإجراءات الوقائية اللازمة تجاههم لكان من المتوقع أن تقضي هذه الأمراض الفتاكة على أعداد كبيرة من السكان في كل سنة، إلا أن هذه المراكز لم تقم بعملها بشكل دقيق؛ حيث غالبا ما كان يتعرض موظفوها إلى التدليس في العمل جراء تقديم الرشاوى لهم من قبل الوافدين لأجل الحصول على بطاقات السماح بالدخول للأراضي العثمانية[٩٤].

والشاهد من المصادر أن الدولة العثمانية كانت تقوم بتفتيش كل القادمين إلى ميناء جدة، وشمل هذا التدقيق والتفتيش كبار موظفي الدولة العثمانية مهما كانت مراكزهم، إذ كانت اللوائح تحتم عليهم المـرور على قسم التفتيش بعد خروجهم من الحجر الصحي. وكانت السلطات العثمانية عن طريق ولاتها في إقليم الحجاز تبذل قصارى جهدها لحماية وتسهيل مهمة حجاج بيت الله الحرام من ذوي المكانة العالية من غير رعايا الدولة العثمانية؛ وذلك بإعطائهم خطابات توصية مفتوحة إلى من يهمه الأمر من المسئولين حتى تقدم إليهم التسهيلات التي تتفق مع مكانتهم قبل وصولهم وأثناء تأديتهم لمناسك الحج لخوف الدولة العثمانية الدائم من انتشار الأمـراض والأوبئة[٩٥].

وعلى الرغم من السعي الحثيث من قبل الدولة والعامة في آن واحد، لاتخاذ الإجراءات الكفيلة للحد من انتشار وباء الطاعون والقضاء عليه، إلا أن تلك الإجـراءات كانت عقيمة، ولم تكن بالمستوى المطلوب، إذ لم تكن توجد أي إجراءات احترازية لتجنب الإصابة بالوباء والحد من انتشاره في مجتمع يسوده الفقر والجهل، وتكرر عدد مرات ضرب الطاعون في الأراضي العثمانية خلال القرن التاسع عشر. والجدير بالذكر أن الإجراءات التي تم اتخاذها في أوقـات تفشي وبـاء الطاعون وغيره من الأوبئة كانت لا تتجاوز الدعاء والابتهال إلى الله لرفع البلاء، وذلك لاعتقادهم بعدم وجود علاج

له، ولاسيما لافتقارهم لتوفر الأدوية، إلى أن تم تطبيق الحجر الصحي والعزل، وإبعاد الحيوانات خارج المدن وإغلاق المناطق الموبوءة لمنع الانتشار. وأضف إلى ذلك، قيام الدولة باتخاذ إجراءات اقتصادية عديدة كتوفير المواد الغذائية وتسعيرها ومحاربة الاحتكار، ومن الإجراءات الوقائية الصحية التي كانت تقوم بها الدولة عند انتشار الأوبئة لتجنب الإصابة، عند الدخول إلى الأماكن الموبوءة وحمامات الأسواق والابتعاد عن التجمعات، وهذا ما كان ينصح به العلماء والحكماء(الأطباء) آنذاك[٩٦].

(ب) المستشفيات والمدارس الطبية:

كانت الدولة العثمانية تعد الوفود الداخلة للمدن العثمانية العابرة لحدود دولية، مثل قوافل الحج أو مراكب القادمين للثغور من ضمن عوامل انتشار الأمراض والأوبئة به خاصة في فصل الصيف؛ حيث الحرارة والرطوبة وانتشار المستنقعات والبرك، مما أثر على الصحة العامة داخل الأراضي العثمانية[٩٧].

والواضح هنا أن العثمانيين قد ورثوا تراثا طبيا عربيا إسلاميا من العهود الإسلامية السابقة، وكان هذا التراث يرى أن طب جالينوس القائم على نظرية الأخلاط هو الأكثر علمية في ذلك الوقت، أما بقية النظريات الطبية والممارسات الموجودة في العالم العثماني (الطب البشري والطب الديني) فقد كانت رائجة بين النخبة بقدر رواجها بين بقية قطاعات المجتمع، ومع ذلك فقد كان الأطباء الذين يكتبون ويعالجون ضمن الإطار الذي وضعه جالينوس كما فسرته أجيال من المسلمين هم وحدهم الذين يدعمهم الرعاة، وفي الواقع فإن المؤسسات الطبية الوحيدة التي كانت النخبة تدعمها هي المستشفيات التي تطبق نظرية الأخلاط العثمانية، وضمن هذه النظرية الطبية رعت النخبة رسائل جديدة وأفكارا مبدعة وتقنيات غير مألوفة[٩٨].

والجدير بالذكر أنه لم تكن المستشفيات منتشرة؛ لذلك حرمت البلاد من الأطباء المتخصصين نتج عن ذلك وقوع الناس فريسة للغش وللخداع من جانب بعض الناس الذين ادعوا المعرفة بالطب ووسائل العلاج، فقد استغل بعض الذين ادعوا الولاية وبعض الفقراء في الريف العثماني جهل العامة وسوء أوضاعهم واتخذوا من هذه الأحوال فرصة يستغلونها لمنع أنفسهم فادعوا قدرتهم على تطبيب الأمراض بوسائلهم الخاصة عن طريق اتصالهم بالأرواح ومعرفة أسباب هذه الأمراض وعلاجها عن طريق كتابة الأحجبة والتمائم، فالرقى والأدعية الدينية كانت علاجا ناجحا من الأمراض من وجهة نظر عامة الشعب، بالإضافة إلى أنهم كانوا يرون أن إقامة حلقات الزار فيه الشفاء من الأمراض العصبية، وأرجع البعض الإصابة بالمرض إلى إرادة الخالق وأن ليس ثمة ما يمكنه أن يرد قضاءه ومشيئته التي لا محيص عنها؛ لذا فأنهم ينظرون إلى الاحتياطات التي يتم اللجوء إليها لمنع انتشار الأمراض كأمور لا جدوى منها إذا أنهم لن يصابوا مطلقا بأذى إذا كان مقدر لهم أن يعيشوا، كما أن شيئا لا يمكن أن يحميهم إذا ما كانت مشيئة الله قد أرادت لهم أن يموتوا كل هذه الاعتقادات كانت منتشرة في مصر المحروسة[٩٩].

ولا نزاع في أن مصر في عهد محمد علي باشا، إذ قام بوضع بكل مديرية إسبتالية

وأجزاخانة وأطباء وتمرجية وبكل قسم طبيب؛ ونتيجة لذلك أصبح الهواء صافيا من العفونات التي كان يحملها من مناقع الماء والبرك والمعاطن وتخلص أهل القرى من القاذورات، ونظفت أماكنهم فلم يعد هناك من الأمراض إلا القليل. ومن الملاحظ أيضا، أن محمد على قد جرى حكمه على سنة المستبد العادل، فكان أول عثماني استطاع إدراك الأفكار النافعة فيما يتعلق بالحكومة والإدارة ؛ فألف لكل فرع من فروع الإدارة مجلسا من الإخصائيين في إنشاء مجلسا للصحة(١٠٠).

وقد تحول الوضع كثيرا في القرن التاسع عشر، إذا انتقل فيه العثمانيون من طب الأخلاط إلى الطب الأوروبي، وتحقق هذا التغير رعاية قصر السلطان والنخبة، وقد أظهرت المستشفيات التي شيدت في منتصف القرن التاسع عشر في استانبول تصميم النخبة العثمانية على دعم طب من نوع جديد، وفي سنة ١٨٤٥م شيدت السلطانة الوالدة (برم عالم)، وهي والدة السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩ - ١٨٦١م) مستشفى ومسجدا في وسط العاصمة، وذلك لعلاج العامة(١٠١).

وتشير الدلائل إلى أن مشروع بزم عالم كان راسخا في تراث الرعاية العثمانية، وهناك عدة نساء بارزات من العائلة السلطانية كن قد سبقنها في بناء المستشفيات والمؤسسات الخيرية، ووضعنها في أهم المراكز المدنية في الدولة، مثل العاصمة استانبول أو مكة المكرمة، وكان بناء المستشفى وإدارتها يشبهان تراث المستشفى العثماني، وقد نص صك الوقفية على أنها تقدم خدمات طبية مجانية للغرباء والفقراء من المجتمع الإسلامي في المدينة(١٠٢).

والراجح هنا أن محتويات مؤسسة برم عالم الجديدة قد تم تطبيق الطب الأوروبي فيها في القرن التاسع عشر وليس طب الأخلاط اليوناني في شكله العثماني، كما كان يمارس في كل المستشفيات العثمانية السابقة، وكانت المستشفى تحت الإشراف المتواصل للبيروقراطية المركزية أكبر من ذي قبل، وفقا لروح التنظيمات التي سعت لفرض النظام المركزي على مؤسسات الدولة وزيادة على ذلك فإن الطاقم المهني في المستشفى كان مكونا من خريجين من مؤسسات أوروبية أو مؤسسات محلية حديثة تدار وفقا للنظام الأوروبي(١٠٣).

ولا نزاع في أن مستشفى برم عالم قد أسست بعد عدة عقود كان أبناء النخبة أثنائها يدخلون الطب الغربي بشكل مفتوح في الدولة، وفي بداية القرن التاسع عشر، دُشن نظام طبي جديد في الجيش بمساعدة خبراء أوروبيين، ومن ذلك مستشفى البحرية الذي بناه السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧م) بمساعدة الإيطاليين، وقد تبنى المستشفى الطبي العسكري الذي بناه السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩م) اللغة الفرنسية للتعلم، وكان يدار على يد طبيب من فيينا، ولقد كان مستشفى برم عالم خطوة هامة نحو نشر الطب الأوروبي بين قطاع السكان المدنيين الواسع وليس في الدوائر العسكرية الضيقة فقط، كل ذلك تحت رعاية والدة السلطان، وكان ذلك جزءا من سياسة السلطات المقصودة(١٠٤).

وفي السياق ذاته، قام مدحت باشا الإصلاحي الشهير بجمع التبرعات المالية لإنشاء مستشفى

عام لخلو مدينة بغداد من وجود أية مؤسسة صحية عامة فيها، وقد سارع الأهالي لتقديم الأموال لإنشاء المستشفى، وبالفعل قد طلب مدحت باشا من استانبول طبيبا وصيدليا وعددا من الموظفين الصحيين لإدارته، وافتتح المستشفى في الجانب الغربي من بغداد عام ١٨٧٢م، ويبدو أنه قد أهمل بعد افتتاحه بمدة قصيرة، عقب مغادرة الوالي مدحت باشا[١٠٥].

وعلى أية حال، فقد واصل مستشفى زينب كامل الذي تأسس في سنة ١٨٧٦م على الشاطئ الآسيوي للبسفور، التوجه الذي بدأه مستشفى برم عالم، وكان تأسيس مستشفى ١٨٧٦م مثل ١٨٤٥م بصفتها مؤسسة وقفية للمجتمع الإسلامي في المدينة، وإطارها هو العمل الخيري العثماني الإسلامي التقليدي، ولكن محتواها كان هو الطب الأوروبي، وفي كلا المستشفيين كان هناك طاقم تلقي التدريب الأوروبي في مدارس طبية عثمانية حديثة، ومع ذلك فقد ذهب مستشفى زينب كامل إلى أبعد من ذلك، فبروح مجددة فإن مستشفى ١٨٧٦م رتب وفق نظام الأجنحة في المستشفيات الأوروبية لتلك الفترة، وهذا التنظيم المكاني أفسح المجال نسبيا للتمرد بسهولة في مقابل بناء مبني مركزي كبير توضع فيه كل الأنشطة ومنذ ذلك الوقت نظمت المستشفيات العثمانية وفقا لنظام الأجنحة[١٠٦].

وبالفعل واصل مستشفى زينب كامل تراث النخبة العثمانية في رعاية الطب العلمي الذي أصبح في القرن التاسع عشر هو الطب الأوروبي وفي كل من الحالتين فإن المبادرة بإنشاء المستشفى جاءت من النخبة، وقد أنشئت مستشفى زينب كامل بمبادرة من زوج وزوجته، وكان هو الصدر الأعظم السابق، ويوسف كامل باشا، وكانت هي زينب خانم، الابنة الصغرى لمحمد على باشا، الوالي العثماني لمصر المحروسة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وكما في تراث العمل الخيري العثماني، اختلطت المبادرة الفردية بالسياسة العامة، وأدخل المانع تطورات هامة: فرعاية المستشفيات ذات الطابع الأوروبي أصبحت الآن في أيدي نخبة عثمانية أوسع، وليست في أيدي الأسرة الحاكمة فقط[١٠٧].

أضف إلى ذلك، أن الخدمات الصحية في الولايات العثمانية لم تقتصر على الخدمات الحكومية فقط بل كانت هناك بضع عيادات خاصة في المدن لبعض الأطباء من الأوروبيين، ولبعض المشتغلين في مجال الطب كما وجد عدد من الصيدليات الخاصة أيضا للأطباء الأوروبيين[١٠٨]. والجدير بالذكر أن كلوت بك قام بإنشاء مدرسة للطب بأحد أحياء القاهرة في عام ١٨٢٥م[١٠٩]. فقد استطاع محمد علي باشا أن يعتمد على الأطباء الأجانب من أمثال كلوت بك، خاصة في العناية بصحة رجال الجيش والأسطول، والذي يرجع إليه الفضل أيضا في إنشاء مدرسة أخرى للطب في أبو زعبل عام ١٨٢٧م[١١٠].

وعلى الرغم من ذلك استمر الوضع الصحي غاية في القسوة، بسبب نقص الخدمات الطبية وانتشار أمور الخرافات والشعوذة، لذلك انتشرت الأمراض والأوبئة.

(ج) تنظيف المدن وإزالة القمامة:

من الملاحظ أن صيانة شوارع المدن كانت تطرح مشاكل متباينة للغاية، وفقا لما كانت هذه

الشوارع موجودة في الأحياء الرئيسية حيث الأسواق والمباني العامة أو في الأحياء السكنية التي لا يستخدم شوارعها سوى السكان المقيمون فيها، كما أن المشاكل تختلف في حالة الشوارع المتسعة نسبيا وجيدة التخطيط عنها في حالة الشوارع الضيقة والمتعرجة، وهذا هو سبب التناقضات في هذا المجال[١١١].

وتشير الدلائل أن كل مدينة لها نظام لنظافة الشوارع يتولى المقيمون فيها بصفة عامة نفقاته، وكان هذا ما يحدث في القاهرة بخاصة؛ حيث يقوم كناسون محترفون (الزبالون) بكنس ورش الشوارع، ويدفع سكان المنازل أجورهم كما يقوم الترابون، وهم أعضاء في طائفة متخصصة برفع الأتربة والفضلات، ونقلها فوق ظهر الحمير إلى خارج المدينة، ولم تكن العربات معروفة في القاهرة، ويبدو أن نظام نظافة المدينة كان أكثر إتقانا في الجزائر؛ حيث كان يوجد (قائد زبال) وهو المكلف بنوع خاص بمراقبة النظافة، وكان على السكان أن يضعوا القمامة في فجوات خاصة مصنوعة داخل الجدران، ثم يمر في كل صباح أناس. يسوقوا حميرا محملة بالقفف ويقومون بتفريغ الفجوات ونقل القمامة خارج المدينة.

ويتعرض المهملون من السكان لدفع الغرامات أو بضربهم بالعصا وفي مدينة حلب كان أصحاب الحوانيت (الدكاكين) يدفعون أجور الكناسين المكلفين بتنظيف الأسواق[١١٢].

أضف إلى ذلك وبسبب تراكم القمامة التي نقلت إلى خارج المدن خلال قرون عديدة إلى تكوين تلال أصبحت جزءا من مشهد المدينة ففي مدينة الجزائر كان "فورنوف" أي الحصن الجديد، والذي يقع خارج المدينة يسمى "برج الزبلية" أي برج القمامة، ومن ناحية أخرى إلقاء جثث الحيوانات الميتة والقمامة، وفي تونس كانت جبال القمامة المتراكمة على شاطئ البحيرة غاية في الخطورة، وفي عام ١٨٠١م أمر الباي حمودة باشا بإزالة هذه الجبال على نفقة سكان تونس، وفي القاهرة كانت القمامة متراكمة خارج السور في شمال شرقي المدينة، وكان يتم إشعال حرائق تحت الأرض وتستمر عدة أسابيع فتنتشر رائحة كريهة من تلال القمامة[١١٣].

ومن العوامل البيئية التي تؤثر تأثيرا كبيرا في الصحة، تظهر من خلال إهمال النظافة وأكوام النفايات، ووجود المواد العفنة في البلاد ما يؤدي إلى انتشار الأمراض مثل مرض الحمى والتيفوس واصفرار الوجه، وكان للحشرات أيضا دور مباشر في نقل الأمراض، ومن أبرز تلك الحشرات المسببة للأمراض والمنتشرة في المناطق المحيطة بها البعوض، أيضا الفئران أحد أهم المصادر الناقلة لمرض الطاعون والتي انتشرت في نطاق واسع في المنطقة بسبب وجود كميات كبيرة من القمامة، والأوساخ الملقاة في الطرقات، إضافة إلى ذلك فإن الحيوانات لها دور في نقل بعض الأمراض.

والجدير بالذكر أنه لم يكن تنظيف شوارع المدن أمرا ضروريا من أجل النظافة وحدها بل كان لا غني عنه لتجنب دفن المدن تدريجيا تحت الأتربة المتراكمة وانتشار الأمراض والأوبئة[١١٤].

والراجح هنا أنه لم يكن بالمدن العربية شبكة بالوعات حقيقية، على الأكثر كانت توجد شبكة قنوات لصرف المياه المتسخة (صرف صحي)، وقد كانت طوائف خاصة تقوم بصيانة هذه الشبكة كما في مدينتي حلب ودمشق وفي مدينة الجزائر

تم تغطية مسارات جداول المياه الصغيرة القديمة ببلاطات مسطحة، الأمر الذي سمح باستخدامها في صرف المياه القذرة إلي البحر بسرعة بين انحدار هذه المسارات الشديدة، وفي تونس كانت المياه المتسخة تتجمع في سلسلة من الخنادق التي تنقلها إلي البحيرة الشاطئية، وكانت إحدى طوائف العمال الذين هم من أصل عربي تقوم بصيانة البالوعات، ويتولى إدارتها ثلاثة أمناء، وكان سكان البيوت يدفعون نفقات هذه الصيانة، ولم يكن في القاهرة بالوعات، لكن كان الخليج الذي يعبر المدينة يستخدم مجموع بالوعات، ويتم تطهيره وقت فيضان النيل[١١٥].

علاوة على ما تقدم، فقد حافظت الدولة العثمانية على نظافة المدن من القمامة وتراكمها لفترات كبيرة لخوفها الدائم من انتشار الأمراض والأوبئة داخل أراضيها بمعني آخر الحفاظ على الصحة العامة للسكان.

(د) الحمامات:

انتشرت في الولايات العثمانية الحمامات العامة وبخاصة في المدن الكبرى إذ كانت الحمامات هي أكبر حافز للعناية الصحية، فإن الحمام عادة يوصف بأنه الطبيب الصامت الذي يشفي من جميع الأمراض والأوبئة، وبمعنى آخر إن الشعور بصحة الجسم الذي ينبعث عقب الزيارة إلي الحمام لم يكن شيئا هنا بسبب الجو الذي يجمع "مياه الشتاء وحرارة الصيف وحلاوة الخريف وابتسامة الربيع"، وبالفعل إن الحمامات كان لها قيمتها وخطورتها، وقيمتها تنحصر في تنظيف الأعضاء التي تبعث رائحة، وتنظيف طبقة الجلد الخارجية، وتصهر البخار، وتربط أعضاء الجسم بعد الاسترخاء نتيجة الإصابة بالعديد من الأمراض، وتقوم بعملية تنظيف الأوساخ من على الجسم، وإزالة التوتر والحكة والتعب، وتنعش الجسم، وتحسن من عملية الهضم، وتمتص السموم، وتخفف الحمى التي تلي ارتفاع الحرارة، والخطورة تنحصر في أنها تعمل على استرخاء الجسم، وتجعله ضعيفا بسبب بقائه في الحرارة مدة طويلة، وتضعف الشهية للطعام كما تضعف قوى الجسم[١١٦]. وفي الكلام عن الحمامات أيضا فهي عملية دلك الجسم، وما ينجم عنها من جزيل الفوائد باعتبار أنها من وسائل الصحة أو طرائق العلاج من الأمراض[١١٧].

والجدير بالذكر هنا أنه عند ظهور أولى علامات المرض ينصح المريض بالذهاب إلى الحمام لكي يتخلص من العالم عن طريق إخراج العرق، وكان الطبيب الفرنسي كلوت بك الطبيب الخاص بمحمد على باشا ينصح الأجانب باستخدام بخار الحمام والتدليك لأسباب صحية، وفي نفس الوقت وفي نهاية المرض فإن أول علامة من علامات الشفاء من الأمراض والأوبئة زيارة المريض بنفسه للحمام، وهو ما يعرف بغسل الصحة[١١٨]. وتشير الدلائل، إلى أنه قد بلغ عدد الحمامات العامة في القاهرة بنهاية القرن الثامن عشر إلى ٧٧ حمام عام[١١٩].

ومن ضمن التدابير التي يتم الالتزام بها هي الاعتناء بالصحة العامة تبعا لدرجة الحرارة الموجودة، والاستحمام بالماء والصابون والعناية بالنظافة الشخصية، الحفاظ على نظافة الطعام والملابس[١٢٠].

ونتيجة لأهمية الحمامات، فقد انتشرت حول السرايات والمباني الدينية كما وجد بالجوامع حمامات ومراحيض ومطهرة وهذا كله لأهمية

الحمامات للاستشفاء التام من الأمراض والأوبئة[١٢١].

هـ) التطعيم:

في القرون الأولى من حكم العثمانيين يبدو أن السكان لم تكن لديهم وسيلة للوقاية من الأوبئة والأمراض إلا هربوا من المدن الموبوءة إلى غيرها من الأماكن الأخرى ونتيجة لذلك انتقلت الأمراض والأوبئة إلى المناطق السليمة وانتشارها فيها[١٢٢].

والجدير بالذكر هنا أيضا أن العثمانيين قد هربوا من الأمراض والأوبئة في بعض الأحيان إلى قمم الجبال ذات الهواء النقي الخالي من الأمراض.

وعلى أثر ذلك قام أحمد جودت باشا بشرح تفاصيل اكتشاف العلماء العثمانيين لقاح مرض الجدري واستخدامه، ومنع الكنيسة في أوروبا استخدامه[١٢٣].

والشاهد من المصادر أن أحد الأطباء البريطانيين المقيمين في بغداد أدخل نظام التطعيم عقب أن تلقي قدرا من أمصال اللقاح من فينا عام ١٨٠٢م، وقد استخدمت تلك الأمصال في أثناء بداية اجتياح الطاعون ببغداد والبصرة في نفس العام، وجرى أول مرة في بغداد تطعم ضد وباء الكوليرا عام ١٩١٧م[١٢٤].

أضف إلى ذلك أنه وفي نهاية القرن التاسع عشر صدرت العديد من القوانين التي تنظم أمور التلقيح للحد من الأمراض والأوبئة؛ مما يدل على تحسس الدولة العثمانية لأهمية تلك القوانين، وهي نظام التلقيح عام ١٨٩٤م وتعليمات إجراء التلقيح عام ١٩٠٤م، وتلقيح حمى التيفوس عام ١٩١١م، ونظام تلقيح مرض الجدري عام ١٩١٢م[١٢٥]. لهذا كان أسلوب التطعيم شيئًا ضروريًا داخل الأراضي العثمانية للحد من الأمراض والأوبئة المنتشرة، فما كان عليها إلا توفير اللقاح والطعوم للسيطرة على الأمراض، وقد استعانت الدولة كثيرا بالأطباء المحليين والأطباء الأجانب للحد من الأمراض في كافة أرجاء الدولة العثمانية.

الخاتمة

الجدير بالذكر، أنه ومن المعلوم أن الأمراض الوبائية المعدية، كانت تؤدي إلى إبادة المجتمعات المزدحمة في كل فترات التاريخ، وأن البشر سعوا، طوال التاريخ، بطرق عديدة، لإيجاد وسيلة لمواجهة تلك الأمراض. وكانت التدابير المتخذة قديما غاية في البساطة، لا تتعدى عزل المرضى، والمناطق الموبوءة. ومع حلول القرن التاسع عشر، تطورت تلك التدابير، وكانت سببا في وجود نظام الحجر الصحي.

فما أشبه الماضي بالحاضر الآن؛ مثل: محاربة العالم بأكمله فيروس كورونا المستجد. ولعله من المفيد توضيح المسار التاريخي، في العصور القريبة للأوبئة التي أضرت بالبشرية، وتهدد كل شعوب العالم، قبل اتباع الحجر الصحي، انطلاقا من التدابير المتخذة ضد الأمراض الوبائية. وعلى رأسهم الأمراض سريعة الانتشار والقاتلة.

والواضح هنا، أنه كانت تحركات الجنود سببا كبيرا في انتشار الأمراض والأوبئة من منطقة إلى أخرى، مما أدى إلى زيادة أعداد القتلى والوفيات. لذلك بذلت الدولة الجهود لحماية الجيش من مهالك الأوبئة، عن طريق الحجر الصحي الاحتياطي؛ وذلك لم يكن كافيا، فشرع

العثمانيون في تأسيس تعليم طبي بإنشاء المدارس الطبية وتأسيس أول مدرسة للطب (مدرسة الطب العامرة) عام ١٨٢٧م، ومدرسة الجراحة عام ١٨٢٩م.

ومن سمات ذلك القرن أيضا أن أقامت الدول الكبرى نظما كثيرة داخل أراضيها لمواجهة ومكافحة الأوبئة الفتاكة، من جانب آخر اختارت تلك الدول طريق التعاون لمواجهة عدو مرعب لا يعرف الحواجز والحدود. وقد أدى الخوف من الأوبئة إلى ظهور دور طبيعي في تشكيل الأنظمة الصحية العالمية والمركزية.

وفي الدولة العثمانية كان الأمر نفسه؛ حيث كان المضي قدما في تأسيس النظام الصحي مرتبطا بالأوبئة.

إن العناية الفائقة التي أولاها العثمانيين للحد من انتشار الأمراض الوبائية المعدية شديدة الفتك، سبب حرصهم الشديد على تطبيق الأساليب الصحية للوقاية والعلاج من تلك الأوبئة.

الملاحق

الملحق رقم (١)

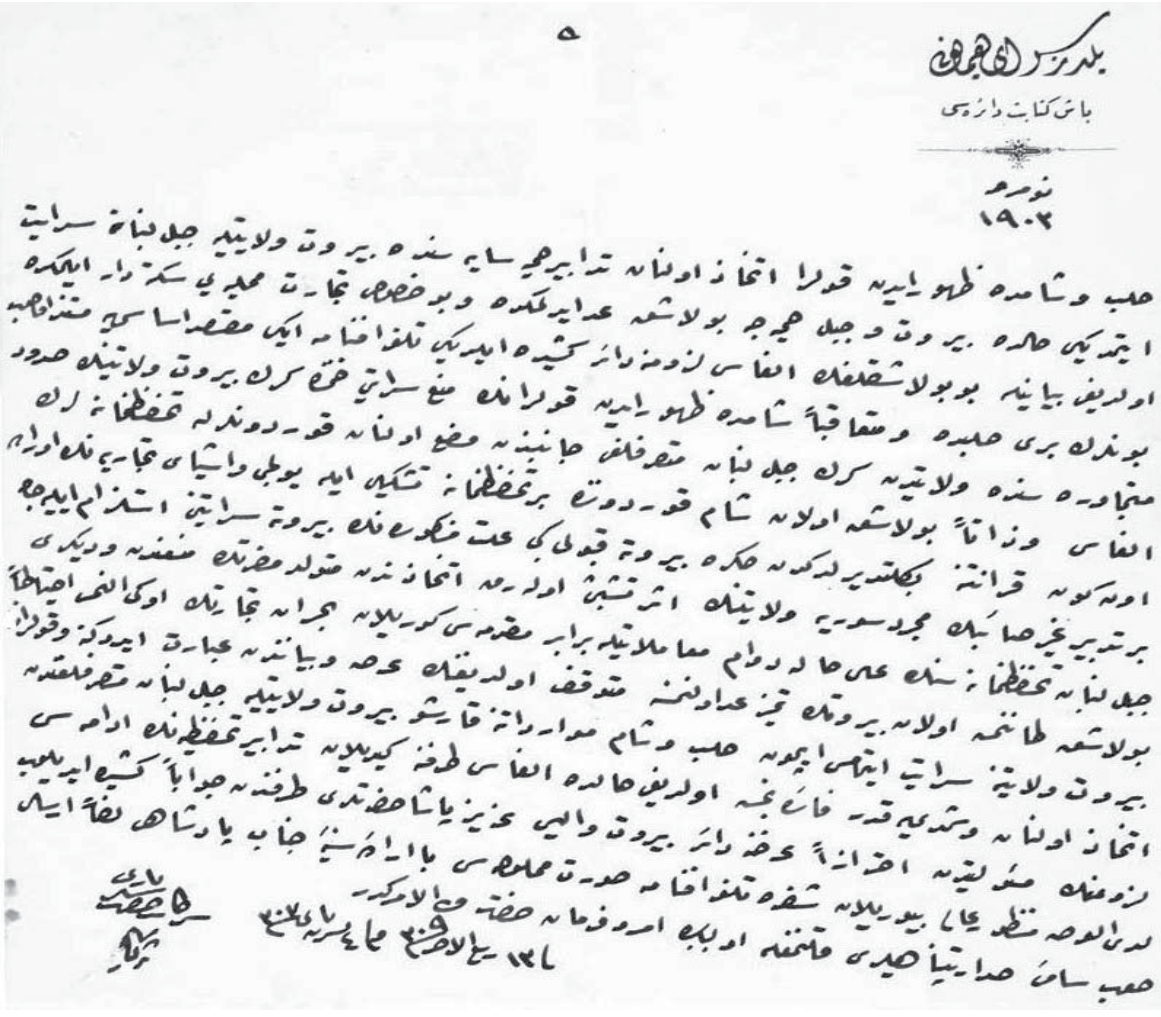

وثيقة من الأرشيف العثماني عبارة عن قرار بإعادة تدابير الحجر الصحي التي تم إلغاؤها في ولاية بيروت ومتصرفية جبل لبنان حتى لا تنتقل عدوى مرض الكوليرا إلى بيروت بعد ظهوره في حلب ودمشق. حرر بتاريخ ١٣ ربيع الآخر ١٣٠٩ هجري / ١٦ نوفمبر ١٨٩١.

الملحق رقم (٢)

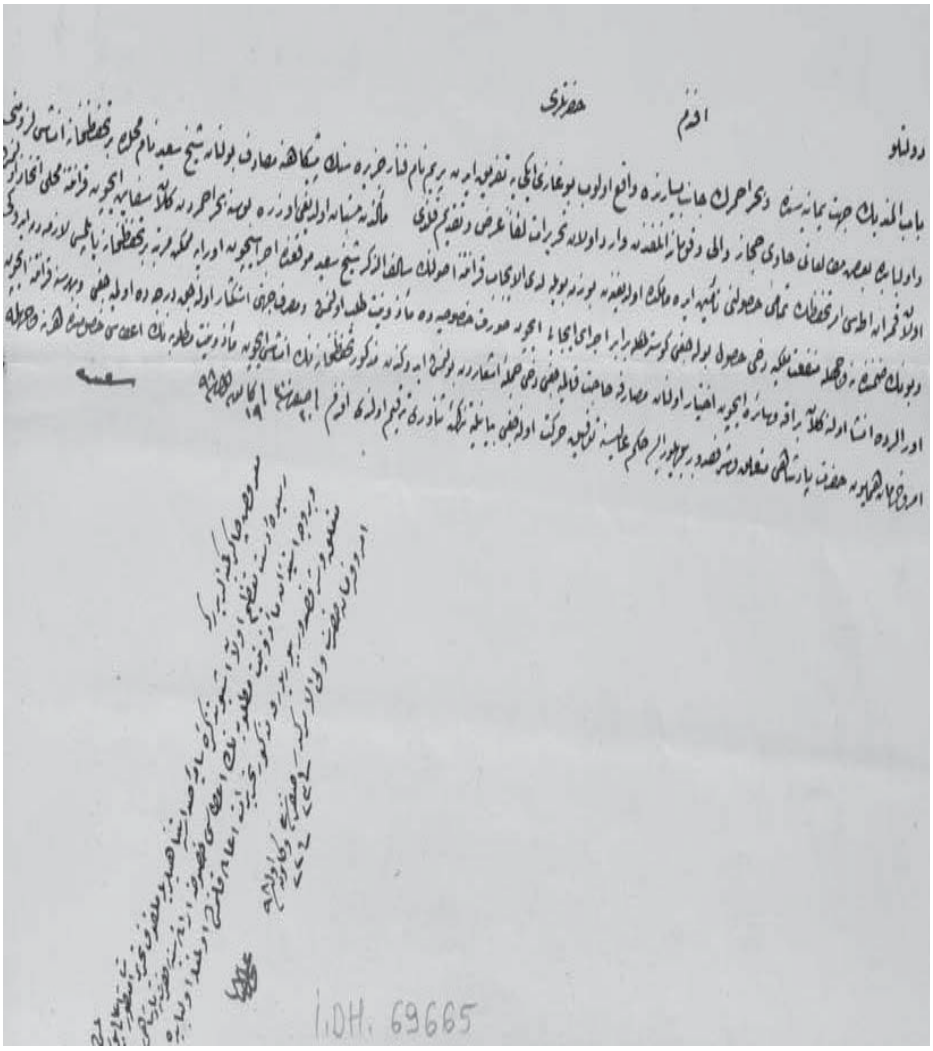

وثيقة من الأرشيف العثماني مرفوعة إلى الباب العالي حول طلب إنشاء حجر صحي في جزيرة بريم الواقعة في باب المندب بالبحر الأحمر من جهة اليمن، كما يتم اقتراح إنشاء حجر صحي في منطقة الشيخ سعيد المجاورة للجزيرة للحاجة إليه على الرغم من إنشاء حجر في جزيرة كمران، والطلب ينتظر التعليمات الخاصة بتوفير الأموال للبدء في إنشاء الحجر، ويثبت الرد في نهاية الوثيقة بالموافقة على الإنشاء. حرر بتاريخ ٢٠ صفر ١٣٠٠ هجري / ٣ ديسمبر ١٨٨٢.

الهـــوامـــش

(١) أحمد حافظ موسي وآخرون: الأمراض المستوطنة بأفريقيا وآسيا، مؤسسة سجل العرب، ط١، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١٥٤.

(٢) كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر، ترجمة: محمد مسعود، دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة، ٢٠١١م، ص ٦١٨-٦١٩؛ حسن فريد ابو غزالة: أمراض لها تاريخ قراءة مرضية في سفر التاريخ، سلسلة الثقافة العلمية للنشر، ط١، الكويت، ١٩٩٥م، ص ٥٣.

(٣) ليلي السيد عبدالعزيز: الأمراض والأوبئة وآثارها على المجتمع المصري(١٧٩٨-١٨١٣م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠١٩م، ص ١٠٩-١١٠؛ عبدالله عبدالرازق مسعود: الحجر الصحي، دار الضياء، عمان، ط١، ١٩٨٨م، ص٢٧.

(٤) نفسه، ص١٥٤-١٥٥.

(٥) نفسه، ص١٥٦.

(٦) شلدون واتس: الأوبئة والتاريخ المرض والقوة والامبريالية، ترجمة: أحمد محمود عبد الجواد، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٠٥.

(٧) نفسه، ص١٠٥-١٠٦.

(٨) دونالد كواترات: الدولة العثمانية (١٧٠٠-١٩٢٢م)، ترجمة: أيمن ارمنازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٤م، ص٢١١. وقد ظهر الطاعون في مصر في السنوات ١٧٨٣، ١٧٨٥، ١٧٨٨، ١٧٩٠، ١٧٩٤، ١٧٩٦، ١٧٩٧، ١٨٠٠، ١٨٠٣، ١٨١٠، ١٨١٢، ١٨١٥، ١٨١٨، انظر: جوزيبي رستيفو: إصلاحات محمد على الصحية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، بحث ضمن كتاب: الإسهامات الإيطالية في دراسة مصر الحديثة في عهد محمد على باشا، ترجمة: عماد البغدادي، المشروع القومي للترجمة، ط١، ال قاهرة، ٢٠٠٥ م، ص ٢٧.

(٩) دونالد كواترات: المرجع السابق، ص٢١١-٢١٢.

(١٠) شلدون واتس: المرجع السابق، ص١٢٩.

(١١) خليل إينالجك: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، دار المدار الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م، ج٢، ص٥٢٨.

(١٢) البرت حوراني وآخرون: الشرق الأوسط الحديث، مدارة للأبحاث والنشر، القاهرة، ج١، ٢٠١٦م، ص٥٠.

(١٣) حمودي هدى، مصباحي حيزية :الأمراض والأوبئة في الجزائر أواخر العهد العثماني(١٧٧٠-١٨٣٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أكلي محند أولحاج –كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، ٢٠١٨م، ص ٣٨-٣٩ ؛ محمد الأمين البزاز : تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب جامعة الرباط، ١٩٩٢م، ص ١٠٤.

(١٤) علي ظريف الاعظمي : مختصر تاريخ بغداد، القيروان للنشر والتوزيع، ط١، بغداد، ٢٠٠٦م، ص٢٠٤-٢٠٥.

(١٥) لقاء شاكر الشريفي : الطاعون عام ١٨٣١م وأثره على الحياة العامة في بغداد، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية، عدد١، ٢٠٠٨م، ص١٧٧.

(١٦) محمد فؤاد شكري وآخرون: بناء دولة مصر "محمد على"، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠١٣م، ص٥٩٣.

(١٧) نفسه، ص٥٩٣ – ٥٩٤.

(١٨) نفسه، ص٥٩٤.

(١٩) نفس المرجع والصفحة.

(٢٠) نفسه، ص٥٩٥.

(٢١) خليل إينالجك: المرجع السابق، ج٢، ص٥٢٨.

(٢٢) نفسه، ص٥٢٨؛ حنا بطاطو: العراق "الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني

حتى قيام الجمهورية "ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط٢، بيروت، ج١، ١٩٩٥م، ص ٣٤.

(٢٣) خليل إينالجك: المرجع السابق، ج٢، ص٥٢٩.

(٢٤) احمد حافظ موسي: المرجع السابق، ص١٤٠.

(٢٥) نفسه، ص١٤١.

(٢٦) جولدن صاري يلدز: الحجر الصحي في الحجاز (١٨٦٥-١٩١٤م)، ترجمة: عبدالرازق رمضان، مركز الملك فيصل للدراسات الاسلامية، ط١، الرياض، ٢٠٠١م، ص٢١ ؛جعفر عبدالدائم بنيان: التأريخ الصحي لمدينة البصرة اواخر العهد العثماني حتى ١٩٣٩م، دار الفيحاء، ط١، لبنان، ٢٠١٧م، ص ١١٠.

(٢٧) شلدون واتس: المرجع السابق، ص١٤٠١؛ احمد حافظ موسي: المرجع السابق، ص١٤١.

(٢٨) شلدون واتس: المرجع السابق، ص١٤٠١؛ احمد حافظ موسي: المرجع السابق، ص١٤١.

(٢٩) شلدون واتس المرجع السابق، ص١٤٠١-١٤٠٢.

(٣٠) احمد حافظ موسي: المرجع السابق، ص١٤١.

(٣١) خليل إينالجك: المرجع السابق، ج٢، ص٥٢٩؛ حنا بطاطو: المرجع السابق، ج١، ص٣٤.

(٣٢) ألبرت حوراني: المرجع السابق، ج١، ص٥٠.

(٣٣) خليل إينالجك: المرجع السابق، ج٢، ص٥٢٩.

(٣٤) سلوى بنت سعد الغالبي:وباء الكوليرا في الحجاز حج عام ١٣٠٠ه/١٨٨٣م من خلال تقرير القنصلية البريطانية في جدة، دارة الملك عبدالعزيز، العدد الرابع، مج٣٨، ٢٠١٢م، ص٢١٨-٢١٩.

(٣٥) سلوى بنت سعد الغالبي: المرجع السابق، ص ٢١٩-٢٢٠.

(٣٦) أ.ج جرانت: هارولد تمبرلي: أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ - ١٩٥٠م)، ترجة: بهاء فهمي، احمد عزت عبد الكريم، مؤسسة سجل العرب، ط٦، القاهرة (د.ت)، ص ٤٢٦.

(٣٧) عبد الحكيم عبد الغني قاسم: العلاقات الدولية بين أوروبا والشرق (١٧٨٩ - ١٩١٩م)، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩ م، ص٢٤٥.

(٣٨) سيس :مدينة في تركيا الآسيوية (الاناضول)، في ولاية ولواء أضنه، على أحد روافد نهر جهان جايي. وتعرف أيضا باسم قوزان kozanK شمال مدينة أضنه. ينظر: موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٣١٣.

(٣٩) ماجدة مخلوف: تحولات الفكر والسياسة في التاريخ العثماني"رؤية احمد جودت باشا في تقريره إلي السلطان عبد الحميد الثاني "دار الافاق العربية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩ م، ص ٢٨٥ - ٢٨٨.

(٤٠) خليل إينالجك: المرجع السابق، ج٢، ص٥٢٩.

(٤١) احمد حافظ موسي: المرجع السابق، ص٧٨.

(٤٢) شلدون واتس: المرجع السابق، ص٤٩٣؛ ليلي السيد عبد العزيز: المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٤٣) ليلي السيد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص ١٩٦-١٩٧.

(٤٤) خليل إينالجك: المرجع السابق، ج١، ص٨٨.

(٤٥) أضنة: وتكتب أدنة وتكتب أدنة Adina وتقع في جنوب الأناضول إلى الشمال الغربي من خليج اسكندرونة.ينظر: محمد فريد :تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط١، ١٩٨١م، ص ١٨٢.

(٤٦) خليل إينالجك: المرجع السابق، ج٢، ص٥٣٠.

(٤٧) احمد حافظ موسي: المرجع السابق، ص١٣٥؛ نسمة سيف الإسلام : الأوبئة والأمراض في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين (١٩٠٢-١٩٤٩م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠١٩م، ص ١٠٨.

(٤٨) خليل إينالجك: المرجع السابق، ج٢، ص ٥٣٠.

(٤٩) احمد حافظ موسي: المرجع السابق، ص١٨٧.؛

فوزي السيد المصري : تاريخ الأوبئة والصحة العامة في مصر (١٨١٣-١٨٨٢م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، ١٩٨٩م، ص٧٥-٧٦.

(٥٠) ليلي السيد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص ١٤٨-١٤٩.

(٥١) أحمد جودت باشا :تاريخ جودت، ترجمة: عبد القادر الدنا، تحقيق: عبد اللطيف بن محمد الحميد، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت ١٩٩٩م، ص٣٤٦.

(٥٢) ليلي السيد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٥٣) جودت باشا: هو رجل دولة عثماني من المحافظين على النظام الإسلامي في الدولة العثمانية، عمل مؤرخًا رسميًّا للدولة ودرس أحوالها، وأنتج موسوعته المعروفة بـ (تاريخ جودت) وهي في اثني عشر مجلدًا طبعت في استانبول عام ١٣٠١ هـ، ويقترن اسمه دائمًا بمجلس الأحكام العدلية وله العديد من المؤلفات، وشغل مناصب عدة في الدولة من الوالي إلى الوزير، وشغل منصب وزارات مثل المعارف والعدل الداخلية وغيرها وظل جودت باشا في خدمة الدولة حتى توفي عام ١٨٩٥م. انظر: دائرة المعارف الإسلامية: ترجمة: محمد ثابت وآخرين، ط١، القاهرة، ١٩٣٤، المجلد الأول، العدد الخامس، ص ٤٧٤-٤٧٧.

(٥٤) جودت باشا : تاريخ جودت، ص ٣٤٧.

55- ADNAN ADIVAR:OSMANLI TURKLERINDE ILIM,ISTANBUL,1982,S,194-202.

(٥٦) كلوت بك : المصدر السابق، ص ٦٢٥.

(٥٧) أدرنة: ""Adrianaple: مدينة بيزنطية في إقليم تراقيا Trace، أستولى عليها السلطان العثماني مراد الأول١٣٧٧م وظلت عاصمة للعثمانيين حتى سقوط القسطنطينية في أيديهم عام ١٤٥٣م وتم بعدها نقل العاصمة، انظر: نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية "يوميات الحصار العثماني ١٤٥٣م"، ترجمة وتعليق: حاتم عبد الرحمن الطحاوي، دار عين للدراسات الإنسانية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص، ٨٤.

(٥٨) جودت باشا : تاريخ جودت، ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٥٩) الاناضول: "Anatolia"هو الجزء الاسيوي من الدولة العثمانية، انظر: أحمد رفيق :أغا البنات، ترجمة: سامية محمد، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٢٠٩.

(٦٠) جودت باشا: تاريخ جودت، ص ٣٤٩.

(٦١) جودت باشا: تاريخ جودت، ص ٣٥٠-٣٥١.

(٦٢) حمودي هدى، مصباحي حيزية :المرجع السابق، ص ٣٢.

(٦٣) شلدون واتس: المرجع السابق، ص٣٢.

(٦٤) ليلي السيد عبد العزيز: المرجع السابق، ص٣٢٨.

(٦٥) محمد بشير الكاتب: المدرسة الطبية الملكية في دمشق وآثارها في ابتداء التعليم الطبي في سوريا، بحث منشور ضمن كتاب: المؤتمر الدولي حول العلم والمعرفة في العالم العثماني، أعداد: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ط١، استانبول، ٢٠٠٠م، ج١، ص ١٤٨؛ ليلي دامس عقيل: السلطان محمود الثاني وإصلاحاته(١٨٠٨-١٨٣٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك كلية الآداب قسم التاريخ، الأردن، ٢٠١٣م، ص ١٦٢.

(٦٦) الكورنتينة Quarantine : كلمة إنجليزية تعني الحجر الصحي، وفي التركية قرانتينة من الكلمة الإيطالية Quarantina بمعنى أربعين، وكان الـواردون من الخارج الذين يشتبه في مرضهم يحجزون في الحجر الصحي أربعين يومًا حتى تثبت سلامتهم من الأمراض الوبائية. ينظر: أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ١٨١.

(٦٧) جميل موسي النجار: الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلي نهاية الحكم العثماني (١٨٦٩ - ١٩١٧م)، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٩١م، ص٤٤٣.

(٦٨) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الاثار في التراجم

والاخبار، دار الكتب والوثائق المصرية، ط٢، القاهرة، ٢٠١٤م، ج٤، ص ٢٤٣؛ احمد السعيد سليمان: المرجع السابق، ص ١٨١.

(٦٩) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص٥٩٢؛ عماد البغدادي المرجع السابق، ص٢٧.

(٧٠) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص ٥٩٢.

(٧١) ٧١() عماد البغدادي: المرجع السابق، ص٢٧٠.

(٧٢) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص٥٩٢ – ٥٩٣.

(٧٣) عماد البغدادي: المرجع السابق، ص٢٧؛ محمد فؤاد شكري: المرجع السابق ص ٥٩٢.

(٧٤) عماد البغدادي: المرجع السابق، ص٢٨.

(٧٥) عماد البغدادي: المرجع السابق، ص ٦٨.

(٧٦) شلدون واتس: المرجع السابق، ص١٣٠.

(٧٧) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص٦٠٩.

(٧٨) شلدون واتس: المرجع السابق، ص ١٣٠-١٣١؛ عماد البغدادي: المرجع السابق، ص٧٠.

(٧٩) شلدون واتس: المرجع السابق، ص١٣١.

(٨٠) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص٦١٥.

(٨١) سامية جلال: مصر في كتابات الرحالة الأتراك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، المجلس الاعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م، ص١٤٣.

(٨٢) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص٦١٥.

(٨٣) عماد البغدادي؛ المرجع السابق، ص ٦٨.

(٨٤) جميل موسي النجار: المرجع السابق، ص٤٤٣.

(٨٥) ألبرت حوراني: المرجع السابق، ص٥٠.

(٨٦) ألبرت حوراني: المرجع السابق، ص٥٠.

(٨٧) شلدون واتس: المرجع السابق، ص١٣٢.

(٨٨) للمزيد عن مدحت باشا: حياته وإصلاحاته، انظر: أحمد صالح: الإصلاحيون في الدوله العثمانية في القرن ١٩م دراسة الإصلاحات مدحت باشا، المكتب العربي للمعارف، ط١، القاهرة، ٢٠١٧م.

(٨٩) جميل موسي النجار: المرجع السابق، ص ٤٤٤.

(٩٠) نفس المرجع والصفحة.

(٩١) نفسه، ص ٤٤٥.

(٩٢) خليل إينالجك: المرجع السابق، ج٢، ص ٥٢٩.

(٩٣) سهيل صابان: مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز (١٨٧٤ - ١٨٧٨م)، إصدارات جامعة أم القرى، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٤٧.

(٩٤) جعفر عبدالدائم بنيان: المرجع السابق، ص ٥٤.

(٩٥) صابرة مؤمن: جدة خلال الفترة (١٨٦٩ - ١٩٠٨) دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة، إصدارات دار الملك عبد العزيز، ط١، الرياض، ٢٠١٦ م، ص٣٥.

(٩٦) لقاء شاكر الشريفي: المرجع السابق، ص١٨٣.

(٩٧) ناصرة عبد المتجلي: الإسكندرية في العصر العثماني (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠١٣م، ص٤١٨.

(٩٨) ميري شيفير: العلم عند العثمانيين الإبداع الثقافي والتبادل المعرفي، ترجمة: محمد شعبان صوان، دار الروافد الثقافية، ط١ بيروت، ٢٠١٩م، ص٢١١-٢١٢.

(٩٩) عصمت محمد حسن: الجبرتي وعصره (دراسة في التاريخ الاجتماعي لمصر العثمانية)، دار عين، ط١، القاهرة، ٢٠١٥م، ص١٦٣-١٦٤؛ مصطفى نبيل :مدن لها تاريخ، دار الهلال، العدد، ٥٨٤، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢١٥-٢١٦.

(١٠٠) ليلي السيد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص ١٠٢-١٠٣.

(١٠١) ميري شيفير: المرجع السابق، ص٢١٣.

(١٠٢) ميري شيفير: المرجع السابق، ص ٢١٣.

(١٠٣) نفس المرجع والصفحة.

(١٠٤) نفسه، ص٢١٤.

(١٠٥) جميل موسي النجار: المرجع السابق، ص٤٤٦-٤٤٧.

(١٠٦) ميري شيفير: المرجع السابق، ص ٢١٤.

(١٠٧) ميري شفير: المرجع السابق، ص ٢١٤-٢١٥.

(١٠٨) جميل موسي النجار: المرجع السابق، ص٤٤٨-٤٤٩.

(١٠٩) ليلي السيد عبدالعزيز: المرجع السابق، ص٢٩١.

(١١٠) نفسه، ص٣٢٣.

(١١١) أندرية ريمون: المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة : لطيف فرج، دار الفكر، ط١، القاهرة، ١٩٩١م، ص١١١.

(١١٢) أندرية ريمون: المرجع السابق، ص١١١.

(١١٣) نفسه، ص١١٢.

(١١٤) نفس المرجع والصفحة.

(١١٥) أندرية ريمون: المرجع السابق، ص١١٢.

(١١٦) جيل إدوارد: مؤرخون في القاهرة، ترجمة فضيلة محجوب، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م، ص٩٢.

(١١٧) كلوت بك : المصدر السابق، ص ٦١٦.

(١١٨) نفسه، ص٩٣.

(١١٩) أندرية ريمون: فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية، ترجمة: زهير الشايب، كتاب روز اليوسف، العدد ١٧، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ١٢١-١٤٢.

(١٢٠) إسماعيل بن إبراهيم: الأحوال العامة لولاية اليمن العثمانية، تحقيق: نهاد عبدالسلام عمار، مركز التاريخ العربي للنشر، ط١، استانبول، ٢٠٢٠م، ص٢٠٣-٢٠٤.

(١٢١) ناصرة عبد المتجلي: المرجع السابق، ص ٤١٩.

(١٢٢) على كامل حمزة: الأوبئة والأمراض التي اجتاحت العراق في العهد العثماني وطرق الوقاية منها، مجلة القادسية، مج٥، عدد ٤، ٢٠١٥م، ص٣٠٩.

(١٢٣) أحمد جودت باشا: المصدر السابق، ص ٣٤٧.

(١٢٤) على كامل حمزة: المرجع السابق، ص٣٠٩.

(١٢٥) نفس المرجع والصفحة.

المصـادر والمراجع

أولا: المصادر:

- أحمد جودت باشا: تاريخ جودت، ترجمة: عبد القادر الدنا، تحقيق: عبد اللطيف بن محمد الحميد، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت ١٩٩٩م.
- عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الاثار في التراجم والأخبار، دار الكتب والوثائق المصرية، ط٢، القاهرة، ٢٠١٤م.
- كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر، ترجمة: محمد مسعود، دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة، ٢٠١١م.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

- أ.ج جرانت: هارولد تمبرلبي: أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ - ١٩٥٠ م)، ترجمة: بهاء فهمي، أحمد عزت عبد الكريم، مؤسسة سجل العرب، ط٦، القاهرة (د.ت).
- احمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
- أحمد حافظ موسي وآخرون: الأمراض المستوطنة بأفريقيا وآسيا، مؤسسة سجل العرب، ط١، القاهرة، ١٩٦٢م.
- أحمد رفيق: أغا البنات، ترجمة: سامية محمد، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- أحمد صالح: الإصلاحيون في الدولة العثمانية في القرن ١٩م دراسة الإصلاحات مدحت باشا، المكتب العربي للمعارف، ط١، القاهرة، ٢٠١٧م.

- إسماعيل بن إبراهيم: الأحوال العامة لولاية اليمن العثمانية، تحقيق: نهاد عبد السلام عمار، مركز التاريخ العربي للنشر، ط١، استانبول، ٢٠٢٠م.
- أندرية ريمون: فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية، ترجمة: زهير الشايب، كتاب روز اليوسف، العدد ١٧، القاهرة، ١٩٧٤م.
- أندرية ريمون: المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر، ط١، القاهرة، ١٩٩١م.
- البرت حوراني وآخرون: الشرق الأوسط الحديث، مدارة للأبحاث والنشر، القاهرة، ج١، ٢٠١٦م.
- جعفر عبد الدائم بنيان: التأريخ الصحي لمدينة البصرة أواخر العهد العثماني حتى ١٩٣٩م، دار الفيحاء، ط١، لبنان، ٢٠١٧م.
- جميل موسي النجار: الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني (١٨٦٩ - ١٩١٧م)، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٩١م.
- جوزيبي رستيفو: إصلاحات محمد على الصحية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، بحث ضمن كتاب: الإسهامات الإيطالية في دراسة مصر الحديثة في عهد محمد على باشا، ترجمة: عماد البغدادي، المشروع القومي للترجمة، ط١، ال قاهرة، ٢٠٠٥ م.
- جولدن صاري يلدز: الحجر الصحي في الحجاز (١٨٦٥-١٩١٤م)، ترجمة: عبد الرازق رمضان، مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، ط١، الرياض، ٢٠٠١م.
- جيل إدوارد: مؤرخون في القاهرة، ترجمة فضيلة محجوب، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م.
- حسن فريد أبو غزالة: أمراض لها تاريخ قراءة مرضية في سفر التاريخ، سلسلة الثقافة العلمية للنشر، ط١، الكويت، ١٩٩٥م.
- حنا بطاطو: العراق "الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية "ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م.
- خليل إينالجك: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، دار المدار الإسلامي، ط١، بيروت، ج٢، ٢٠٠٧م.
- دونالد كواترات: الدولة العثمانية (١٧٠٠-١٩٢٢م)، ترجمة: أيمن ارمنازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٤م.
- سامية جلال: مصر في كتابات الرحالة الأتراك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م.
- سهيل صابان: مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز (١٨٧٤ - ١٨٧٨ م)، إصدارات جامعة أم القرى، ط١، ٢٠٠٩م.
- شلدون واتس: الأوبئة والتاريخ المرض والقوة والإمبريالية، ترجمة: أحمد محمود عبد الجواد، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م.
- صابرة مؤمن: جدة خلال الفترة (١٨٦٩ - ١٩٠٨) دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة، إصدارات دار الملك عبد العزيز، ط١، الرياض، ٢٠١٦ م.
- عبد الحكيم عبد الغني قاسم: العلاقات الدولية بين أوروبا والشرق (١٧٨٩ - ١٩١٩م)، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩ م.
- عبدالله عبد الرازق مسعود: الحجر الصحي، دار الضياء، عمان، ط١، ١٩٨٨م.
- عصمت محمد حسن: الجبرتي وعصره (دراسة في التاريخ الاجتماعي لمصر العثمانية)، دار عين، ط١، القاهرة، ٢٠١٥م.
- علي ظريف الأعظمي: مختصر تاريخ بغداد، القيروان للنشر والتوزيع، ط١، بغداد، ٢٠٠٦م.
- ليلي السيد عبد العزيز: الأمراض والأوبئة وآثارها على المجتمع المصري(١٧٩٨-١٨١٣م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠١٩م.

- ماجدة مخلوف: تحولات الفكر والسياسة في التاريخ العثماني"رؤية احمد جودت باشا في تقريره إلي السلطان عبد الحميد الثاني "دار الافاق العربية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩ م.
- محمد الأمين البزاز: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب جامعة الرباط، ١٩٩٢م.
- محمد بشير الكاتب: المدرسة الطبية الملكية في دمشق وآثارها في ابتداء التعليم الطبي في سوريا، بحث منشور ضمن كتاب: المؤتمر الدولي حول العلم والمعرفة في العالم العثماني، إعداد: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، ط١، استانبول، ٢٠٠٠م.
- محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط١، ١٩٨١م.
- محمد فؤاد شكري وآخرون: بناء دولة مصر "محمد على"، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠١٣م.
- مصطفى نبيل: مدن لها تاريخ، دار الهلال، العدد، ٥٨٤، القاهرة، ١٩٩٩م.
- موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ميري شيفير: العلم عند العثمانيين الإبداع الثقافي والتبادل المعرفي، ترجمة: محمد شعبان صوان، دار الروافد الثقافية، ط١ بيروت، ٢٠١٩م.
- ناصرة عبد المتجلي: الإسكندرية في العصر العثماني (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠١٣م.
- نسمة سيف الإسلام: الأوبئة والأمراض في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين(١٩٠٢-١٩٤٩م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠١٩م.
- نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية " يوميات الحصار العثماني ١٤٥٣م "، ترجمة وتعليق: حاتم عبد الرحمن الطحاوي، دار عين للدراسات الإنسانية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م.

ثالثا: الرسائل العلمية:

- حمودي هدى، مصباحي حيزية: الأمراض والأوبئة في الجزائر أواخر العهد العثماني (١٧٧٠-١٨٣٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أكلي محند أولحاج –كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، ٢٠١٨م.
- فوزي السيد المصري: تاريخ الأوبئة والصحة العامة في مصر (١٨١٣-١٨٨٢م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، ١٩٨٩م.
- ليلي دامس عقيل: السلطان محمود الثاني وإصلاحاته (١٨٠٨-١٨٣٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك كلية الآداب قسم التاريخ، الأردن، ٢٠١٣م.

رابعا: البحوث والدوريات:

- سلوى بنت سعد الغالبي: وباء الكوليرا في الحجاز حج عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م من خلال تقرير القنصلية البريطانية في جدة، دارة الملك عبد العزيز، العدد الرابع، مج٣٨، ٢٠١٢م.
- على كامل حمزة: الأوبئة والأمراض التي اجتاحت العراق في العهد العثماني وطرق الوقاية منها، مجلة القادسية، مج٥، عدد ٤، ٢٠١٥م.
- لقاء شاكر الشريفي: الطاعون عام ١٨٣١م وأثره على الحياة العامة في بغداد، مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية، عدد١، ٢٠٠٨م.

خامسا: الموسوعات:

- دائرة المعارف الإسلامية: ترجمة: محمد ثابت وآخرين، ط١، القاهرة، ١٩٣٤، المجلد الأول، العدد الخامس.

سادسا: المراجع التركية الحديثة:

- ADNAN ADIVAR:OSMANLI TURKLERINDE ILIM,ISTANBUL,1982

كتاب
الثَّلاثين الَّتي عن الإمام أحمد
في "صحيح مُسلم"

تأليف

الحافظ يوسف بن حسن بن عبد الهادي
المقدسي الصَّالحي الحنبلي المعروف بابن المَبْرد
(٨٤٠ هـ - ٩٠٩ هـ)

يُنشر لأوَّل مرَّة محقَّقًا على نسخة خطِّيَّةٍ نفيسةٍ بخطِّ المصنِّف

تحقيق

عبد الله بن محمَّد سعيد الحسيني
البحرين

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

مقدِّمة التَّحقيق

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد،،،

فإنَّ من أعظم أمارات توفيق الله عزَّ وجلَّ للمرء أن يُعينه على التَّلقِّي بين يدي كبار الأئمَّة الأعلام الذين إليهم المُنتهى في العلم النَّافع روايةً ودرايةً، فيعلو بالعلم وأهله، وتناله بركته، ويشتدّ عوده فيه ضبطًا وإدراكًا وإتقانًا، ويصفو عمله، ويُحمد سلوكه، ويندر خلله وزلله، ويخلَّد بالخير ذكره.

وقد وفَّق الله تعالى الإمام مُسلم بن الحجَّاج القُشيري النَّيسابوري (٢٠٦ هـ - ٢٦١ هـ) للتَّتلمذ بين يدي شيخه الإمام الرَّبَّاني أحمد بن محمَّد بن حنبل الشَّيباني (١٦٤ هـ - ٢٤١ هـ)، والرِّواية عنه في كتابه "الصَّحيح" بلا واسطة، عن عدد من شيوخه ([1])، وهم كالتَّالي مع مواضع مرويَّاتهم وأرقامها:

١- هُشَيْم بن بشير: كتاب الإيمان (١٦٦)، وكتاب الصَّيد والذَّبائح وما يؤكل من الحيوان (١٩٣٤).

٢- محمَّد بن جعفر: كتاب الإيمان (٢١٥)، وكتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧١٠).

٣- مُعْتَمِر بن سُليمان: كتاب الصَّلاة (٥٠٢)، وكتاب الجهاد والسِّير (١٨١٤).

٤- يحيى بن سعيد القطَّان: كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة (٥٨١)، وكتاب المساقاة (١٥٥١)، وكتاب الآداب (٢١٣٩).

٥- عبد الله بن نُمير: كتاب الحج (١٢٨٤).

٦- محمَّد بن سَلَمة: كتاب الحج (١٢٩٨).

٧- عبد الرَّحمن بن مهدي: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والدِّيات (١٦٧٦).

٨- عبد الرزَّاق بن همَّام الصَّنعاني: كتاب الجهاد والسِّير (١٧٥٦).

٩- سُليمان بن داود الطَّيالسي: كتاب الصَّيد والذَّبائح وما يؤكل من الحيوان (١٩٣٤).

١٠- يحيى بن زكريَّا: كتاب اللِّباس والزِّينة (٢٠٨١).

١١- إسماعيل بن عُلَيَّة: كتاب اللِّباس والزِّينة (٢٠٩٢)، وكتاب الفضائل (٢٣٠٩).

١٢- سُفيان بن عُيَيْنَة: كتاب الآداب (٢١٤٣)، وكتاب فضائل الصَّحابة (٢٤٢١).

١٣- يعقوب بن إبراهيم: كتاب فضائل الصَّحابة (٢٤٤٩).

---

(١) انظر: "رجال صحيح مسلم" (١/٣٠-٣١) لابن منجويه.

وهذا ما تضمَّنه الجزء المُعتَنَى به الذي بين يدَيك: **"الأحاديث الثَّلاثين الَّتي عن الإمام أحمد في صحيح مُسلم"** للحافظ جمال الدِّين أبي المحاسن يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي الشَّهير بابن المَبْرد المقدسي الصَّالحي الحنبلي -رحمه الله تعالى-، والذي رواها فيه بإسناده المتَّصل إليه.

وقدَّمتُ بين يديه مبحثَين:

الأوَّل: ترجمة موجزة للمصنِّف.

الثَّاني: دراسة الكتاب.

أسألُ الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلى أن ينفع بهذا الكتاب الإسلام والمسلمين، وأن يغفر للمصنِّف، ولنا، ولوالدينا، ولمشايخنا، ولعلماء أمَّتنا، ولإخواننا، ولأحبابنا، ولأهلينا، ولأزواجنا، ولذرِّيَّاتنا، ولتلامذتنا، وللمُسلمين أجمعين.

وصَّلى الله وسلَّم على النبيِّ الأمين، وعلى آله، وصحبه، والتَّابعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

المبحث الأوَّل

ترجمة موجزة للمصنِّف ابن المَبْرد

(٨٤٠ هـ - ٩٠٩ هـ)

بقلم: نجم الدِّين محمد الغزِّي[1]

يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي، الشَّيخ، الإمام، العلَّامة، المصنِّف، المحدِّث، جمال الدِّين، الشَّهير بابن المَبْرد، الصَّالحي، الحنبلي.

وُلد سنة أربعين وثمانمائة.

قرأ القرآن: على الشَّيخ أحمد الصَّفدي الحنبلي، وجماعة، ثمَّ على الشَّيخ محمَّد، والشَّيخ عمر العسكريَّين، والشَّيخ زين الحبَّال، وصلَّى بالقرآن ثلاث مرَّات.

وقرأ "المقنع" على: الشَّيخ تقي الدِّين الجراعي، والشَّيخ تقي الدِّين بن قندس، والقاضي علاء الدِّين المرداوي.

وحضر دروس خلائق، منهم: القاضي برهان الدِّين بن مفلح، والشَّيخ برهان الدِّين الزرعي.

وأخذ الحديث عن خلائق من أصحاب ابن حجر، وابن العراقي، وابن البالسي، والجمال بن الحرستاني، والصَّلاح بن أبي عمر، وابن ناصر الدِّين، وغيرهم.

وكان الغالبُ عليه علم الحديث، والفقه، وشارك في النَّحو، والتَّصريف، والتَّصوف، والتَّفسير.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، وغالبها أجزاء، ودرَّس، وأفتى، وله نظمٌ ليس بذاك.

وقد ألَّف تلميذه الشَّيخ شمس الدِّين بن طولون في ترجمته مؤلَّفًا ضخمًا، وقفتُ عليه في تعاليقه.

وكانت وفاة صاحب التَّرجمة يوم الاثنين سادس عشر المحرَّم سنة تسع وتسعمائة.

ودُفن بسفح قاسيون، وكانت جنازته حافلة، رحمه الله تعالى.

(١) "الكواكب السائرة" (٣١٧/١)، وانظر: "الضوء اللامع" (٣٠٨/١٠)، و"مشيخة الحسيني" (ص ٣١٥-٣١٦، ٣٣٥)، و"متعة الأذهان" (٨٣٨/٢-٨٣٩)، و"شذرات الذهب" (٦٢/١٠)، و"النعت الأكمل" (ص ٦٨-٧٢)، و"السحب الوابلة" (١١٦٥/٣-١١٦٩)، و"الأعلام" (٢٢٥/٨-٢٢٦)، و"مختصر طبقات الحنابلة" (ص ٨٣-٨٦)، و"فهرس الفهارس" (١١٤١/٢-١١٤٢)، و"معجم المؤلفين" (١٥٣/٤-١٥٤)، و"تسهيل السابلة" (١٤٨٤/٣-١٤٨٨)، و"معجم مؤلفات يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي المخطوطة بمكتبات العالم" (ص ٥٠)، و"معجم مصنفات الحنابلة" (٤١/٥-١٢٨).

المبحث الثَّاني

دراسة الكتاب

اسم الكتاب:

سمَّاه المصنِّف - رحمه الله تعالى - بـ: **"كتاب الثَّلاثين الَّتي عن الإمام أحمد في صحيح مُسلم"**.

نسبة الكتاب:

هذا الكتاب ثابت النِّسبة إلى مصنِّفه، وذلك لأمورٍ عديدةٍ، منها:

١- أنَّ صفحة العنوان مُثبت فيها اسم الكتاب منسوبًا إلى مصنِّفه بخطِّه، وصفحة حرد المتن جاء فيها بخطِّه ما نصُّه: "وفرغ منه: يوسف بن حسن بن عبد الهادي"، وقَرأهُ على أهله، وقُرئ عليه، وهذه المرتبة أقوى مراتب صحَّة النُّسخ.

٢- أن المصنِّف قد نسب هذا الكتاب إلى نفسه، فقال في "فهرست الكتب" [١٢/أ] المحفوظ بخطِّه ما نصُّه: "مجموع فيه: .. وأربعين من صحيح مُسلم، والثَّلاثين الَّتي رواها عن أحمد .. تصنيفي" ا.هـ، وقال أيضًا في "حديث وقع الصَّحيحين عن الإمام أحمد" [١١/ب] المحفوظ بخطِّه: "ومُسلم في صحيحه قد روى عن الإمام أحمد أحاديث كثيرة، قد خرَّجتُها في جزءٍ مُفردٍ" ا.هـ.

٣- أنَّ الكتاب قد نسبه إليه جماعة من أهل العلم والمختصِّين، منهم:

* الشيخ محمَّد كمال الدِّين بن محمد الغزِّي العامري (المتوفى ١٢١٤ هـ) في كتابه: "النَّعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل" (ص ٧٠).
* الشيخ محمَّد جميل بن عمر ابن شطِّي البغدادي (المتوفى ١٣٧٩ هـ) في كتابه: "مختصر طبقات الحنابلة" (ص ٨٥).
* الشيخ صالح بن عبد العزيز بن علي آل عثيمين البردي الحنبلي (المتوفى ١٤١٠ هـ) في كتابه: "تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة" (١٤٨٦/٣).
* الدكتور عبد الله بن محمَّد بن أحمد الطريقي في كتابه: "معجم مصنَّفات الحنابلة" (٧١/٥).
* الشيخ صالح بن محمَّد بن عبد الفتَّاح الأزهري في كتابه: "الفهرس الوصفي للنُّسخ الخطِّيَّة لمؤلَّفات الإمام العلَّامة المحدِّث يوسف بن حسن بن عبد الهادي الدِّمشقي الصَّالحي الحنبلي المعروف بابن المبرد المحفوظة بدار الكتب المصريَّة" (ص ١٠٢-١٠٦).

٣- أنَّ أسلوب الكتاب يتَّفق تمامًا مع أسلوب المصنِّف في تصانيفه الأخرى.

موضوع الكتاب:

يتضمَّن الكتاب أحاديث رواها الإمام مُسلم في "الصَّحيح" عن الإمام المبجَّل أحمد بن حنبل -رحمهما الله تعالى-، ورواها المصنِّف بإسناده المتَّصل إليه.

ومجموع تلك الأحاديث التي ذكرها ثلاثون حديثًا مع التّكرار، وتسعة عشر حديثًا من غير تكرار.

والذي ظهر لي أنَّه كرَّر أغلب الأحاديث التي رواها الإمام مُسلم عن الإمام أحمد مقرونًا بغيره، فذكرها بلفظ "الصَّحيح"، كما في (٧)، و(٨)، و(١٣)، و(١٥)، و(١٨)، و(٢٠)، و(٢٢)، ثمَّ ذكرها من روايته عن الإمام أحمد مُنفردًا، كما في (٢٦)، و(٢٨)، و(١٢)، و(١٤)، و(١٧)، و(١٩)، و(٢١)، وهناك حديثٌ واحدٌ وهو (٢٤) قام بتقطيعه إلى أحاديث عدَّة كما في (٢٥)، و(٢٧)، و(٢٩)، و(٣٠).

وصف النُّسخة الخطّيَّة المعتمدة في التَّحقيق:

اعتمدتُ في التَّحقيق على نسخةٍ وحيدةٍ تامَّةٍ في غاية النَّفاسة محفوظةٍ في دار الكتب المصريَّة بالقاهرة، ضمن مجموع برقم (٢٢٣٧).

ويقع الكتاب ضمن مجموع يبدأ من [٧٦/أ] إلى [٨٣/أ] في (٨) ورقات ووجه، في كل ورقة وجهان، وفي كل وجه (١٤) إلى (١٧) سطرًا.

كَتَبَهُ المصنِّف بالمداد الأسود بخطٍّ نسخيٍّ مقروءٍ خالٍ من التَّنقيط والتَّشكيل في الغالب، وفرغ منه: يوم الخميس ١٩ من شهر ربيع الأوَّل سنة ٨٨٩ هـ، بمنزله بالسَّهم الأعلى من صالحيَّة دمشق.

وفي صفحة العنوان طبقة سماع أهله عليه من لفظه بخطِّه في ليلة السَّبت ٢٠ من شهر ربيع الأوَّل سنة ٨٨٩ هـ.

وبعد حرد المتن طبقة سماع جماعة عليه بخطِّ الشَّيخ أبي القاسم بن علي بن محمَّد السَّبتي الأندلسي في ٦ من شهر ربيع الآخر سنة ٨٩٣ هـ.

عملي في تحقيق الكتاب:

١. نسختُ الكتاب المخطوط على الطَّريقة الإملائيَّة الحديثة، ثم قابلتُ المنسوخ بالمخطوط.

٢. ترجمتُ للمصنِّف ابن المَبْرد ترجمة موجزة بقلم الشَّيخ نجم الدِّين الغزِّي، وأحلتُ إلى أهمِّ المترجمين له.

٣. ترجمتُ لشيخ المصنِّف في "صحيح مسلم" ترجمة موجزة في هامش التَّحقيق، وأحلتُ إلى أهمِّ المترجمين له.

٤. اقتصرتُ في عزو الأحاديث التي ذكرها بلفظ الإمام مسلم على: "مسند أحمد بن حنبل"، و"فضائل الصَّحابة"، و"صحيح مسلم"، وكذلك "سنن أبي داود" باعتباره ممَّن روى عنه بلا واسطة.

٥. ضبطتُ بالشَّكل الأحاديث وما يحتاج إلى ضبط من النَّص.

٦. استدركتُ ما سقط من الأصل، وجعلتُهُ بين معقوفتين، مع التَّنبيه على ذلك في هامش التَّحقيق.

٧. استدركتُ على المصنِّف حديثًا واحدًا في هامش التَّحقيق، فبلغَت بذلك الأحاديث غير المكرَّرة التي رواها الإمام مسلم عن شيخه الإمام أحمد بن حنبل عشرون حديثًا [١]، وميَّزتُها برقم متسلسل بين معقوفتين.

٨. أشرتُ إلى بعض الفوائد المتعلِّقة بالجزء في هامش التَّحقيق.

٩. صنعتُ ثبت المصادر والمراجع.

صور من النُّسخة الخطِّيَّة المعتمدة في التَّحقيق

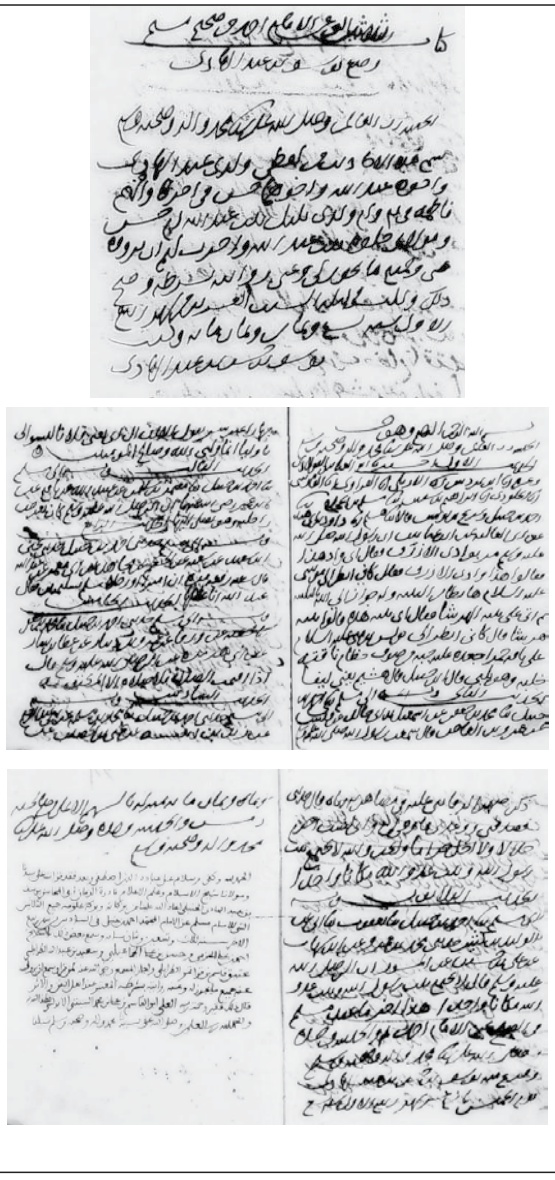

(١) "الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومسنده" لأحمد بن عبد الرحمن الصويان، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٥)، (ص ٢٩٩).

[النَّصُّ المحقَّق]

[٧٦/أ] كتاب الثَّلاثين الَّتي عن الإمام أحمد في صحيح مُسلم

وضع:

يوسف بن عبد الهادي

[٧٦/ب] بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

وهو حسبي

الحمد لله ربِّ العالمين.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد، وآله، وصحبه، وسلَّم.

[١] الحديث الأوَّل

أخبرنا أبو العبَّاس الفُولَاذِي (١)، وغيره، أنا ابن بَرْدَس، [أنا ابن الخَبَّاز] (٢)، أنا الإرْبِلِي، [أنا الطُّوسِي](٣)، أنا الفُرَاوِي، أنا الفَارِسِي، أنا الجُلُوْدِي، أنا إبراهيم بن سُفْيَان، ثنا مُسلم بن الحجَّاج، ثنا أحمد بن حَنْبَل، وسُرَيج بن يونس، قالا: ثنا هُشَيْم، أنا داود بن أَبي هند، عن أبي العالِيَة، عن ابن عبَّاس، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: **"أَيُّ وَادٍ هَذَا؟"** فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، فقَالَ: **"كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ"**، ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ الهَرْشَى، فَقَالَ: "أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟" قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَى، قَالَ: **"كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ، وَهُوَ يُلَبِّي"**(٤).

قال ابن حَنْبَل: قال هُشَيْم: يعني: لِيفًا.

---

(١) **الفولاذي (٧٨٤ أو ٧٨٦- ٨٦٧ هـ):** أحمد بن محمد بن عيسى بن موسى بن عمران الدمشقي الشافعي الفُولَاذِي، شهاب الدين، أبو العباس، ولد بدمشق ونشأ بها، فقرأ القرآن على عثمان الحداد، وحفظ الحاوي، والألفية، والحاجبية، والمنهاج الأصلي، وتفقَّه بالجمال الطيماني والسكري وغيرهما، وأخذ العربية والأصول عن محمد المدني وغيره، وتصدَّى لإقراء الفقه، وسمع على التاج والعلاء ابني بردس، وعبد القادر الأرموي، وابن المحب الأعرج، وابن الجزري، وعائشة ابنة ابن عبد الهادي، والجمال بن الشرائحي، والجلال البلقيني، وبعض ذلك بقراءته، وكان معرضًا عن وظائف الفقهاء، ويتكسَّب بحرفة الفولاذ، وحدَّث، وسمع منه الفضلاء، منهم: السخاوي، وابن المبرد، قال المصنِّف: "أخذ ابن بردس عن ابن الخباز صحيح مسلم، وسمعه عليه شيخنا أبو العباس الفولاذي، وقد قرأتُ عليه"، انظر: "معجم ابن فهد المكي" (ص ٣٤٦)، و"الضوء اللامع" (٢/١٦٤-١٦٥)، و"إرشاد الغاوي" (ص ١٢٧)، و"الجوهر المنضد" (ص ١٣٣)، و"النهاية في اتصال الرواية" (ص ٨٦، ١١٤، ٢٢٨، ٢٤٧، ٢٥٨).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتُّه من كتابه: "النهاية في اتصال الرواية" (ص ١١٤).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتُّه من كتابه: "النهاية في اتصال الرواية" (ص ١١٤).

(٤) الحديث في "صحيح مسلم" (١/١٠٥)، رقم (١٦٦)، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات، وفي "المسند" (١٨٥٤)، ولأحمد عن شيخه هُشيم بن بشير المذكور أعلاه روايتان في "صحيح مسلم"، الأُولى هذه، والثانية الآتية في الحديث الثالث عشر.

[٢] الحديث الثَّاني

وبه إلى مسلم، ثني [١] أحمد بن حَنْبَل، ثنا محمَّد بن جعفر، [ثنا شُعبة][٢]، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن عَمرو بن العاص، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٧٧/أ] جِهَارًا غَيْرَ سِرٍّ، يَقُولُ: **"أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي، يَعْنِي: فُلَانًا، لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ، وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ"**[٣].

[٣] الحديث الثَّالث

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، ثنا مُعتَمِر بن سُليمان، عن عُبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: **"أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْرِضُ رَاحِلَتَهُ وَهُوَ يُصَلِّي إِلَيْهَا"**[٤].

[٤] الحديث الرَّابع

وبه إلى مسلم، حدَّثني أحمد بن حَنْبَل، حدَّثني يحيى بن سعيد، عن شُعبة، عن الحَكَم، عن مُجاهد، عن أبي مَعْمَر، عن عبد الله، -قال شُعبة: رفَعهُ مرَّةً- "أَنَّ أَمِيرًا أَوْ رَجُلًا سَلَّمَ تَسْلِيمَتَيْنِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَنَّى عَلِقَهَا"[٥].

[٥] الحديث الخامس

وبه إلى مسلم، حدَّثني أحمد بن حَنْبَل، ثنا محمَّد بن جعفر، ثنا شُعبة، عن وَرْقاء، عن عَمرو بن دِينار، عن عطاء بن يَسار، عن أبي هريرة، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ"**[٦].

---

(١) قال الإمام مسلم هنا وفي الحديث الرابع والخامس والسادس والعاشر والثالث والعشرين والرابع والعشرين: "حدَّثني أحمد بن حنبل"، بصيغة الاختصاص بالتَّحديث.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتُّه من "صحيح مسلم"، و"المسند".

(٣) الحديث في "صحيح مسلم" (١٣٦/١)، رقم (٢١٥)، كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم، وفي "المسند" (١٧٨٠٤)، ولأحمد عن شيخه محمد بن جعفر المذكور أعلاه روايتان في "صحيح مسلم"، الأُولى هذه، والثانية الآتية في الحديث الخامس.

(٤) الحديث في "صحيح مسلم" (٥٥/٢)، رقم (٥٠٢)، كتاب الصلاة، باب سترة المصلي، وفي "المسند" (٤٤٦٨، ٦٢٦١)، ولأحمد عن شيخه معتمر بن سليمان المذكور أعلاه روايتان في "صحيح مسلم"، الأُولى هذه، والثانية الآتية في الحديث العاشر.

(٥) الحديث في "صحيح مسلم" (٩١/٢)، رقم (٥٨١)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السلام للتحليل من الصلاة عند فراغها وكيفيته، وفي "المسند" (٤٢٣٩)، ولأحمد عن شيخه يحيى بن سعيد القطان المذكور أعلاه ثلاث روايات في "صحيح مسلم"، الأُولى هذه، والثانية في الحديث السابع، والثالثة في الحديث الثامن عشر.

(٦) الحديث في "صحيح مسلم" (١٥٣/٢-١٥٤)، رقم (٧١٠)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع المؤذن، وفي "المسند" (٩٨٧٣)، و"سنن أبي داود" (١٢٦٦)، كتاب الصلاة، باب إذا أدرك الإمام ولم يصل ركعتي الفجر.

[٦] الحديث السَّادس

وبه إلى مسلم، حدَّثني أحمد بن حَنْبَل، ثنا محمَّد بن سَلَمَة، عن أبي عبد الرَّحيم، عن زيد بن أَبي أُنَيسَة، عن يحيى بن الحُصَين، عن [٧٧/ب] أمِّ الحُصَين جدَّتِهِ قالت: **"حَجَجْتُ مَعَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ، فَرَأَيْتُ أُسَامَةَ وَبِلَالًا، وَأَحَدُهُمَا آخِذٌ بِخِطَامِ نَاقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْآخَرُ رَافِعٌ ثَوْبَهُ يَسْتُرُهُ مِنَ الْحَرِّ، حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ"**(١).

[٧] الحديث السَّابع

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، وزُهَير بن حرب -واللَّفظ لزُهَير-، قالا: ثنا يحيى -وهو القَطَّان-، عن عُبيد الله، أخبرني نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: **"أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ بِشَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ أَوْ زَرْعٍ"**(٢).

[٨] الحديث الثَّامن

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، ومحمَّد بن مُثَنَّى -واللَّفظ لأحمد-، قالا: ثنا عبد الرَّحمن بن مَهْدِي، عن سُفيان، عن الأَعمَش، عن عبد الله بن مُرَّة، عن مَسْرُوق، عن عبد الله، قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **"وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ: التَّارِكُ [٧٨/أ] الْإِسْلَامَ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ أَوِ الْجَمَاعَةَ،** -شكَّ فيه أحمد- **وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ"** (٣).

[٩] الحديث التَّاسع

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، ومحمَّد بن رافِع، قالا: ثنا عبد الرَّزَّاق، أنا مَعْمَر، عن هَمَّام بن مُنَبِّه، قال: هذا ما حدَّثنا أبو هريرة، عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَيُّمَا قَرْيَةٍ أَتَيْتُمُوهَا، وَأَقَمْتُمْ فِيهَا، فَسَهْمُكُمْ فِيهَا، وَأَيُّمَا قَرْيَةٍ عَصَتِ اللهَ

---

(١) الحديث في "صحيح مسلم" (٨٠/٤)، رقم (١٢٩٨)، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبًا وبيان قوله صلى الله عليه وسلم: (لتأخذوا مناسككم)، وفي "المسند" (٢٧٢٥٩)، و"سنن أبي داود" (١٨٣٤)، كتاب المناسك، باب في المحرم يظلل، ولأحمد عن شيخه محمد بن سلمة المذكور أعلاه رواية واحدة في "صحيح مسلم"، وهي هذه.

(٢) الحديث في "صحيح مسلم" (٢٦/٥)، رقم (١٥٥١)، كتاب المساقاة، باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع، وفي "المسند" (٤٦٦٣)، و"سنن أبي داود" (٣٤٠٨)، كتاب البيوع، باب في المساقاة.

(٣) الحديث في "صحيح مسلم" (١٠٦/٥)، رقم (١٦٧٦)، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم، وفي "المسند" (٢٥٤٧٥)، ولأحمد عن شيخه عبد الرحمن بن مهدي المذكور أعلاه رواية واحدة في "صحيح مسلم"، وهي هذه.

وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ خُمُسَهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، ثُمَّ هِيَ لَكُمْ"[1].

[١٠] الحديث العاشر

وبه إلى مسلم، حدَّثني أحمد بن حَنْبَل، ثنا مُعْتَمِر بن سُلَيمَان، عن كَهْمَس، عن ابن بُرَيْدَة، عن أبيه: **"أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّ عَشْرَةَ غَزْوَةً"**[2].

[١١] الحديث الحادي عشر

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، قال: ثنا سُلَيْمَان بن داود، أنا أبو عَوَانة، أنا الحَكَم، وأبو بِشْر، عن مَيْمُون بن مِهْرَان، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: **"أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٧٨/ب] نَهَى عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ"**[3].

الحديث الثَّاني عشر

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، ثنا هُشَيْم، عن أبي بِشْر، أنا مَيْمُون بن مِهْرَان، عن ابن عبَّاس، قال: **"نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ"**[4].

---

(١) الحديث في "صحيح مسلم" (١٥١/٥)، رقم (١٧٥٦)، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء، وفي "المسند" (٨٢١٦)، و"سنن أبي داود" (٣٠٣٦)، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في إيقاف أرض السواد وأرض العنوة، ولأحمد عن شيخه عبد الرزاق بن همام المذكور أعلاه رواية واحدة في "صحيح مسلم"، وهي هذه.

(٢) الحديث في "صحيح مسلم" (٢٠٠/٥)، رقم (١٨١٤)، كتاب الجهاد والسير، باب عدد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وفي "المسند" (٢٢٩٥٤)، وقد حصل لمسلم في هذا الحديث العلو على البخاري الذي رواه في "الصحيح" (٤٤٧٣)، كتاب المغازي، باب كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم، عن أحمد بن حنبل بواسطة أحمد بن الحسن بن الجُنَيدب التِّرمذي، قال المصنِّف عن هذا الحديث في جزء مخطوط له بعنوان: "حديث وقع الصَّحيحين عن الإمام أحمد" [١١/ب] ما نصُّه: "حديثٌ صحيحٌ متَّفق على روايته في الصَّحيحين عن الإمام أحمد، ورجاله فيهما بعد الإمام أحمد سواء، ولفظه في الصَّحيحين سواء، إلَّا أنَّ لفظ مسلم: (ستَّة عشر)، ولفظ البخاري: (ستَّ عشر)، ولفظ مسلم أجود من حيث العربيَّة، ولفظ مسلم: (ثنا أحمد بن حنبل)، ولفظ البخاري: (ثنا أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال)، لكنَّه لمسلم عن الإمام أحمد رواية من غير واسطة بصيغة الاختصاص بالتَّحديث، فقال: (حدَّثني)، وأمَّا البخاري فرواه عن رجل عن الإمام أحمد، فإنَّه قال: (حدَّثني أحمد بن الحسن، قال: ثنا أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال)، فوقع لمسلم أعلى من البخاري، فهو لمسلم خماسي، وللبخاري سداسي، فلم يتَّفق للبخاري روايته عن نفس الإمام أحمد، ومسلم في صحيحه قد روى عن الإمام أحمد أحاديث كثيرة قد خرَّجتها في جزءٍ مُفردٍ، وأمَّا البخاري فلم يقع في صحيحه عن الإمام أحمد غير هذا الحديث عن واسطة عنه" ا.هـ.

(٣) الحديث في "صحيح مسلم" (٦٠/٦)، رقم (١٩٣٤)، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، وفي "المسند" (٢٧٤٧، ٣٥٤٤)، ولأحمد عن شيخه سليمان بن داود المذكور أعلاه رواية واحدة في "صحيح مسلم"، وهي هذه.

(٤) انظر: الحديث الثالث عشر.

[١٢] الحديث الثَّالث عشر

وبه إلى مسلم، ثنا يحيى بن يحيى، أنا هُشَيْم، عن أبي بِشْر ح، وثنا أحمد بن حَنْبَل، ثنا هُشَيْم، قال أبو بِشْر، أنا عن مَيْمُون بن مِهْرَان، عن ابن عباس ح، وحدَّثني أبو كامل الجَحْدَرِيُّ، ثنا أبو عَوانَة، عن أبي بِشْر، عن مَيْمُون بن مِهْرَان، عن ابن عبَّاس، قال: **"نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ"**(١).

الحديث الرَّابع عشر

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، ثنا يحيى بن زكريَّا، أخبرني أبي، عن [٧٩/أ] مُصعب بن شَيْبة، عن صَفِيَّةَ بنت شَيْبة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: **"خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ"**(٢).

[١٣] الحديث الخامس عشر

وبه إلى مسلم، حدَّثني سُرَيْج بن يونس، ثنا يحيى بن زكريَّا، عن أبيه [ح](٣)، وثنا إبراهيم بن موسى، أنا ابن أبي زائدة [ح](٤)، وثنا أحمد بن حَنْبَل، ثنا يحيى بن زكريَّا، أخبرني أبي، عن مُصْعَب بن شَيْبة، عن صَفِيَّة بنت شَيْبة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: **"خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ"**(٥).

[١٤] الحديث السَّادس عشر

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، وأبو بكر بن أبي شَيْبة، وزُهَيْر بن حرب، قالوا: ثنا إسماعيل- يَعنُونَ: ابن عُلَيَّة-، عن عبد العزيز، عن أنس، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ"**(٦).

---

(١) الحديث في "صحيح مسلم" (٦١/٦)، رقم (١٩٣٤)، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، ولم أجده في "مسند أحمد".

(٢) انظر: الحديث الخامس عشر.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتُّه من "صحيح مسلم".

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتُّه من "صحيح مسلم".

(٥) الحديث في "صحيح مسلم" (١٤٥/٦)، رقم (٢٠٨١)، كتاب اللباس والزينة، باب التواضع في اللباس والاقتصار على الغليظ منه واليسير في اللباس والفراش وغيرهما وجواز لبس الثوب الشعر وما فيه أعلام، وفي "المسند" (٢٥٢٩٥)، ولأحمد عن شيخه يحيى بن زكريا المذكور أعلاه رواية واحدة في "صحيح مسلم"، وهي هذه.

(٦) الحديث في "صحيح مسلم" (١٥١/٦)، رقم (٢٠٩٢)، كتاب اللباس والزينة، باب لبس النبي صلى الله عليه وسلم خاتمًا من ورق نقشه محمد رسول الله، ولبس الخلفاء له من بعده، وفي "المسند" (١١٩٨٩)، ولأحمد عن شيخه إسماعيل بن إبراهيم ابن علية المذكور أعلاه روايتان في "صحيح مسلم"، الأُولى هذه، والثانية الآتية في الحديث الثاني والعشرين.

الحديث السَّابع عشر

وبه إلى مسلم، [٧٩/ب] ثنا أحمد بن حَنْبَل، ثنا يحيى بن سعيد، عن عُبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر: **"أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ"**(١).

[١٥] الحديث الثَّامن عشر

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، وزُهَيْر بن حرب، ومحمَّد بن مُثَنَّى، وعُبيد الله بن سعيد، ومحمَّد بن بشَّار، قالوا: ثنا يحيى بن سعيد، عن عُبيد الله، أخبرني نافع، عن ابن عمر: **أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ، وَقَالَ: "أَنْتِ جَمِيلَةُ"**(٢).

الحديث التَّاسع عشر

وبه إلى الإمام أحمد، ثنا سُفيان بن عُيَيْنَة، عن أبي الزِّناد، عن الأَعْرَج، عن أبي هريرة، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ"**(٣).

[١٦] الحديث العشرون

وبه إلى مسلم، ثنا سعيد بن عَمْرو الأَشْعَثِي، وأحمد بن حَنْبَل، وأبو بكر بن أبي شَيْبة -واللَّفظ لأحمد-، قال الأَشْعَثِي: أنا، [٨٠/أ] وقال الآخران: ثنا سُفْيَان بن عُيَيْنة، عن أبي الزِّناد، عن الأَعْرَج، عن أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ"**(٤).

زاد ابن أبي شَيْبة في روايته: **"لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ"**.

قال الأَشْعَثِي: قال سُفْيَان: "مِثْلُ شَاهانْ شَاهْ".

وقال أحمد بن حَنْبَل، سَأَلتُ أبا عَمرو عن أَخْنَعَ؟ فقال: "أَوْضَعَ".

الحديث الحادي والعشرون

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، ثنا إسماعيل -يعني: ابن عُلَيَّة-، ثنا عبد العزيز، عن أنس، قال: **"لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، أَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي، فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللهِ**

---

(١) انظر: الحديث الثامن عشر.

(٢) الحديث في "صحيح مسلم" (٦/١٧٢-١٧٣)، رقم (٢١٣٩)، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما، وفي "المسند" (٤٦٨٢)، و"سنن أبي داود" (٤٩٥٢)، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح.

(٣) انظر: الحديث العشرون.

(٤) الحديث في "صحيح مسلم" (٦/١٧٤)، رقم (٢١٤٣)، كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك، وبملك الملوك، وفي "المسند" (٧٣٢٩)، و"سنن أبي داود" (٤٩٦١)، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، ولأحمد عن شيخه سفيان بن عيينة المذكور أعلاه روايتان في "صحيح مسلم"، الأُولى هذه، والثانية الآتية في الحديث الثالث والعشرين.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَنَسًا غُلَامٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْكَ، قَالَ: فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ: لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟"(١).

[١٧] الحديث الثَّاني والعشرون

وبه إلى مسلم، [٨٠/ب] ثنا شَيْبَان بن فَرُّوخ، ثنا سَلَّام بن مِسْكين، ثنا ثابت البُنَانِي، عن أنس، قال: وحدَّثناه أحمد بن حَنْبَل، وزُهَيْر بن حرب، جميعًا عن إسماعيل، -واللَّفظ لأحمد- قالا: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، ثنا عبد العزيز، عن أنس، قال: **"لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، أَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي، فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَنَسًا غُلَامٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْكَ، قَالَ: فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ: لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟"**(٢).

[١٨] الحديث الثَّالث والعشرون

وبه إلى مسلم، ثنا(٣) أحمد بن حَنْبَل، ثنا سُفْيَان بن عُيَيْنَة، حدَّثني عُبيد الله بن أبي يزيد، عن نافع بن جُبَيْر، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ لِحَسَنٍ: **"[اللَّهُمَّ](٤) إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ"**(٥).

[١٩] الحديث الرَّابع والعشرون

[٨١/أ] وبه إلى مسلم، ثنا(٦) أحمد بن حَنْبَل، ثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا أبي، عن الوليد بن كَثِير، حدَّثني محمَّد بن عَمرو بن حَلْحَلَة، أَنَّ ابن شِهَاب، حَدَّثَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ حُسَيْنٍ حَدَّثَهُ: أَنَّهُمْ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، مَقْتَلَ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، لَقِيَهُ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ إِلَيَّ مِنْ حَاجَةٍ تَأْمُرُنِي بِهَا؟ قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: لَا، قَالَ لَهُ: هَلْ أَنْتَ مُعْطِيَّ سَيْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَغْلِبَكَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، وَايْمُ اللهِ لَئِنْ أَعْطَيْتَنِيهِ لَا يُخْلَصُ إِلَيْهِ أَبَدًا، حَتَّى تَبْلُغَ نَفْسِي، إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ عَلَى فَاطِمَةَ، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَى مِنْبَرِهِ هَذَا، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مُحْتَلِمٌ، فَقَالَ: **"إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي، وَإِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا"** قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ صِهْرًا لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ فَأَحْسَنَ، قَالَ:

---

(١) انظر: الحديث الثاني والعشرون.

(٢) الحديث في "صحيح مسلم" (٧٣/٧)، رقم (٢٣٠٩)، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلقًا، وفي "المسند" (١١٩٨٨).

(٣) هكذا في الأصل، وفي "صحيح مسلم": "حدَّثني".

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتُّه من "صحيح مسلم"، و"المسند"، و"فضائل الصحابة".

(٥) الحديث في "صحيح مسلم" (١٢٩/٧)، رقم (٢٤٢١)، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما، وفي "المسند" (٧٣٩٨)، و"فضائل الصحابة" (١٣٤٩).

(٦) هكذا في الأصل، وفي "صحيح مسلم": "حدَّثني".

"حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فوفَّى لِي، وَإِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلَالًا وَلَا أُحِلُّ حَرَامًا، وَلَكِنْ وَاللهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ مَكَانًا وَاحِدًا أَبَدًا"(١).

[٨١/ب] الحديث الخامس والعشرون

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، ثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا أبي، عن الوليد بن كَثِير، حدَّثني محمَّد بن عَمرو بن حَلْحَلَة، عن ابن شِهَاب، عن علي بن حسين، عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَة: إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ عَلَى فَاطِمَةَ، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَى مِنْبَرِهِ هَذَا، فَقَالَ: **"إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي، وَإِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا"**(٢).

الحديث السَّادس والعشرون

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، ثنا يحيى القَطَّان، عن عُبيد الله، أخبرني نافع، عن ابن عمر: **"أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ بِشَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ أَوْ زَرْعٍ"**(٣).

الحديث السَّابع والعشرون

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، ثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا أبي، عن الوليد بن كَثِير، حدَّثني محمَّد بن عَمرو، عن ابن شِهَاب، عن علي بن حسين، عن المِسْوَر: **"أَنَّ [٨٢/أ] النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ذَكَرَ صِهْرًا لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ فَأَحْسَنَ"**(٤).

الحديث الثَّامن والعشرون

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، ثنا ابن مَهْدِي، عن سُفْيَان، عن الأَعْمَش، عن عبد اللهِ بن مُرَّة، عن مَسْرُوق، عن عبد الله، قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **"وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ: التَّارِكُ الْإِسْلَامَ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ"**(٥).

---

(١) الحديث في "صحيح مسلم" (١٤١/٧)، رقم (٢٤٤٩)، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، وفي "المسند" (١٨٩١٣)، و"فضائل الصحابة" (١٣٣٥)، و"سنن أبي داود" (٢٠٦٩)، كتاب النكاح، باب ما يكره أن يجمع بينهن من النساء، ولأحمد عن شيخه يعقوب بن إبراهيم المذكور أعلاه رواية واحدة في "صحيح مسلم"، وهي هذه.

(٢) انظر: الحديث الرابع والعشرون.

(٣) انظر: الحديث السابع.

(٤) انظر: الحديث الرابع والعشرون.

(٥) انظر: الحديث الثامن.

الحديث التَّاسع والعشرون

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، ثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا أبي، عن الوليد بن كَثِير، حدَّثني محمَّد بن عَمرو، عن ابن شِهَابٍ، عن علي بن حسين، عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة أَنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم [٨٢/ب] ذَكَرَ صِهْرًا لَهُ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ، قَالَ: **"حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فَأَوْفَى لِي، وَإِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلَالًا وَلَا أُحِلُّ حَرَامًا، وَلَكِنْ وَاللهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ مَكَانًا وَاحِدًا"**[١].

الحديث الثَّلاثون

وبه إلى مسلم، ثنا أحمد بن حَنْبَل، ثنا يعقوب، ثنا أبي، عن الوليد بن كَثِير، حدَّثني محمَّد بن عَمرو، عن ابِ شِهَابٍ، عن علي بن حسين، عن المِسْوَر أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ مَكَانًا وَاحِدًا"**[٢].

هذا آخر ما عند مُسلم في "الصَّحيح" عن الإمام أحمد[٣].

تمَّ، والحمد لله وحده.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد، وآله، وصحبه، وسلَّم.

وفَرَغَ منه: يوسف بن حسن بن عبد الهادي يوم الخميس تاسع عشر شهر ربيع الأوَّل سنة تسع [٨٣/أ] وثمانين وثمان مائة، بمنزله بالسَّهم الأعلى من صالحيَّة دمشق.

والحمد لله وحده.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد، وآله، وصحبه، وسلَّم.

---

(١) انظر: الحديث الرابع والعشرون.

(٢) انظر: الحديث الرابع والعشرون.

(٣) وممَّا يُستدرك على المصنِّف: [٢٠] ما رواه مسلم في "الصحيح" (٧٢/٤)، رقم (١٢٨٤)، كتاب الحج، باب التلبية والتكبير في الذهاب من منى إلى عرفات في يوم عرفة، قال: حدَّثنا أحمد بن حنبل، ومحمد بن المثنى، قالا: حدَّثنا عبد الله بن نُمَير، ح، وحدثنا سعيد بن يحيى الأُموي، حدَّثني أبي، قالا جميعًا: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبد الله بن أبي سلمة، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، قال: "غَدَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مِنًى إِلَى عَرَفَاتٍ، مِنَّا الْمُلَبِّي، وَمِنَّا الْمُكَبِّرُ"، وهو في "المسند" (٤٧٣٣)، وعنه: أبو داود في "السنن" (١٨١٦)، كتاب المناسك، باب متى يقطع التلبية، ولأحمد عن شيخه عبد الله بن نمير المذكور رواية واحدة في "صحيح مسلم"، وهي هذه.

[طبقة سماع للكتاب بخطِّ المصنِّف]

[٧٦/أ] الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد، وآله، وصحبه، وسلَّم.

سمِعَ هذه الأحاديث مِن لفظي: ولدِي: عبد الهادي، وأخوه: عبد الله، وأخوهما: حسن في آخر ٥، وأمُّهم: فاطمة في ٣، وأمُّ ولدي: بلبل بنت عبد الله أمّ حسن، ومولاتي: حلوة بنت عبد الله.

وأَجزتُ لهم أن يروُوه عنِّي، وجميع ما يجوزُ لي وعنِّي روايته بشرطه.

وصحَّ ذلك، وثَبَتَ، في ليلة السَّبت العشرين من شهر ربيع الأوَّل سنة تسع وثمانين وثمان مائة.

وكَتَبَ:

يوسف بن حسن بن عبد الهادي.

[طبقة سماع للكتاب بخطِّ السَّبتي]

[٨٣/أ] الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فقد قرأتُ على سيِّدنا ومولانا، شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، نادرة الزَّمان، أبي المحاسن يوسف بن عبد الهادي الحنبلي -أعاد الله علينا من بركاته وبركة علومه- جميع الثَّلاثين الَّتي للإمام مُسلم عن الإمام المجتهد أحمد بن حَنْبَل، في السَّادس من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وثمان مائة.

وسَمِعَ بعض ذلك: الشَّيخ أحمد بن علي الحزمي، وحسن بن علي الجماعيلي، وسعيد بن عبد الله الطَّرابلسي عتيق قاسم بن قراتمر الطَّرابلسي.

وأجاز المُسمِع -رضي الله عنه- لمن قرأ وسمع أن يروي عنه جميع ما يجوز له وعنه روايته بشرطه المعتبر عند أهل الفنِّ والأثر.

قال ذلك: فقير رحمة ربِّه العلي: أبو القاسم بن علي بن محمَّد السَّبتي الأندلسي[1]، لطف الله به.

والحمد لله ربِّ العالمين.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد، وآله، وصحبه، وسلَّم تسليمًا.

(١) السَّبتي (٨٦٥ هـ- كان حيًّا إلى ٨٩٩ هـ): أبو القاسم بن علي بن محمد بن فرج السبتي الوادي آشي الأندلسي المالكي، فقيه، مسنِد، انظر: "الضوء اللامع" (١١/١٣٦-١٣٧).

ثبت المصادر والمراجع

١. **الأعلام**، الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

٢. **إرشاد الغاوي بل إسعاد الطالب والراوي للإعلام بترجمة السخاوي**، السخاوي، تحقيق: د. سعد الدوسري، مكتبة أهل الأثر، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

٣. **الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومسنده**، إعداد ودراسة: أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان الصويان، مجلة البحوث الإسلامية، الرياض، العدد (٢٥)، ١٤٠٩هـ.

٤. **تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة**، ويليه: **فائت التسهيل**، صالح البردي، تحقيق: بكر أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٥. **الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد**، ابن المبرد الصالحي الحنبلي، حققه وقدم له وعلق عليه: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٦. **حديث وقع الصَّحيحين عن الإمام أحمد**، ابن المبرد، مخطوط.

٧. **رجال صحيح مسلم**، ابن منجويه، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٨. **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، ابن حميد النجدي، حققه وقدم له وعلق عليه: بكر بن عبد الله أبو زيد، وعبد الرحمن العثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٩. **سنن أبي داود السجستاني**، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل، دار الرسالة العالمية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٠. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ابن العماد الحنبلي، حققه: محمود الأناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١١. **صحيح مسلم المسمَّى: المسند الصَّحيح المختصر من السُّنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تشرف بخدمته والعناية به: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار المنهاج، جدة، دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٣م.

١٢. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٣. **فضائل الصحابة**، أحمد بن حنبل، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٤. **فهرس الفهارس**، الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٥. **الفهرس الوصفي للنُّسخ الخطِّيَّة لمؤلَّفات الإمام العلَّامة المحدِّث يوسف بن حسن بن عبد الهادي الدِّمشقي الصَّالحي الحنبلي المعروف بابن المبرد المحفوظة بدار الكتب المصريَّة**، صالح بن محمد بن عبد الفتاح الأزهري، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

١٦. **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، النجم الغزي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٧. **متعة الأذهان من التمتع بالإقران بين تراجم الشيوخ والأقران**، تأليف: ابن طولون الحنفي وابن المبرد الصالحي الحنبلي، انتقاء: أحمد الحصكفي الحلبي، تحقيق: صلاح الدين خليل الموصلي، دار صادر، بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٨. **مختصر طبقات الحنابلة**، ابن شطي، دراسة: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٩. **مسند أحمد بن حنبل**، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٢٠. **مشيخة الحسيني**، كمال الدين محمد بن حمزة الحسيني الدمشقي، دراسة وتحقيق: شهلاء بنت عبد الله، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

٢١. **معجم الشيوخ**، ابن فهد الهاشمي المكي، تحقيق وتقديم: محمد الزاهي، راجعه وقابله على أصله: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى.

٢٢. **معجم مؤلفات يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي المخطوطة بمكتبات العالم**، د. ناصر بنسعود بن عبد الله السلامة، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٣. **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٢٤. **معجم مصنفات الحنابلة**، أ.د عبد الله بن محمد الطريقي، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٥. **النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل**، محمد الغزي، تحقيق وجمع: محمد الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٢٦. **النهاية في اتصال الرواية**، ابن المبرد، عناية: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.

تقييد على قول أبي الضّياء خليل "وخصّصت نيّة الحالف"

التّسولي محمّد بن عليّ

(ت: ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٩م)

تقييد على قول أبي الضياء خليل "وخصّصت نيّة الحالف" التّسولي محمّد بن عليّ (ت: ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٩م)

دراسة وتحقيق

الدّكتور عبد القادر باجي

الجزائر

مقدّمة

كثير هي المؤلّفات المالكيّة المغمورة والنّادرة التي لم يتحقّق لها النّور بعد، وكذلك الشّروح والتّعاليق والحواشي التي وُضعت على مختصر الشّيخ خليل، بل تبارى الشّرّاح في شرح أجزاء وفقرات وجمل من ذلك المختصر الجليل، الذي وضع الله تعالى عليه القَبول في الأرض.

وهذا التّأليف الذي اخترته هو واحد من اللّبنات التي تضاف لصرح الفقه المالكي، وهو الموسوم بـ: (تقييد على قول أبي الضّياء خليل: "وخصّصت نيّة الحالف") للشّيخ التّسولي. حيث قام بالشّرح والتّعليق على قول الإمام خليل[1] في مختصره الفقهي، في باب الأيْمان: "وخصّصت نيّة الحالف". حيث أنّ الشّيخ خليل لَمّا فرغ في مختصره من الكلام على حدّ اليمين، وصيغتها، واليمين الموجبة للكفّارة، وتكريرها واتّحادها، أتبعه بالكلام على مقتضيات البِرّ والحنِث، فذكر من ذلك خمسة أمور: الأوّل: النّيّة، الثّاني: البساط، الثّالث: العرف القولي، الرّابع: المقصد اللّغوي، الخامس: المقصد الشّرعي. وبدأ بالكلام على النّيّة، فقال: "وخصّصت نيّة الحالف" الخ، يعني أنّ النّيّة تخصّص العامّ وتقيّد المطلق إذا صلُح اللّفظ لها[2]. وهذا ما سعى الشّيخ التّسولي إلى شرحه وتوضيحه هنا.

وقد قسمت العمل إلى قسمين: القسم الأوّل: جعلته للدّراسة، وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: دراسة حياة التّسولي.

المبحث الثّاني: دراسة المخطوط.

القسم الثّاني: قسم التّحقيق. وراعيت فيه الخطوات المتعارف عليها بين المحقّقين.

تقييد على قول أبي الضياء خليل "وخصّصت نيّة الحالف" التسولي محمّد بن عليّ (ت: ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٩م)

---

(١) **خليل** هو: خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب، ضياء الدّين، أبو المودّة، المعروف بالجندي. الإمام، العلاّمة، العالم، العامل، القدوة. حامل لواء المذهب بزمانه بمصر. توفّي سنة: ٧٦٧هـ/١٣٦٦م. من تآليفه: التّوضيح شرح مختصر ابن الحاجب، المختصر الفقهي وغيرها. انظر: نيل الابتهاج، رقم: ١٧٧، ص١٦٨، ١٦٩. شجرة النّور، رقم: ٧٩٤، ٢٢٣/١. معجم المؤلّفين، رقم: ٥١٢٣، ٦٨٠/١.

(٢) انظر: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، الحطّاب محمد بن محمد (ت٩٥٤هـ)، اعتناء: الشّيخ زكريّا عميرات، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، كتاب الأيْمان، ٤٢٧/٤.

القسم الأوّل: الدّراسة:

المبحث الأوّل: دراسة حياة التّسولي[1]

المطلب الأوّل: اسمه ونسبه، مولده ونشأته، عائلته: [2]

أوّلا: اسمه ونسبه: هو عليّ بن عبد السّلام بن عليّ، أبو الحسن، التّسولي، الورتناجي، السّبراري، من بني مقورة، المالكي، يلقّب "مديدش". واشتُهر بالتّسولي أو الدّسولي، نسبة لأسرة أصلها من قبيلة التّسول، كانت بتطوان وانقرضت. وتقع قبيلة التّسول في تلال مقدّمة الرّيف شمال غرب مدينة تازا بالمغرب، وتُعدّ قبيلة التّسول من أصغر القبائل مساحة بممرّ تازا [3].

ثانيا: مولده ونشأته: لم تُشر كتب التّراجم إلى تاريخ مولده، أمّا عن مكان مولده فهو تسوليّ الأصل والمولد. نشأ بفاس، وولي القضاء بها، ثمّ بتطوان وغيرها.

حيث ولي قضاء الجامعة بفاس في شعبان من عام ١٢٤٧هـ/١٨٣١م، أيّام السّلطان المولى عبد الرّحمن بن هشام العلوي، فأحسن السّيرة، وشكرت النّاس أفعاله، ثمّ أعفي منه عام ١٢٥٠هـ، ثمّ ولي قضاء تطوان مرّة أخرى في بداية سنة: ١٢٥١هـ، ثمّ أقبل منه ورجع إلى فاس[4].

وذكر الرّهوني سبب عزله للمرّة الثّانية عن القضاء بتطوان، فقال: "حدّثني والدي رحمه الله أنّ الفقيه التّسولي قبِل قضاء تطوان رغبة منه في الخلوة والهدوء، حتّى يفرغ للتّأليف لقلّة الأشغال القضائيّة بها. وحدّثني أنّ سبب عزله عن قضاء تطوان هو أنّ بعض الدّبّاغين جاءوه ليشهدوا في بعض

(١) انظر مصادر ومراجع ترجمته في: إتحاف أعلام النّاس، ٢٠٦/٤، ٥٨١. ٣٩/٥، ٥١٤. إتحاف المطالع، ١٧٢/١. الاستقصا، ٤٧/٩. الأعلام للزّركلي، ٢٩٩/٤. جامع الشّروح والحواشي، ٥٥٧/١. زهر الآس في بيوتات أهل فاس، ٢٤٤/١. سلوة الأنفاس، رقم التّرجمة: ٢١١، ٢٦٦/١. شجرة النّور الزّكيّة، رقم: ١٥٨٦، ٣٩٧/١. الشّرب المحتضر، رقم: ٤٩، ص٦٣، ٦٤. عمدة الرّاوين في تاريخ تِطّاوين، ٥/٦، ٦. الفكر السّامي، رقم التّرجمة: ٧٩٢، ٣٥٦/٢. فهرست الكتب العربيّة المحفوظة بالكتبخانة الخديويّة المصريّة، ١٥٥/٣، ١٦٧. فهرس الكتب الموجودة بدار الكتب المصريّة لغاية سنة: ١٩٢١، ٤٧٦/١. فهرس المخطوطات العربيّة المحفوظة في الخزانة العامّة بالرّبط، القسم الثّاني (١٩٢١-١٩٥٣)، ٢٧٣/١، ٢٧٤. فهرس المخطوطات العربيّة المحفوظة في الخزانة العامّة للكتب والوثائق بالمغرب، قسم ٣ (١٩٥٤-١٩٥٧)، ٢٠٤/١، ٢٠٥، قسم٣، ج١. فهرس المكتبة الأزهريّة، ٣١٢/٢. الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة المسجد الأعظم بوزّان، ص٤٣٧، ٤٤٩. كشّاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنيّة، ص٥٨. المطبوعات الحجريّة في المغرب "فهرس مع مقدّمة تاريخيّة"، فوزي عبد الرّزّاق، دار نشر المعرفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرّباط، ص١٤١. معجم المطبوعات المغربيّة، رقم التّرجمة: ١٤١، ص٥٦، ٥٧. معلمة الفقه المالكي، ص١٤٦، ١٤٧. معلمة المغرب، ٢٣٧١/٧. موسوعة أعلام المغرب، ٢٥٦٤/٧، ٢٥٦٥. هديّة العارفين، ٧٧٥/١.

(٢) انظر: إتحاف المطالع، ١٧٢/١. موسوعة أعلام المغرب، ٢٥٦٤/٧. زهر الآس، ٢٤٤/١. شجرة النّور، ٣٩٧/١. الفكر السّامي، ٣٥٦/٢. عمدة الرّاوين، ٥/٦. الشّرب المحتضر، ص٦٣. الاستقصا، ٤٧/٩. وغيرها.

(٣) انظر: معلمة المغرب، جماعة من الباحثين، دار الأمان، الرّباط، المغرب، ط٢، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ٢٣٧١/٧، ٢٣٧٣.

(٤) انظر: عمدة الرّاوين، ٦/٦. سلوة الأنفاس، ٢٦٦/١. زهر الآس، ٢٤٤/١. الزّركلي، ٢٩٩/٤. معلمة المغرب، ٢٣٧٣/٧. إتحاف المطالع، ١٧٢/١. إتحاف أعلام النّاس، ٣٩/٥. موسوعة أعلام المغرب، ٢٥٦٤/٧. معجم المطبوعات المغربيّة، ص٥٧.

القضايا فردّ شهادتهم، لكونهم كانوا يسيرون وأفخاذهم عارية، وهذا عنده إخلال بالمروءة وجَرحة، على ما تقرّر في الفقه المالكي. فاعْصوْصَبُوا عليه، وقصدوا الشّيخ سيدي عليّ ابن ريسون، فكتب في شأنهم إلى السّلطان، فأعفاه من قضاء تطوان، تسكينا لأهلها، وقبولا لشفاعة ابن ريسون، وربما تضافرت عوامل متعدّدة في عزله.."[1].

ثالثا: عائلته: خلّف الشّيخ التّسولي أسرة تتكوّن من أربعة ذكور، وهم أنجاله البررة: الفقيه العدل أحمد وخليل، وإدريس، والهادي. وهم في السّنّ على هذا التّرتيب. فأحمد توفّي عن ولده السّيّد فضول، وتوفّي هذا عن غير عقب. وخليل توفّي عن ولده سيدي محمد، وتوفّي هذا عن أولاده منهم سمِيّه سيدي محمد. وتوفّي الهادي عن غير عقب[2].

المطلب الثّاني: شيوخه، وتلاميذه:

أوّلا: شيوخه: لم تُشِر كتب التّراجم إلى شيوخه سوى شيخين؛ هما: الشّيخ حمدون بن الحاج، ومحمد بن إبراهيم الدّكّالي. وهذه ترجمتهما:

١ ـ **حمدون بن الحاج**[3]: وهو حمدون بن عبد الرّحمن بن حمدون، أبو الفيض، الشّهير بابن الحاج. الفقيه، العلاّمة، المحقّق. أخذ عن الطّيّب بن كيران والتّاودي وغيرهما. وعنه أخذ ابنه محمد الطّالب والشّيخ الكوهن وغيرهما. من تآليفه: نظم الحكم العطائيّة، ونظم مقدّمة ابن حجر وغيرها. ولد سنة: ١١٧٤هـ، وتوفّي سنة: ١٢٣٢هـ[4].

٢ ـ **محمّد بن إبراهيم أبو عبد الله الدّكّالي المشترائي**[5]: والدّكالي "أو الدّوكالي" هو أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن إبراهيم الدوّكالي الفاسي: قاضيها ومفتيها العالم العلامة العمدة الفهّامة المحقق الفاضل إليه المرجع في الأحكام والنوازل بيته بفاس بيت علم وصلاح. أخذ عن والده وعن الشّيخ الطّيب بن كيران والشّيخ التّاودي وجماعة وعنه الشيخ التّسولي لازمه وانتفع به. له فتاوى مشهورة جمعها تلميذه المذكور. ولد سنة: ١١٦٢هـ، وتوفي سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٥م[6]. وقد أخذ التّسولي عنه كثيرا، وهو عمدته. ونظرا لمزيد محبّة التّسولي لهذا الشّيخ فقد جمع له فتاويه في خمسة أسفار، جمعها مجرّدا عن التّصويب والتّرجيح خوف الضّياع لا غير، مع ما ضمّ لذلك من فتاويه.

ثانيا: تلاميذه: من التّلاميذ الذين أخذوا عنه:

١ ـ **عبد الله الخيّاط:** وهو عبد الله بن محمد سميّه بن الخيّاط بن محمد فتحا الزّرهوني الوربي

(١) انظر: عمدة الرّاوين، ٦/٦.
(٢) انظر: زهر الآس، ٢٤٤/١.
(٣) انظر ورود ذكره من شيوخ التّسولي في: زهر الآس، ٢٤٤/١. شجرة النّور، ٣٩٧/١. عمدة الرّاوين، ٦/٦.
(٤) انظر ترجمته في: شجرة النّور، رقم: ١٥١٦، ٣٧٩/١، ٣٨٠. موسوعة أعلام المغرب، ٢٤٩٩/٧، ٢٥٠٠.
(٥) انظر ورود ذكره من شيوخ التّسولي في: زهر الآس، ٢٤٤/١. عمدة الرّاوين، ٦/٦. سلوة الأنفاس، ٢٦٦/١.
(٦) انظر ترجمته في: الفكر السّامي، رقم: ٧٦٥، ٣٤٤/٢. شجرة النّور، رقم: ١٥٢٦، ٣٨١/١.

تقييد على قول أبي الضياء خليل "وخصصت نيّة الحالف" التّسولي محمّد بن عليّ (ت: ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٩م)

القليعي منشــأ.

عُرف بالخيّاط. أخذ عن الشّيخ بدر الدّين الحمومي وأبي الحسن عليّ التّسولي وغيرهما، وأخذ عنه الشّريف سيدي الفضل الشّبيهي، والشّريف مولاي الحسن بن الشّريف العلوي في جماعة من الأعلام. توفّي بالوباء بمدشر موساوة أحد مداشر زرهون، عام ١٢٩٥هـ[١].

٢ - **العربي بن إدريس**[٢]: هو العربي بن إدريس الشّريف العلمي اللّحياني المعروف بالموساوي، دفين مدشر موساوة، أحد مداشر جبل زرهون. فقيه محدّث، مفسّر أصولي. أخذ عن الشّيخ بدر الدّين الحمومي وعليّ التّسولي. وأخذ عنه: أبو محمد الكامل الأمراني ومحمد بن الطّاهر الفاسي وغيرهما. توفّي سنة: ١٣٢٠هـ. من مؤلّفاته: رسالة التّرغيب والتّرهيب في التّصوّف، ونصائح سنيّة وغيرها[٣].

٣ - **عليّ الرّجراجي:** هو عليّ بن أحمد بن عبد الصّادق الرّجراجي أصلا الصّويري قرارا. عالمها وقاضيها ومسندها وبركتها. أخذ بفاس عن أبي الحسن التّسولي وأبي حامد العربي الزّرهوني والحاج الدّاودي التّلمساني وغيرهم. توفّي سنة: ١٣٠٨هـ[٤].

المطلب الثّالث: وفاته، وأقوال العلماء فيه:

أوّلا: وفاته: لم يختلف المترجمون له في تاريخ وفاته، حيث ذكروا أنّه بعد أن عُزل من قضاء تطوان بقي على حالته المرضيّة إلى أن توفيّ بفاس صبيحة يوم السّبت ١٥ شوّال ١٢٥٨هـ، الموافق لـ ١٩ نوفمبر ١٨٤٩م، وصُليّ عليه العصر بجامع القرويّين، ودُفن بزاوية مولاي أحمد بن عليّ التّهامي الوزّاني بالشّرشور بفاس، المقابلة لداخل درب سيدي محمد بن التّهام، بين السّاريتين اللّتيْن وراء ظهر أحمد بن علي وولده[٥].

ثانيا: أقوال العلماء فيه: حلاّه المترجمون والعلماء بحُلا تليق بمقامه العلمي؛ ومن ذلك:

قال عبد الكبير الكتّاني والرّهوني والقيطوني وغيرهم: "الشّيخ الفقيه، العالم العلاّمة النّزيه، حامل راية المذهب المالكي في المغرب، والممدّ بالمواهب الرّبّانيّة والسّرّ المطرب، النّوازلي المحرّر الموثّق، القاضي الأعدل، المسنّ البركة الأجمل.. كان رحمه الله فقيها مشاركا مطّلعا محرّرا، له اليد الطّولى في علم النّوازل والأحكام، وكان موصوفا بالدّين والزّهد والورع واليقين.. .. ألّف تآليف تدلّ على طول باعه وسَعة اطّلاعه"[٦].

وقال محمد مخلوف: "الفقيه النّوازلي، الحامل لواء المذهب، المطّلع على أسراره، المحقّق،

(١) انظر ترجمته في: إتحاف أعلام النّاس، رقم: ٤٠٦، ٢٨٠/٤، ٢٨١.
(٢) انظر ورود ذكره من تلاميذ التّسولي في: معلمة المغرب، ٢٣٧٤/٧.
(٣) انظر ترجمته: إتحاف أعلام النّاس، رقم التّرجمة: ٤٩٠، ٥١٣/٥ فما بعدها. موسوعة أعلام المغرب، ٢٨٣٠/٨.
(٤) انظر ترجمته في: موسوعة أعلام المغرب، ٢٧٨٥/٨. فهرس الفهارس، رقم: ٤٣٦، ٧٨٥/٢.
(٥) انظر: زهر الآس، ٢٤٤/١. إتحاف المطالع، ١٧٢/١. عمدة الرّاوين، ٦/٦. سلوة الأنفاس، ٢٦٦/١.
(٦) انظر: زهر الآس، ٢٤٤/١. عمدة الرّاوين، ٥/٦، ٦. سلوة الأنفاس، ٢٦٦/١. الشّرب المحتضر، ص٦٣، ٦٤.

العلاّمة، المتقن، مع صلاح ودين متين، وزهد وورع ويقين... له تآليف شاهدة بطول الباع وسعة الاطّلاع"[1].

المطلب الرّابع: مؤلّفاته:

ترك مصنّفات مختلفة، منها التّآليف، الشّروح، التّعاليق. وأذكر هنا ما وقفت عليه من تلك المصنّفات:

١ ـ **أجوبة التّسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد:** وقد ذكر هذا التّأليف غير واحد[2]. ففي سنة: ١٢٥٢هـ بعث الأمير الحاج عبد القادر بن محيي الدّين سؤالا لعلماء فاس في شأن الخطْب الذي حلّ بالقطر الجزائري، وأجابه عنه برسالة في عدّة كراريس، وهذا الخطْب تسبّب عنه استيلاء فرنسا على الجزائر سنة: ١٢٤٦هـ وعلى بقيّة القطر شيئا فشيئا[3]. وقد أجاب عن هذا السّؤال بإشارة السّلطان الفقيه العلاّمة أبو الحسن علي بن عبد السّلام مديدش التّسولي بجواب طويل. وفرغ من تأليفه في ١٠ ربيع النّبوي عام ١٢٥٣هـ. وللكتاب طبعات، منها طبعة على الحجر بفاس، غفلا عن اسم المطبعة وتاريخ الطّبع، ٨٣ صفحة[4].

٢ ـ **البهجة في شرح تحفة الحكّام لابن عاصم:** وهو شرح على الأرجوزة المسمّاة بتحفة الحكّام للقاضي أبي بكر محمد بن محمد بن عاصم الأندلسي الغرناطي، المولود عام ٧٦٠هـ، والمتوفّى عام: ٨٢٩هـ. فرغ التّسولي من تأليفه يوم الثّلاثاء ١٣ شوّال سنة: ١٢٥٦هـ. وهو كتاب مطبوع متداول، كما له نسخا حجريّة ومخطوطة[5].

٣ ـ **تقييد على قول المختصر "وخصّصت نيّة الحلف"**. وهو المراد بالدّراسة والتّحقيق.

٤ ـ **الجواهر النّفسية فيما يتكرّر من الحوادث الغريبة**. ذكره محقّق كتاب "أجوبة التّسولي على

تقييد على قول أبي الضياء خليل "وخصّصت نيّة الحالف" التّسولي محمّد بن عليّ (ت: ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٩م)

---

(١) انظر: شجرة النّور، ٣٩٧/١.

(٢) انظر: أجولة التّسولي، ص٥٢. الأعلام للزّركلي، ٢٩٩/٤. المطبوعات الحجريّة في المغرب، ص١٤١. معجم المطبوعات المغربيّة، ص٥٧. فهرس المخطوطات العربيّة المحفوظة في الخزانة العامّة بالرّبط، القسم الثّاني (١٩٢١-١٩٥٣)، ٢٧٣/١، ٢٧٤. حيث ذكر له ثلاث نسخ مخطوطة. وذُكر باسم: "جواب عن مسائل دينيّة سياسيّة. وهو نفسه أجوبة التّسولي على مسائل الأمير عبد القادر. ووافق الفراغ من تأليفه عاشر ربيع النّبوي ١٢٥٣هـ. انظر: الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، مؤسّسة آل البيت للفكر الإسلامي، عمان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. فهرس الخزانة العلميّة الصّبيحيّة بسلا، ص٥٩٣. رقم المخطوط: ١/٢٩٠، الرّقم التّرتيبي: ١٢٨٢.

(٣) انظر: شجرة النّور، ٣٩٧/١.

(٤) انظر: معجم المطبوعات المغربيّة، ص٥٧. الاستقصا، ٤٦/٩. فهرس المخطوطات العربيّة المحفوظة في الخزانة العامّة بالرّبط، ٢٧٣/١.

(٥) انظر: فهرس المخطوطات بدار الكتب الوطنيّة، سوق العطّارين، تونس، د.ت، ٥٥/١. فهرست الكتب العربيّة المحفوظة بالكتبخانة الخديويّة المصريّة، ١٥٥/٣، ١٦٧. كشّاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنيّة، إنجاز: عمر عمّور، منشورات الخزانة الحسنيّة، المغرب، دون تاريخ، ص٥٨. فهرس الكتب العربيّة الموجودة بدار الكتب المصريّة لغاية سنة: ١٩٢١، ٤٧٦/١.

أسئلة الأمير عبد القادر"، ولم أقف على من ذكره غيره[1].

٥ ـ **حاشية على شرح التّاودي للاميّة الزّقّاق**[2]: وهي حاشية على شرح الشّيخ التّاودي بن سودة على لامية الزّقّاق في الفقه المالكي، فرغ منها آخر ربيع الأوّل سنة: ١٢٥٠هـ، وبهامشها الشّرح المذكور. طُبعت على الحجر بفاس سنة: ١٣٠٠هـ، ٢١٧ صفحة. وعلى الحجر بفاس أيضا، مطبعة العربي الأزرق، ١٣١٤هـ، ٢٢١ صفحة. وبدون تاريخ في ٢١٩ صفحة[3].

٦ ـ **شرح الشّامل لبهرام**[4]. وهو شرح في عدّة مجلّدات، ويُعرف أيضا بتكملة شرح الشّامل[5]؛ حيث أكمل به التّسولي شرح اليازغي على الشّامل؛ فقال ابن سودة في إثبات هذا عند ترجمة ابن هنّو اليازغي محمد بن مَحمّد (ت١٢٣١هـ): "شرح كتاب الشّامل للشّيخ بهرام، فشرع فيه إلى باب المرابحة فاخترمته المنيّة... وقد ذكر وفاته في تكملة شرح الشّامل الشّيخ علي بن عبد السّلام التّسولي"[6].

ووهِم ابن زيدان فجعل الشّارح الأوّل للشّامل هو التّسولي، ثمّ جاء ابن هنّو وكمّل شرح التّسولي، وهذا خطأ. حيث قال ابن زيدان عند ترجمة ابن هنّو اليازغي محمد بن عبد الرّحمن: "له شرح على شامل بهرام في عدّة أسفار ضخام، تمّم به شرح العلاّمة التسولي بأمر السّلطان الأعدل مولانا سليمان رحم الله الجميع"[7].

(١) انظر: أجوبة التّسولي، قسم الدّراسة، ص٥٤.

(٢) انظر: هديّة العارفين، ٧٧٥/١. جامع الشّروح والحواشي، ١٥٠٣/٣. فهرس المخطوطات العربيّة المحفوظة في الخزانة العامّة بالرّبط، القسم الثّاني (١٩٢١-١٩٥٣)، ٢٧٥/١. فهرس المخطوطات العربيّة المحفوظة في الخزانة العامّة للكتب والوثائق بالمغرب، قسم ٣ (١٩٥٤-١٩٥٧)، ٢٠٤/١، ٢٠٥. الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة المسجد الأعظم بوزّان، ٤٤٠/١. فهرس المخطوطات بمركز دراسة جهاد اللّيبيّين ضدّ الغزو الإيطالي، إعداد: إبراهيم سالم الشّريف، دار الكتب، طرابلس، ليبيا، ط١، ١٩٨٩م، ٩٧/١. الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، مؤسّسة آل البيت للفكر الإسلامي، عمان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٤٩٤/٣.

(٣) انظر: معجم المطبوعات المغربيّة، ص٥٧.

(٤) انظر ورود ذكر هذا التّأليف في: أجوبة التّسولي، ص٥٩. الزّركلي، ٢٩٩/٤. معجم المؤلّفين، ٤٥٨/٢. هديّة العارفين، ٧٧٥/١. معجم المطبوعات المغربيّة، ص٥٧. شجرة النّور، ٣٩٧/١. زهر الآس، ٢٤٤/١. موسوعة أعلام المغرب، ٢٥٦٤/٧. الاستقصا، ٤٧/٩. الفكر السّامي، ٣٥٦/٢. عمدة الرّاوين، ٦/٦. سلوة الأنفاس، ٢٦٦/١. الشّرب المحتضر، ص٦٤. الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، مؤسّسة آل البيت للفكر الإسلامي، عمان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠١م، ٢٠٦/٥.

(٥) انظر: الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، ٧٤٢/٢. ذكر لها ٤ أجزاء بخزانة القرويّين بفاس.

(٦) انظر: إتحاف المطالع، ١١٨/١.

(٧) انظر: إتحاف أعلام النّاس، ٢٠٦/٤.

٧ ـ **شرح مختصر الشّيخ بهرام**. وقد ذكره الزّركلي بعد ذكر "شرح الشّامل السّابق". وهذا الشّرح الأخير لم يذكره أحد ممّن ترجم له[١]. ولعلّه نفسه تكملة شرح الشّامل للشّيخ بهرام.

٨ ـ **فتاوى المشترائي**، حيث جمع التّسولي فتاوي شيخه أبي عبد الله محمد الدّوكالي المشترائي في خمسة أسفار، جمعها مجرّدا عن التّصويب والتّرجيح خوف الضّياع، وضمّ لذلك مِن فتاويه، فجاء في مجلّدات[٢].

٩ ـ **فتاوى وتقاييد**. ذكرها الحجوي والزّركلي. قال الزّركلي: "وفاتوى في سفرين"[٣]. ويُحتمل أن يكون هو كتاب النّوازل، أو فتاوى المشترائي التي جمعها وضمّ معها فتاويه.

١٠ ـ **فتوى في معاقبة العملاء والخونة من المسلمين في الجزائر**، نسخة كتبها: محمد بن الطّاهر الأشعري سنة: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م. موجودة بدار الكتب الوطنيّة بتونس، حسن حسني عبد الوهاب، رقم: ١٨١٢٤ [٤]. وقد يكون هذا التّأليف هو نفسه: "أجوبة التّسولي عن مسائل الأمير في الجهاد".

١١ ـ **فوائد "فقه مالكي"**، مخطوط بجامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، برقم: ٨٤٥. الورقات من (١٢و) إلى (٥٤) [٥].

١٢ ـ **مناسخات التّركة "فرائض"**، نسخة مخطوطة بالخزانة العامّة "الكتّاني" بالرّباطي، برقم: ٣٣١٧[٦].

١٣ ـ **النّوازل:** يقع في سفرين. يوجد جزء واحد منه مخطوط في خزانة الرّباط، برقم: ٨٨٢د، يبتدئ بالاستلحاق إلى الميراث، به ورقات ٣١٤، سطوره ٤٠، مقياسه: ٣٥٥/٢٢٥، خطّ مغربي لا بأس به[٧].

تقييد على قول أبي الضياء خليل "وخصّصت نيّة الحالف" التّسولي محمّد بن عليّ (ت: ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٩م)

(١) انظر: الأعلام للزّركلي، ٢٩٩/٤. أشهر الأحداث العالميّة (١-١٨٩٩م)، د. فؤاد صالح السّيّد، مكتبة حسن العصريّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م،ص٥٣٢.

(٢) انظر: معجم المطبوعات المغربيّة، ص٥٧. شجرة النّور، ٣٨١/١. ٣٩٧/١.

(٣) انظر: الزّركلي، ٢٩٩/٤. الفكر السّامي، ٣٥٦/٢.

(٤) انظر: الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، ٤٠٢/٧. معلمة المغرب، ص١٤٧.

(٥) انظر: الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، ٧٢٩/٧.

(٦) انظر: الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، ٣٦٦/١٠.

(٧) انظر: الزّركلي، ٢٩٩/٤. معجم المطبوعات المغربيّة، ص٥٧. إتحاف المطالع، ١٧٢/١. موسوعة أعلام المغرب، ٢٥٦٤/٧. زهر الآس، ٢٤٤/١. عمدة الرّاوين، ٦/٦. سلوة الأنفاس، ٢٦٦/١. الشّرب المحتضر، ص٦٤. فهرس المخطوطات العربيّة المحفوظة في الخزانة العامّة بالرّبط، القسم الثّاني (١٩٢١-١٩٥٣)، ٢٧٥/١. الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، ٣٠٦/١١. ٧٤٦.

وربما هذه النّوازل هي نفسها المذكورة باسم "فتاوى وتقاييد" سابقا. واسمها: "التّرجمان المعرب عن فتاوى متأخّري علماء المغرب"، توجد منها نسخة بتونس بأجزائها الثّلاثة بأرقام: ٥٣٥٤، ٥٣٥٥، ٥٣٥٦.[١]

١٤ - **وثائق الزّياتي:** جمع وثائق الزّيـــاتي ورتّبها أحسن ترتيب[٢]. وســـمّاها الزّركلي: "وثائق الزّيّات"[٣].

والصّواب: "وثائق الزّيّاتي". وذكر الرّهوني أنّه وجمع وثائق الفشتالي ورتّبها[٤]. والصّواب "وثائق الزّيّاتي".

أقول: ويُحتمل أن يكون هذا التّأليف هو نفسه المعروف بفتاوى وتقاييد، أو نوازل التّسولي؛ ومن ثمّ فهي ثلاثة عناوين لتأليف واحد.

المبحث الثّاني: دراسة المخطوط (تقييد على قول المختصر "وخصّصت نيّة الحلف").

المطلب الأوّل: توثيق نسبة التّأليف للشّيخ التّسولي:

لم يذكر المترجمون للشّيخ هذا التّأليف مِن ضمن كتبه، وقد يكون داخلا تحت فتاويه ونوازله. لكن ورد في الفهرس الشّامل للتّراث الإسلامي نسبة هذا التّاليف للتّسولي، فجاء فيه: "تقييد على قول المختصر: وخصّصت نيّة الحالف، لعليّ بن عبد السّلام التّسولي"[٥].

وجاء في بداية المخطوط ما يجزم أنّ هذا التّأليف للشّيخ التّسولي؛ حيث جاء فيه: ".. وبعد: فيقول أفقر العبيد إلى مولاه، الغنيّ به عمّن سواه، المتوكّل عليه في سرّه ونجواه: عليّ التّسولي لطف الله به"[٦].

المطلب الثّاني: توثيق عنوان المخطوط:

ورد عنوان هذا المخطوط في الفهرس الشّامل للتّراث الإسلامي المخطوط عنوان: "تقييد على قول المختصر "وخصّصت نيّة الحلف".[٧] وكأنّه أخذه من مقدّمة المخطوط، حيث قال التّسولي: "هذا تقييد

(١) انظر: فهرس المخطوطات بدار الكتب الوطنيّة، سوق العطّارين، تونس، نوفمبر، ١٩٨١، ٨٠/٦. الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، الرّقم التّرتيبي لهذا المخطوط بنسخة: ٦٤٩، ٥٤٠/٢، ٥٤١.

(٢) انظر: إتحاف المطالع، ١٧٢/١. موسوعة أعلام المغرب، ٢٥٦٤/٧. زهر الآس، ٢٤٤/١. سلوة الأنفاس، ٢٦٦/١.

(٣) انظر: الأعلام للزّركلي، ٢٩٩/٤.

(٤) انظر: عمدة الرّاوين، ٦/٦.

(٥) انظر: الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، ٧٢٦/٢.

(٦) انظر: تقييد على قول أبي الضّياء خليل "وخصّصت نيّة .."، النّسخة [أ]، اللّوحة ١. والنّسخة [ب]: اللّوحة (١و).

(٧) انظر: الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، ٧٢٦/٢.

على قول أبي الضّياء خليل: وخصّصت نيّة الحالف"[1]. فلم يضع التّسولي عنوانا خاصّا به، سوى ما ذكره في هذه المقدّمة، وكأنّه يلمّح بهذا. وعليه فاسم هذا التّأليف: **"تقييد على قول أبي الضّياء خليل: وخصّصت نيّة الحالف"**.

المطلب الثّالث: سبب تأليف هذا التّقييد:

يمكن ذكر سبب وضع هذا التّقييد كما ورد في مقدّمته من ناحيتين:

- أنّه أراد أن يوضّح هذا القول، ويضرب الأمثلة لذلك. قال: "يشتمل على إيضاح كلّ صورة بالمثال".

- أنّه ألحّ عليه من لا تسعه مخالفته في وضع تقييد على قول خليل؛ فقام بذلك. قال: "ألحّ فيه على من لا تسعُني مخالفتُه"[2].

- وفي نهايته أشار إلى أنّه وسّع الكلام في هذه المسألة وأطنب تقريبا على المبتدئين[3].

المطلب الرّابع: أهمّيّة المخطوط وقيمته العلميّة:

١- أهمّيّة تعليق التّسولي على قول خليل: "وخصّصت نيّة الحالف":

يعتبر هذا التّعليق لَبِنة تضاف إلى التّعاليق التي سبقت الشّيخ التّسولي على قول الشّيخ خليل: "وخصّصت نيّة الحالف". وحسب ما وقفت عليه فإنّ التّسولي يأتي في المرتبة الثّامنة بعد شروح وتعاليق سبقته. ومن جهة أخرى فإنّ هذا التّعليق هو تأليف يضاف إلى قائمة مؤلّفات الشّيخ التّسولي.

٢- التّأليف في قول الشّيخ خليل: "وخصّصت نيّة الحالف":

وقفت على بعض الشّروح والتّعاليق على قول الشّيخ خليل: "وخصّصت نيّة الحالف"، ورتّبتها هنا بحسب تاريخ وفاة مؤلّفيها، السّابق فاللاّحق. وهذا ما وقفت عليه: تعليق الوزّان (ت٩٦٠هـ)- الحميدي (ت١٠٠٣هـ) – التّنبكتي (ت١٠٣٦هـ) - الفاسي (ت١٠٥٢هـ) - اليوسي (ت١١٠٢هـ) - المسناوي (ت١١٣٦هـ) - اللّمطي (ت١١٥٦هـ) - التّسولي (ت١٢٥٨هـ). وتفصيل ذلك كما يلي:

أ – **تعليق على قول خليل:** "وخصّصت نيّة الحالف"، للشّيخ الـوزّان[4]. توجد منه نسختان ببرنستون، أمريكا. النّسخة الأولى برقم: ٣٤، تاريخ النّسخ: ١٢٩١هـ-١٣٠٧هـ/١٨٧٥م-١٨٩٠م،

(١) انظر: تقييد على قول خليل "وخصّصت نيّة الحالف"، التّسولي، مخطوط [أ]، اللّوحة ١.
(٢) انظر: تقييد على قول خليل "وخصّصت نيّة الحالف"، التّسولي، مخطوط [أ]، اللّوحة ١.
(٣) انظر: تقييد على قول خليل "وخصّصت نيّة الحالف"، التّسولي، مخطوط [أ]، اللّوحة ١٢و.
(٤) الوزّان هو: عمر بن محمد الكمّاد، أبو حفص، القسنطيني، عرف بالوزّان. الفقيه، العالم، الكبير، المتقن. من تآليفه: حاشية على صغرى السّنوسي، والبضاعة المزجاة. توفّي في حدود سنة: ٩٥٠هـ، وقيل سنة: ٩٦٠هـ/١٥٥٣م، وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في: شجرة النّور، رقم: ١٠٧١، ٢٨٣/١. معجم أعلام الجزائر، ص٣٤٢. موسوعة أعلام المغرب، ٨٧١/٢.

مجاميع[1]. والنّسخة الثّانية برقم: ١٣٧٢، رقم الحفظ: ١٧٨، عدد الأوراق: ٣، مجموعة يهوذا.[2]

ج – تعليق الشّيخ الحميدي[3]. وذُكر في أحد الفهارس هذا التّأليف بعنوان: "شرح كلمات مختصر خليل". توجد نسخة منه بمتحف الجزائر، تشتمل على ورقتين (١٥١-١٥٢) [4].

د – شرح الشّيخ التّنبكتي[5]. وسمّى ذلك التّأليف: "تنبيه الواقف على تحرير: وخصّصت نيّة الحالف"[6].

هـ – تعليق على قول خليل "وخصّصت نيّة الحالف". محمد العربي بن يوسف الفاسي[7]. توجد منه نسخة

بالخزانة العلميّة الصّبيحيّة بسلا، وسمّى محمد العربي الفاسي هذا التّعليق: "إرشاد التّالف إلى نيّة الحالف"[8].

(١) انظر: فهرس برنستون، المستدرك، ١٩/١١.

(٢) انظر: انظر: فهرس برنستون، ١٩١/٤. وانظر الإشارة إلى هذا التّأليف في: شجرة النّور، ٢٨٣/١.

(٣) الحميدي هو: عبد الواحد بن أحمد، أبو محمد، الحميدي. الفقيه، العلاّمة، القاضي، الخطيب. إمام كبير، وعالم شهير، حامل لواء المذهب المالكي في زمنه، وإليه كان المرجع في المسائل الفقهيّة في المغرب مع المشاركة في كثير من الفنون. لازم الشّيخين الجليلين أحمد بن يحيى الونشريسي وقاسم التّجيبي الزّقّاق، وذكر المنجور أنّه تذاكر معه كثيرا. ولد سنة: ٩٣٠هـ، وتوفّي سنة: ١٠٠٣هـ. انظر ترجمته في: شجرة النّور، رقم: ١١٢٧، ٢٩٤/١. موسوعة أعلام المغرب، ١٠٧١/٣، ١٠٧٢.

(٤) انظر: الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، الرّقم التّرتيبي: ٨٨٤، ٣٤٨/٥.

(٥) التّنبكتي هو: أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر أقّيت، أبو العبّاس، التّنبكتي، الصّنهاجي. الفقيه، العلاّمة، المحقّق الفهّامة، المؤرّخ، التّقيّ الفاضل. بيته شهير بالجاه والعلم والصّلاح والدّين المتين. له ما يزيد عن الأربعين تأليفا؛ منها: شرح على مختصر خليل، وشرح صغرى السّنوسي وغيرها. ولد سنة: ٩٦٣هـ، وتوفّي سنة: ١٠٣٢هـ/١٦٢٣م. وقيل سنة: ١٠٣٦هـ. انظر ترجمته في: شجرة النّور، رقم: ١١٥٧، ٢٩٨/١، ٢٩٩. موسوعة أعلام المغرب، ١٢٧٧/٣، ١٢٨١.

(٦) انظر: شجرة النّور، ٢٩٨/١. الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، الرّقم التّرتيبي: ١٦٠١، ٨١٩/٢. وذكر له المفهرس ٤ نسخ، نسختان بالخزانة العلميّة الصّبيحيّة بسلا، ونسخة بخزانة تمكروت، ونسخة بمركز أحمد بابا، تنبكتو. فهرس الخزانة العلميّة الصّبيحيّة بسلا، ص١٣٣، ١٣٤. نسختان مخطوطتان أرقامهما التّرتيبيّة: ٢٥٢، ٢٥٣.

(٧) الفاسي هو: محمد العربي بن يوسف بن محمد، أبو عبد الله وأبو حامد، الفاسي، الفهري. الشّيخ الإمام، شيخ الإسلام، وقدوة الأنام، الأوحد الهمام. برع في فنون مختلفة من العلوم. أخذ عن أبي الطّيّب الزّياتي وعن والده أبي المحاسن. ولد سنة: ٩٨٨هـ، وتوفّي سنة: ١٠٥٢هـ. من آثاره: منظومتان في ألقاب الحديث، وشرح دلائل الخيرات وغيرها. انظر ترجمته في: شجرة النّور، رقم: ١١٦٨، ٣٠٢/١. موسوعة أعلام المغرب، ١٤٠٥/٤.

(٨) انظر: فهرس الخزانة العلميّة الصّبيحيّة بسلا، ص١٠٨، ١٢٦. الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، الرّقم التّرتيبي: ٩٤٢، ٦١٤/٢.

ب – رسالة للشّيخ اليوسي[1]. قال مخلوف: من تآليفه رسالة على قول خليل في مختصره: وخصّصت نيّة الحالف[2]. وتوجد منه نسخة بالخزانة العامّة بالرّباط، برقم [٣٢٦٧ (٢٢٢٣د/٩)][3].

و – تعليق على قول خليل "وخصّصت نيّة الحالف"، محمد المسناوي الدّلائي [4]. يوجد في الخزانة الصّبيحيّة بسلا نسخة مخطوطة في ٣ لوحات، النّاسخ: أحمد بن حمد الشّرادي، رقم: ٢٢/٨٧.[5]

ز – تعليق على قول خليل "وخصّصت نيّة الحالف"، الشّيخ اللّمطي[6]. توجد نسخة منه بالخزانة الصّبيحيّة بسلا، ٢ لوحات، ٤ صفحات، ٢٢ سطر، النّاسخ: أحمد بن حمد الشّرادي، رقم: ٢٤/٨٧.[7]

المطلب الخامس: محتوى المخطوط:

احتوى المخطوط إجمالا على شرح قول خليل رحمه الله: "وخصّصت نيّة الحالف".

وعلى جهة التّفصيل فقد وضعت عناوين تمثّل محتوى هذا التّقييد، وذلك فيما يأتي:

- اللّفظ العامّ يستغرق الصّالح له من غير حصر.
- أسماء الله تعالى وأسماء العدد لا تقبل التّخصيص ولا التّقييد لأنّها نصّ في مدلولها.
- التّخصيص هو قصر العامّ على بعض أفراده.
- تُقبل نيّة الحالف مطلقا في تقييد المطلق إذا كان لفظ الحالف يحتمل ما نواه وغيرُه على السّواء.

(١) اليوسي هو: الحسن بن مسعود، أبو علي، نور الدّين، اليوسي. شيخ مشايخ المغرب على الإطلاق في وقته. الإمام المتضلّع في العلوم، الحامل لواء المنثور والمنظوم. له تآليف حسان وأدعية ورسائل وقصائد، ومن تلك التّآليف: حاشية على مختصر السّنوسي في المنطق، وشرف العامّ والخاصّ في شرح كلمة الإخلاص وغيرها. ولد سنة: ١٠٤٠هـ، وتوفّي سنة: ١١٠٢هـ. وفي شجرة النّور: توفّي سنة: ١١١١هـ ـ انظر ترجمته في: نشر المثاني، ٢٥/٣، ٤٩. شجرة النّور، رقم: ١٢٨٤، ٣٢٨/١، ٣٢٩. موسوعة أعلام المغرب، ١٨٠١/٥ فما بعدها.

(٢) انظر: شجرة النّور، ٣٢٩/١.

(٣) انظر: فهرس المخطوطات العربيّة المحفوظة في الخزانة العامّة للكتب والوثائق بالمغرب، مطبعة التّومي، الرّباط، ١٩٧٣م، ١٧١/١/٣. انظر: الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، الرّقم التّرتيبي: ١٣٥٠، ٧٢٦/٢.

(٤) المسناوي هو: محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر، أبو عبد الله، المسناوي، الدّلائي. كان آية في العلوم، مقصودا في المشكلات، معتمَدا في النّوازل والمعضلات. ولد سنة: ١٠٧٢هـ، وتوفّي سنة: ١١٣٦هـ/١٧٢٤م. من آثاره: أجوبة كثيرة وتقاييد مفيدة في أنواع مختلفة من العلوم، وتقارير على مختصر خليل. انظر ترجمته في: شجرة النّور، رقم: ١٣٠٨، ٣٣٣/١. موسوعة أعلام المغرب، ١٩٨٠/٥، ١٩٨٩.

(٥) انظر: فهرس الخزانة العلميّة الصّبيحيّة بسلا، ص١٢٧. الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، ٦١٤/٢.

(٦) اللّمطي هو: أحمد بن مبارك، أبو العبّاس، اللّمطي، السّجلماسي. له باع وتبحّر في المنطق والبيان والأصول والحديث والقراءات والتّفسير وغيرها. ولد في حدود سنة: ١٠٩٠هـ، توفّي سنة: ١١٥٦هـ/١٧٤٣م. من آثاره: كشف اللّبس عن المسائل الخمس، تأليف في دلالة العامّ على بعض أفراده وغيرها. انظر ترجمته في: شجرة النّور، رقم: ١٤٠٥، ٣٥٢/١. موسوعة أعلام المغرب، ٢١٣٣/٦، ٢١٣٤.

(٧) انظر: فهرس الخزانة العلميّة الصّبيحيّة بسلا، ص١٢٦. الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، ٦١٤/٢.

- التّخصيص مجاز، لكنّه يختصّ ببقاء بعض المسمّى.

- أسماء الأعداد عند العرب نصوص لا يدخُلُها المجاز ولا التّخصيص.

- نيّة الحالف إذا كانت مخصِّصة ومقيِّدة قُبلت في القضاء والفتيا.

- نيّة الحالف إذا ساوت قصْد المخالفة وعدمُ قصْدها.

- نيّة الحالف تقيّد المطلق.

- علاقة كلمة "ساوت" مع "قيّدت" و"نافت".

- تحكيم عرف بلد الحالف فيما إذا كان ما نواه يكثُر قصدُه وعدمُه.

- البِساط معمول به عند عدم النّيّة.

- من خالف عرف النّاس في قصْد حلِفه لا يُصدَّق.

تنبيهـــــان: - الأوّل: المحاشاة "التّخصيص" في المحلوف به.

- الثّـــاني: التّخصيص بالنّيّة هي من مسائل العامّ الذي أريد به الخصوص.

- اعتراض قول القرافي بأنّ التّخصيص بالنّيّة هي مِن العامّ المخصوص.

- تعقيب على قول خليل: "وحنث إن لم تكن له نيّة".

كما احتوى على فوائد وقواعد أصولية وغيرها، منها:

- أسماء الله والأعلام لا عموم فيهما

- أسماء العدد لا تقبل التّخصيص بالنّيّة وإنّما تقبله باللّفظ.

- أسماء الأعلام لا تقبل المجاز إلاّ بقرينة ظاهرة.

- البساط معمول به عند عدم النّيّة قائم مقامها.

- التّخصيص من استعمال اللّفظ في غير ما وُضِع له.

- التّخصيص هو قصر العامّ على بعض أفراده

- ذِكْر الخاصّ بعد العامّ مقرونا بحكمه، يؤكّده ولا يُخصّصه.

- العامّ يشملُ كلَّ لفظ اقترن بما يدلّ على عموم كـ"ال" الاستغراقيّة، وكلّ وجميع، والنّكرة في سياق النّفي، ومَن، وما، ومهما.

- الفعل الواقع بعد النّفي في قوّة النّكرة

- لفظ التّثنية لا يُطلَق على الواحد، ولفظ المذكّر لا يُطلق على المؤنّث.

- اللّفظ العامّ لفظ يستغرق الصّالح له من غير حصر

- المطلق هو اللّفظ الدّالّ على الماهية بلا قيد.

- المطلَق هو النّكرة في الإثبات، فيقال في حدّه: هو الدّالّ على الماهية بقيْد وجودِها في فرد.

- النّكرة في سياق النّفي تُعمّ

- اليمين بالله لا يدخُلُها القضاء.

المطلب السّادس: أماكن وجود المخطوط:

حسب ما وقفت عليه، فإنّه يوجد هذا التّأليف مخطوطا بالمكتبة العامّة بتطوان، وله ٠٦ نسخ(١).

نسخة (١) برقم: [(١٢٦٦)٦٢١] ضمن مجموع. نسخة (٢) برقم: [(١٢٦٧) ٦٤٥] ضمن مجموع.

نسخة (٣) برقم: [(١٢٦٨)٦٥٤] ضمن مجموع. نسخة (٤) برقم: [(١٢٦٩) ٥٨٠] ضمن مجموع.

نسخة (٥) برقم: [(١٢٧٠)٥٨٠] ضمن مجموع. نسخة (٦) برقم: [(١٢٧١) ٥٨٠] ضمن مجموع

المطلب السّابع: منهجيّة التّحقيق:

اعتمدت في التّحقيق على المنهجيّة المتعارف عليها عند المحقّقين، وهي:

- وقفتُ على نسختين، ووسمت إحداهما بـ [أ]، والأخرى بـ [ب].

- جعلتُ النّسخة [أ] هي الأولى لأنّها أسلم، ولا يوجد بها سقط في بعض الأسطر بخلاف النّسخة [ب].

- قابلتُ بين النّسختين، وأثبتُّ الفروق في الهامش.

- خرّجتُ النّصوص الشّرعية، وهي قليلة.

- وثّقتُ أقوال العلماء التي نقلها المؤلّف في المخطوط.

- عرّفتُ بالأعلام الوارد ذكرهم في المخطوط.

- وضعتُ عناوين لبعض الفقرات في المخطوط، وجعلتها بين معقوفين.

- أشكلتُ بعض الكلمات حتّى تُقرأ سليمة، ووضعت العلامات الإملائيّة (، ؛ ؟ .)

(١) انظر: الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"، الرّقم التّرتيبي: ١٣٥٣، ٧٢٦/٢، ٧٢٧.

المطلب الثّامن: مواصفات المخطوطات المعتمدة وصورها:

١ـ مواصفات المخطوطات المعتمدة: وقفت على مخطوطتين، رمزت لهما بـ [أ]، [ب]؛ وهما:

المواصفات	النّسخة [أ]	النّسخة [ب]
ـ مكان وجودها:	مكتبة مؤسّسة الملك عبد العزيز، الدّار البيضاء، المغرب.	مكتبة مؤسّسة الملك عبد العزيز، الدّار البيضاء، المغرب.
ـ رقمها:	(Ms164_M3.html)	(ms447_M1.html)
ـ الخطّ:	مغربي حسن.	مغربي جيّد.
ـ لون الحبر:	أسود + الأحمر لبعض الكلمات.	الأسود + الأحمر لبعض الكلمات.
ـ عدد اللّوحات:	١٢ لوحة = ١٢ ورقة.	١١ لوحة = ١١ ورقة.
ـ عدد الأسطر:	٢٢ سطرا.	٢٤ سطرا.
ـ عدد الكلمات:	١٤ إلى ١٥ كلمة.	١٠ إلى ١٢ كلمة.
ـ ملاحظات:	النّسخة كاملة / لا يوجد بها اسم النّاسخ ولا تاريخ النّسخ.	النّسخة تامّة / بها بعض التّصويبات في الهامش.

٢- صور المخطوطات المعتمدة:

أوّلا: النّسخة [أ]: اللّوحة الأولى

اللّوحة الأخيرة:

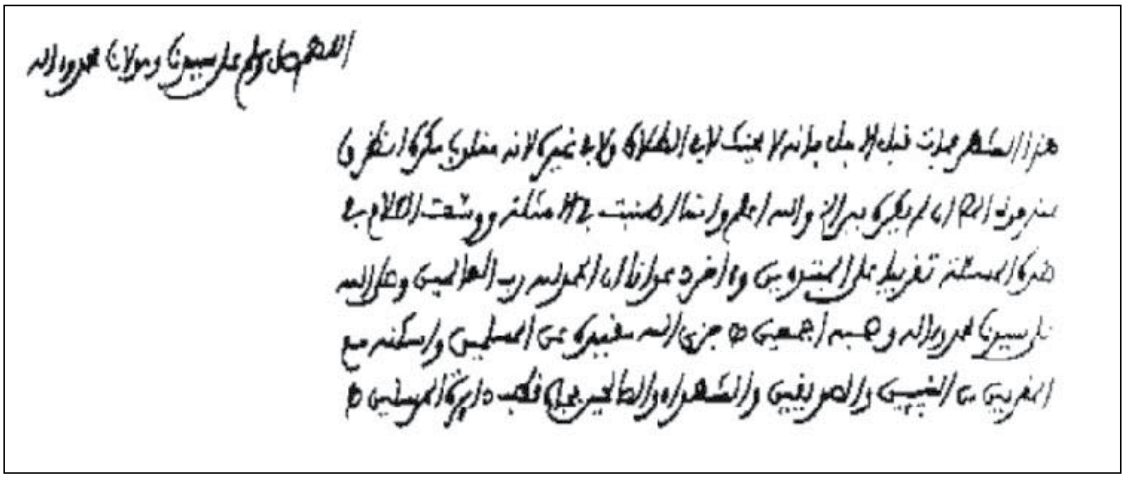

ثانيا: النّسخة [ب]: اللّوحة الأولى:

تقييد على قول أبي الضياء خليل "وخصّصت نيّة الحالف" التّسولي محمّد بن عليّ (ت: ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٩م)

اللّوحة الأخيرة:

القسم الثّاني: النّصّ المحقّق:

[أ/١] بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلّم[١]

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد خاتم النّبيئين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فيقول أفقر العبيد إلى مولاه، الغنيّ به عمّن[٢] سواه، المتوكّل عليه في سرّه ونجواه: عليّ التّسولي لطف الله به.

هذا تقييد على قول أبي الضّياء خليل: "**وخصّصت نيّة الحالف**[٣]"، يشتمل على إيضاح كلّ صورة بالمثال [أَلَحّ][٤] فيه على من لا تسعُني مخالفتُه.

فأقول، وبالله أستعين، إنّه خير معين:

[اللّفظ العامّ يستغرق الصّالح له من غير حصر]

قول المصنّف "**وخصّصت نيّة الحالف**"[٥]، أي خصّصت اللّفظ العامّ، وهو لفظ يستغرق الصّالح له من غير حصر. فخرج بقوله: "يستغرق" المطلَقَ، لأنّ عمومَه بدليّ كما يأتي. وخرج بقوله: "من غير حصر"[٦] أسماء العدد كعشرة مثلا، فإنّها تستغرق أفرادها بحصر، فلا تقبل التّخصيص بالنّيّة. فلا يجوز أن تقول: والله لقد رأيت عشرة، وتريد خمسة. أو هي طالق ثلاثا، وتريد طلقة واحدة. فمن خصّصها بالنّيّة فهو حانث لا يُصدَّق في الفتوى[٧] ولا في القضاء.

[أسماء الله تعالى وأسماء العدد لا تقبل التّخصيص ولا التّقييد لأنّها نصّ في مدلولها]

وكما تخرُج أسماء العدد تخرُج أسماء الله تعالى والأعلام كزيد مثلا، فلا تقبل التّخصيص، أي المجاز[٨]. فلا يصحّ أن تقول: بالله، لا فعلتُ كذا، وتريد بزيد، من إطلاق اسم الفاعل على إثْرِه. ولا

تقييد على قول أبي الضياء خليل "وخصّصت نيّة الحالف" التسولي محمّد بن عليّ (ت: ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٩م)

---

(١) في [ب]: "وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله".

(٢) في [ب]: "عمّا".

(٣) في [ب]: "الخالف"، وهو تصحيف.

(٤) كلمة غير مقروءة في [أ]، [ب].

(٥) انظر: مختصر خليل، خليل بن إسحاق المالكي، اعتناء: الشّيخ طاهر أحمد الزّاوي، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت، ص١٠٤.

(٦) انظر هذا الشّرح في: مواهب الجليل، كتاب الأيْمان، ٤٣٠/٤. شرح الزّرقاني على مختصر خليل، باب اليمين، ١١١/٣. ضوء الشّموع، باب الأيْمان، ١٥٥/٢.

وهذا التّعريف لـ "العامّ" هو للشّيخ السّبكي، حيث قال: "العامّ لفظ يستغرق الصّالح له من غر حصر". جمع الجوامع في أصول الفقه، السّبكي تاج الدّين عبد الوهّاب بن عليّ (ت٧٧١هـ)، اعتناء: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد عليّ بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الكتاب الأوّل: في الكتاب ومباحث الأقوال، /٤٤.

(٧) في [ب]: "الفتيا".

وانظر المسألة في منح الجليل على مختصر خليل، محمد عليش، دار صادر، ١٢٩٤هـ، باب اليمين، ٦٤٥/١.

(٨) انظر المسألة في: شرح الزّرقاني على خليل، باب اليمين، ١١٠/٣، ١١١. حاشية العدوي على شرح الخرشي على خليل، باب اليمين، ٦٧/٣. ضوء الشّموع "شرح المجموع في الفقه المالكي"، باب اليمين، ١٥٥/٢.

أن تقول: والله، لقد رأيتُ زيدا، وتريد عمْرًا؛ مجازا فيهما من غير قرينة في الثّاني. ومن فعل ذلك فهو حانث.

[التّخصيص هو قصر العامّ على بعض أفراده]

وإنّما فسّرنا التّخصيص في أسماء الله والأعلام بالمجاز، لأنّه لا عموم فيهما. فتبيّن أنّ أسماء العدد لا تقبل التّخصيص بالنّيّة، وإنّما تقبله باللّفظ؛ كقوله: والله، إنّ له عليَّ عشَرةٌ إلاّ ثلاثةٌ. أو هي طالق ثلاثا إلاّ واحدة. ولا تقبل المجاز كما مرّ.

وأمّا الأعلام كأسماء الله ونحوها فلا تقبل أصلا، وأمّا غيرُها من الأعلام فلا تقبله إلاّ بقرينة ظاهرة، كقولك: والله لقد رأيت زيدا، وتريد عمرا[1]؛ وهناك قرينة تبيّن المراد، فيصدُق حينئذ[2].

والتّخصيص هو قصر العامّ على بعض أفراده[3]، كقوله: عليهِ الطّلاقُ ليُكرِمنَّ العلماء. فلفظ "العلماء" عامّ، يتناول جميع أفرادهم دفعة واحدة من غير حصر. فإذا قال: نويْتُ إكرام ثلاثة منهم: زيد وعمرو وخالد، فإنّه يُصدَّق، ويبَرُّ بإكرام الثّلاثة، ولا يحنِث بعدم تعميمهم. وكذا لو قال: عليهِ الطّلاقُ لا كلّمَ زيدا، فإنّ "ال" في الطّلاق للعموم والاستغراق. فإذا [أ/٢] قال: نويْت الطّلقة الواحدة، فإنّه يُصدَّق.

وكذا لو قال: عليهِ الطّلاقُ، لا لبِس ثوبا، ولا أكل سِمْنا؛ فإنّ النّكرة في سياق النّفي تُعمّ. فكأنّه قال: والله لا لبِستُ كلّ الثّياب، ولا أكلتُ جميع السّمن. فإذا قال: نويْت خصوص ثياب الكتّان أو أفراد سمْن الضّأن فإنّه يُصدَّق، ولا يحنِث إلاّ بلَبْس الكتّان أو أكل سَمْنِ الضّأن.

[تُقبل نيّة الحالف مطلقا في تقييد المطلق إذا كان لفظ الحالف يحتمل ما نواه وغيرُه على السّواء]

وكذا إن قال: إن دخلْتُ الدّار فكلُّ مملوك أملكُه حرّ، وقال: نويتُ ما عدا ناصحا؛ فإنّه لا يُعتَق عليه ناصحٌ بدخول الدّار، وإنّما يُعتَق عليه غيرُه من عبيده[4].

وكذا إن قال: إن دخلتُ الدّار فكلّ امرأة أتزوّجها من القرية الفلانيّة طالق، وقال: نويت ما عدا فلانة من القرية المذكورة، فإنّه لا يحنث بتزوّجها.

وكذا لو قال: والله، لا كلمّت زيدا، فهذا اللّفظ عامّ؛ لأنّ الفعل الواقع بعد النّفي في قوّة النّكرة[5]، فيعُمّ جميع أفراد الكلام، وجميع الأمكنة والأزمنة. فكأنّه قال: والله، لا يقع منّي كلام له في جميع الأمكنة

---

(١) في [ب]: ".. وتريد عمرًا مجازا".

(٢) في [أ]: "فيصدق ح".

(٣) قال ابن الحاجب في تعريف التّخصيص: "التّخصيص: قصر العامّ على بعض مسمّياته". مختصر منتهى السّؤل والأمل في عِلْمي الأصول والجدل، ابن الحاجب عثمان بن عمر (ت٦٤٦هـ)، تحقيق: د. نذير حمادو، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٧٨٦/٢. وقال ابن السّبكي في شرحه: "لو قال: "أفراده" بدل مسمّياته كان أصحّ، فإنّ مسمّى العامّ واحد، وهو كلّ الأفراد". رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، السّبكي عبد الوهاب بن عليّ (ت٧٧١هـ)، تحقيق: عليّ محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ٢٢٧/٣. جمع الجوامع في أصول الفقه، السّبكي عبد الوهاب بن عليّ، اعتناء: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد عليّ بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣هـ١٤٢٤م، الكتاب الأوّل: في الكتاب ومباحث الأقوال، ص٤٧.

(٤) انظر المسألة في: شرح الزّرقاني على خليل، ١١٥/٣.

(٥) انظر هذه القاعدة الأصوليّة في: حاشية العطّار على شرح الجلال المحلّي على جمع الجوامع لابن السّبكي، العطّار، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.ت، ٤٩٧/١.

والأزمنة. فإذا قال: نويت ما عدا السّلامَ عليه، أو نويت في المسجد أو في اللّيل أو يوم الخميس، فإنّه يُصدَّق، ولا يحنِث بسلامه عليه ولا بكلامه إيّاه في المسجد أو في اللّيل أو الخميس[1]، وهكذا[2].

فقول المصنّف: **"وخصّصت نيّة الحلف"**، أي قَصَرت العامَّ على بعض أفراده، كما في هذه الأمثلة.

والعامّ يشملُ كلَّ لفظ اقترن[3] بما يدلّ على عموم كـ"ال" الاستغراقيّة؛ في نحو: العلماء، والرّجال، والإنسان، وكلّ، وجميع، والنّكرة في سياق النّفي، ومَن، وما، ومهما؛ ونحوِ ذلك.

[التّخصيص مجاز، لكنّه يختصّ ببقاء بعض المسمّى]

وقوله: "إن نافت"[4]، أي خالفت ظاهر لفظه، كما في هذه الأمثلة. لأنّ النّيّة فيها كلُّها مخالفة لظاهر اللّفظ، أي مخالفة بنقص، وأحرى لو خالفت بزيادة؛ كقوله: والله ليُكرِمنّ أخاك، وينوي جميعَ إخوتِك؛ فلا يبَرُّ إلاّ بإكرام جميعِهم. فهي تُخصَّص[5] بنقص في جميع الأمثلة المتقدّمة، وتُعمَّم في نحو هذا المثال الأخير. وكذا تصْرِف اللّفظ من حقيقته لمجازه مع القرينة الظّاهرة، كما مرّ.

وكقوله: "والله، ليضرِبنّ أسدا[6]، وينوي رجلا شجاعا، فلا يبَرُ إلاّ بضرْب الرّجل[7] الشّجاع. لا بدون قرينة، كقوله: عليّ الطّلاقُ، لقد رأيتُ إخوتك؛ ويريد مساكِنَهم. فإنّه لا ينوي مع عدم القرينة.

ومِن المجاز مع القرينة قول المصنّف: **"ككوْنِها معه في: يتزوّجُ حياتَها"**[8]، لأنّ إطلاق الحياة على بقائها في العصمة مجاز، لكن لَمّا كثُر القصدُ بهذا[9] المجازُ عند النّاس، وصار القصدُ إليه وإلى الحقيقة على حدّ سواء [أ/٣] لكون الحالف في الغالب إنّما قصد أن لا يضُرّ بِها؛ ولا ضرر مع المفارقة، كان، كالأمثلة السّابقة التي يُعمَل بنيّته فيها مطلقا، لأنّها كلُّها يصحّ القصد إليها وعدمُ القصد إليها على حدّ سواء.

فالمصنّف رحمه الله مثّل بالمجاز الذي يصحّ قصده عند النّاس وعدمُ قصده على حدّ سواء، فيُفهَم منه أنّ تصديقه في الأمثلة السّابقة بالأحرى؛ لأنّ الحالف في هذا المثال أخرج اللّفظ عن حقيقته، وفي الأمثلة السّابقة أبقى بعضَ مسمّى الحقيقة.

---

(١) في [ب]: "أو يوم الخميس".

(٢) قال خليل في المسألة: "ولا بسلامه عليه بصلاة، .. وبسلامه عليه معتقدا أنّه غيره أو في جماعة إلاّ أن يحاشيه". مختصر خليل، باب اليمين تحقيق ما لم يجب بذكر اسم الله أو صفته، ص١٠٥. وانظر شرح المسألة في: التّاج والإكليل للمواق، مع مواهب الجليل للحطّاب، اعتناء: الشّيخ زكريّا عميرات، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، كتاب الأيمان، ٤٦٣/٤.

(٣) في [ب]: ".. يشمل لفظه اغترف"، وفيها تحريف.

(٤) انظر: مختصر خليل، ص١٠٤.

(٥) في [ب]: "تخصيص".

(٦) في [ب]: "زيدا"، والصّواب ما هو مُثبَت.

(٧) في [أ]: "الرّجال"، وهو خطأ قد يكون من النّاسخ.

(٨) انظر: مختصر خليل، ص١٠٤. في مختصر خليل:" ككونها معه في: لا يتزوّج حياتها". وانظر شرح المسألة في: التّاج والإكليل مع مواهب الجليل، كتاب الأيمان، ٤٣١/٤، ٤٣٢.

(٩) في [ب]: "لهذا".

[أسماء الأعداد عند العرب نصوص لا يدخُلُها المجاز ولا التّخصيص]

قال القرافي في[1]: "الفرق بين التّخصيص والمجاز أنّه لا بدّ أن يبقى في التّخصيص بعض المسمّى، والمجاز أعمّ منه مطلقا. فإذا قلت: والله لقد رأيت إخوتَك، ثمّ تقول: أردت بعضهم، كان تخصيصا ومجازا؛ لأنّ التّخصيص من[2] استعمال اللّفظ في غير ما وُضِع له. وإذا قلت: أردت مساكنهم، كان مجازا لا تخصيصا"[3]. فلا ينوي فيه مطلقا إلاّ مع كثرة استعمال ذلك المجاز في العرف، ككثرة استعمال الحقيقة. ويستويا في الاستعمال كما مثّل به المصنّف في قوله: **"ككونها معه"**[4]الخ.

[نيّة الحالف إذا كانت مخصّصة ومقيّدة قُبلت في القضاء والفتيا]

و[ح][5] فلا يصحّ التّمثيل بقوله: **"ككوْنِها معَهُ"** الخ، إلاّ إذا كان عرف النّاس استعمال الحياة في بقاء العصمة وفي الحقيقة على حدّ سواء، كما مرّ؛ فحينئذ ينوي في الفتوى والقضاء. وأمّا إذا لم يكن عرف باستعمال الحياة في بقاء العصمة كما عندنا اليوم فلا ينوي بحال. لأنّ العامّة إذا قيل لهم: ما تريدون بالحياة في قول القائل: مدّة حياتها؟ فإنّما يسكتون أو يقولون: نريد حقيقة الحياة، لا البقاء في العصمة. ولا تجد أحدا منهم يقصد بالحياة البقاء في العصمة أصلا.

ويدخل تحت الكاف من قوله: **"ككوْنِها معَهُ"** الخ، ما إذا كان زوجها يعاتبها على دخول قرابتها عليها، فحلفت بحرّيّة عبدها، لا دخلوا عليها مادام زوجها حيّا. وقالت: نويت ما دمتُ في عصمته[6].

وكذا إذا[7] استَحسَن خُلُقَ عبدِه أو فعلَه، وحلف بالطّلاق: ما هو إلاّ حرّ، وقال: نويت أنّه شبيه بالأحرار ونحو ذلك.

[نيّة الحالف إذا ساوت قصْد المخالفة وعدمُ قصْدها]

وقوله: **"وساوتْ"** حال من ضمير **"نافت"**[8] ومن ضمير **"قيّدَتْ"**[9] أيضا، أي: خصّصتْ إن خالفتْ، والحالة أنّ قصْدَ المخالفَةِ وعدمُ قصْدِها على حدٍّ سواء. وقيّدتْ حالةَ كوْنِ التّقييدِ وعدمِه على حدٍّ سواء. فإذا قال: عليه الطّلاق ليُكرِمنَّ العلماءَ، وقال: نويتُ زيدا وعمْرًا وخالدا منهم، فإنّه يُنظَر، فإن

(١) حرف غير ثابت في [ب].

والقرافي هو: أحمد بن إدريس بن عبد الرّحمن، أبو العبّاس، شهاب الدّين، الصّنهاجي الأصل، القرافي. فقيه، أصولي، مفسّر، مشارك في علوم كثيرة. ولد بمصر سنة: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، وتوفّي بمصر سنة: ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، ودُفن بالقرافة. من آثاره: الذّخيرة في الفقه، التّنقيح في أصول الفقه، أنوار البروق في أنواع الفروع في أصول الفقه. وغيرها. انظر: الدّيباج المذهّب، رقم: ١٢٤، ص١٢٨، ١٣٠. شجرة النّور، رقم: ٦٢٧، ١/١٨٨، ١٨٩. معجم المؤلّفين، رقم: ٧٥٠، ١/١٠٠.

(٢) حرف غير ثابت في [ب].

(٣) انظر قول القرافي في: أنوار البروق، الفرق ١٢٨: بين قاعدة ما يدخله المجاز في الأيْمان والتّخصيص وقاعدة ما لا يدخله المجاز والتّخصيص، ٣/١١٠. وانظر القول في: شرح الزّرقاني على خليل، ٣/١١٥. وقد أعطى القرافي قاعدة في ذلك فقال: "فكلّ تخصيص مجاز، وليس كلّ مجاز تخصيصا". الفروق، ٣/١١٠.

(٤) انظر: مختصر خليل، ص١٠٤.

(٥) حرف ورد في النّسختين، ولم أفهم القصد منه.

(٦) انظر المسألة في: التّاج والإكليل مع مواهب الجليل، كتاب الأيْمان، ٤/٤٣١.

(٧) في [ب]: "إن".

(٨) في [ب]: "نفت".

(٩) انظر: مختصر خليل، ص١٠٤. والجملة بتمامها: "وقيّدتْ إن نافتْ وساوتْ في الله وغيرِها". وانظر المسألة في: التّاج والإكليل مع مواهب الجليل، كتاب الأيْمان، ٤/٤٢٧ فما بعدها.

كانت هذه المخالفة يكثُر قصدُها [أ/٤] وعدم قصدِها في عرفهم على حدّ سواء، فيُصدّق في الفتوى والقضاء. وإن كانت إرادة المخالفة مرجوحة صُدّق في الفتوى دون القضاء، وهكذا يقال في باقي الأمثلة المتقدّمة المشتملة على لفظ العموم. وكذا يقال في المطلق.

فإذا قال: والله لقد رأيتُ عينا، وقال: أردت الجاسوس؛ فإنّه يُنظَر. فإن كان[١] هذا التّقييد في هذا اللّفظ المطلَق يكثُر قصدُه وعدمُ قصْده على حدّ سواء، صُدِّق[٢] مطلقا. وإن كانت إرادة الجاسوس مرجوحة، والغالب إطلاق العيْن[٣] على الجارية أو الباصرة كما عندنا اليوم فإنّه يُصدَّق في الفتوى دون القضاء.

واحترز بقوله: **"ساوتْ"** عمّا إذا لم تكن مساوية في الدّلالة، كقوله: عليه الطّلاق ليَعتِقنّ عبدَيْن؛ وقال: نويْت ناصحا فقط. أو لَيُكرِمنّ رجلا، وقال: نويْت امرأة، فإنّه لا يُصدَّق. لأنّ لفظ التّثنية لا يُطلَق على الواحد، ولفظ المذكّر لا يُطلَق على المؤنّث.

واحترز به أيضا عمّا إذا كان قصد المخالفة للتّخصيص أو التّقييد مرجوحا أي غير غالب، فإنّه يُصدّق في الفتوى دون القضاء؛ كما أشار له بقوله: **"كأنْ خالفَتْ ظاهرَ لفظِه"** الخ[٤]. فهو إشارة لمفهوم قوله: **"ساوتْ"**، أي فإن لم يتساو قصدُ المخالفة وعدمُه على حدّ سواء، بل خالفت لأمر مرجوح في عرف البلد، كنيّته سمن الضّأن[٥] في: لا آكل سمنا. وكنيّته عدمَ بيعِه أو ضربِه مباشرة في حلفه: لا يبيعُه ولا يضربُه؛ أي لا يقع منه بيعٌ ولا ضرْبٌ[٦]، الشّامل للمباشرة والتّوكيل. وكنيّته عبدٌ روميّ في حلفه: ليعتقنّ عبدا. والحالة أنّ الغالب في عرفهم إطلاق السّمن على خصوص سمن البقر، وإطلاق عدمِ البيعِ على المباشرة والتّوكيل، وإطلاق العبد على السّوداني. ومن غير الغالب قد يطلقون السّمن على سمن الضّأن، وعدمَ البيعِ والضّربِ على المباشرة، والعبدِ على الرّومي. فإنّه يُصَدّق إلاّ لمرافعة ببيّنة[٧] أو إقرار في طلاق وعَتق[٨] فقط.

وكذا لو كان غالب عُرفهم إطلاق الحياة على حقيقتها، وإطلاقها على البقاء في العصمة غيرُ غالب؛ وقال: نويت البقاء في العصمة. أو كان غالبُ عرفِهم إطلاق الثّوب على ثوب الصّوف، وإطلاقُه على ثوب الكتّان غيرُ غالب، وحلف: لا لبِس ثوبا؛ وقال: نويت ثوب الكتّان، فإنّه يُصدَّق في الفتوى دون القضاء في ذلك كلِّه.

[نيّة الحالف تقيّد المطلق]

وقوله: "وقيّدت"[٩]، أي قيّدت المطلق، وهو اللّفظ الدّالّ على الماهية بلا قيد[١٠]، أي بلا قيد وجودها

(١) كلمة ساقطة من [ب].

(٢) كلمة ساقطة من [ب] يقتضيها المعنى.

(٣) في [ب]: "عيْنٍ".

(٤) انظر: مختصر خليل، ص١٠٤. وانظر شرح المسألة في: التّاج والإكليل مع مواهب الجليل، كتاب الأيمان، ٤٣٢/٤.

(٥) في [ب]: "ضأنٍ".

(٦) في [ب]: "لا يقع منه ضرب ولا بيع".

(٧) في [ب]: "بنيّة".

(٨) في [ب]: "أو عتق".

(٩) انظر: مختصر خليل، ص١٠٤. وانظر شرح المسألة في: التّاج والإكليل مع مواهب الجليل، كتاب الأيمان، ٤٢٧/٤.

(١٠) هذا التعريف هو لابن السّبكي. انظر: جمع الجوامع، ص٥٣. قال ابن الحاجب في حدّ المطلق: "المطلق ما دلّ على شائع في جنسه". مختصر منتهى السّؤل والأمل، ٨٥٩/٢.

في فرْد. فتخرج [أ/٥] المعرفة لأنّها تدلّ على الوحدة بقيد التّعيين. وتخرج النّكرة لأنّها تدلّ على الوحدة لا بقيد[١] التّعيين.

وقيل: المطلَق هو النّكرة في الإثبات[٢]، فيقال في حدّه: هو الدّالّ على الماهية بقيْد وجودِها في فرد[٣]. فإنسان مثلا على الأوّل موضوع للماهية[٤]، وهي الحيوانيّة والنّاطقيّة. وإطلاقه على زيد مثلا في قولهم: زيد إنسان، إنّما ذلك لوجود تلك الحقيقة فيه، وهكذا. وأمّا على الثّاني فإنسان موضوع للماهية التي هي الحيوانيّة والنّاطقيّة بقيْدِ وجودها في فرد مبهم، وهو زيد مثلا أو عمرو بدلُه أو خالد بدلُـهُما، وهكذا يقال في رجل. فعلى الأوّل هو موضوع لحقيقته التي هي الذّكوريّة والبلوغ، وكونُه من بني آدم. وعلى الثّاني هو موضوع لتلك الحقيقة بقيد وجودِها في فرد مبهَم كما مرّ.

فالفرق بينهما إنّما هو بالاعتبار، فإن اعتُبِر فيه دلالته على الماهية بلا قيد سُمّي مطلقا واسم جنس. فلفظ إنسان مثلا يدلّ على الحقيقة من حيث هي حقيقة، سواء وُجِدت في فرْدٍ واحد أو في أكثر منه. وإن اعتُبِر فيه قيْد الوِحدة الشّائعة سُمّي نكرة، وكان دالاّ على الواحد الفرد[٥] المبهَم، ولا يصدُق على اثنين ولا على أكثر.

وتظهر ثمرة الخلاف فيما إذا حلف: إن دخل عليه رجل فزوجتُه طالق، فدخل عليه رجلان فأكثر، فتُطلّق عليه على الأوّل، نظرا للجنس الصّادق بالواحد والمتعدّد، ولا تُطلَّق عليه على الثّاني، نظرا لقيْد الوحدة. ثمّ على كلٍّ من القولين عمومُه بدليّ لا شموليّ. ومعنى كونِه بدليّا أنّه يصْدُقُ بهذا الفرد بدلَ هذا، أو هذا بدلَ هذا. فإنسان مثلا يصدُق بزيد بدل عمرو، وبعمرو بدل خالد. وكذا رجل مثلا يصْدُق بزيد بدل خالد، وبصالح بدل ناصح، وهكذا. فإذا قلت: جاءني رجل، احتمل أن يكون زيدا أو عمرا بدلَه، أو خالدا بدلَـهُما، أو صالحا بدلَـهم. ولا يصْدُق بجميع الأفراد دُفعة واحدة إلاّ إذا دخل عليه لفظ العموم ككلّ أو جميع، فتقول: جاءني كلُّ إنسان أو جميعُ الرّجال. أو النّفيُ، كقولك: ما جاءني رجل، أي ما جاني فردٌ من أفراد الرّجال؛ ويكون [ح][٦] من قبيل العامّ، فيرجع للقسم الأوّل.

[ح][٧] فتحصّل أنّ المطلق هو النّكرة في سياق الإثبات، كرجل وإنسان وفرس وكتاب واحد، وتقييده هو تعيينُ بعضِ محتمَلاته.

فإذا قال: والله لقد رأيت رجلا [أ/٦] أو إنسانا، وقال: نويت زيدا؛ فيُصدَّق[٨] في الفتوى والقضاء، لأنّ القصد لِمَا نواه وعدمُه على حدّ سواء.

وكذا إن قال: إن دخلتُ الدّار فأحد ممالكي حرّ، وقال: نويت ناصحا منهم؛ فيُصدَّق مطلقا.

---

(١) في [ب]: "..على الوحدة بلا قيد".

(٢) قال الآمدي: "أمّا المطلق فعبارة عن النّكرة في سياق الإثبات". الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي عليّ بن محمد، اعتناء: الشّيخ عبد الرّزّاق عفيفي، دار الصّميعي، الرّياض، المملكة العربيّة السعوديّة، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٥/٣.

(٣) في [ب]: ".. في فرد مبهَم".
انظر هذا التّعريف للمطلق في:

(٤) في [ب]: ".. فإنسان على الأوّل موضوع لماهيةٍ".

(٥) في [ب]: ".. دالاّ على الفرد الواحد".

(٦) حرف ورد في النّسختين، ولم أفهم القصد منه.

(٧) حرف ورد في النّسختين، ولم أفهم القصد منه.

(٨) في [ب]: "فإنّه يُصدَّق".

ويدخل في المطلق المشترَك، كقوله: إن دخلتُ الدّار فعائشة طالق، وله زوجتان كلتاهما تسمّى عائشة؛ وقال: نويت بنت فلان. أو قال: عليه الطّلاق، لقد رأيت عيْنا، وقال: أردت الباصرة لا الجارية، فيُصدَّق أيضا مطلقا. ولا شكّ أنّ المطلَق هنا مقيّد بالنّيّة بتعيين بعضِ محتمَلاته، وإرادة هذا التّقييد وعدمُه على حدّ سواء.

[علاقة كلمة "ساوت" مع "قيّدت" و"نافت"]

فقوله: **"وساوتْ"** راجع لـ **"قيّدَتْ"**، كما هو راجع لقوله: **"نافتْ"**[1].

واحترز به بالنّسبة لـ **"قيّدَتْ"** عمّا إذا لم يتساو إرادة التّقييد وعدم إرادته، بل كانت إرادة التّقييد مرجوحة، أي لا يُقصَد إليها في الغالب عرفا، كما مرّ فيمن حلف لقد رأى عينا، وقال: نويت الجاسوس. وكما لو كانت له زوجة وأمَة، كلتاهما تسمّى حليمة، وحلف إن دخَل الدّار فحليمة طالق؛ وقال: نويت بالطّلاق عتق الأمة، وكان الطّلاق عندهم يُطلق على العتق مجازا في غير الغالب.

وكذا لو قال: عليه الطّلاق لا وطئ جاريته أو زوجته، وقال: نويت بقدمي. لأنّ لفظ وطئ مشترَك بين الجماع والوطء بالقدم، إلاّ أنّه اشتهر[2] في الجماع.

وكذا لو قال: عليه الطّلاق، ليلبسنّ ثوبا أو ليعتقنّ عبدا، وكان غالبُ عرف البلد أنّ الثّوب إنّما يُطلق على ثوب الصّوف، والعبد إنّما يُطلَق على الرّومي؛ وقال: نويت ثوب الكتّان، أو العبد السّوداني؛ فإنّه لا يُصدَّق في القضاء بل في الفتوى فقط، وهكذا. وإليه أشار بقوله: **"كأن خالفَتْ ظاهِرَ لفظِهِ"** الخ[3]، أي خالفت ظاهر لفظ العامّ في العامّ، وظاهر لفظ المطلق في المطلق.

[تحكيم عرف بلد الحالف فيما إذا كان ما نواه يكثُر قصدُه وعدمُه]

فتحصّل أنّه يُنظر لعُرف بلد الحالف، فإن كان عُرفُهم أنّ ما نواه يكثُر قصدُه وعدم قصدِه على السّواء، فيُصدَّق مطلقا، ولو كانت إرادته على وجه المجاز، لأنّ اشتهار قصْد المجاز بذلك اللّفظ قرينة على إرادته كما مرّ في مثال المصنّف. وإن كانت إرادة ما نراه في عرفهم مرجوحة فيُصدَّق في الفتوى فقط، وإن كانت إرادته غير مألوفةٍ في العرف ولا معهودةٍ فيه فإنّه لا يُصدَّق مطلقا؛ كما أشار له فيما يأتي بقوله: **"لا إرادةِ ميّتةٍ أو كَذِبٍ"** الخ[4].

وقوله: [أ/٧] **"أو استُحلِفَ مُطلَقا في وثيقةِ حقٍّ"**[5]: معطوف على معنى "المرافعة"، أي إلاّ إن روفع واستُحلِف فهو مشارك له في عدم الانتفاع بالنّيّة وإن كانت موجودة، لِما في الحديث من الوعيد: ((مَن اقتطع بيمينه الفاجرة حقّا لغيره حرّم الله عليه الجنّة، وأوجب له النّار))[6]. ومعنى الإطلاق: كانت

تقييد على قول أبي الضياء خليل "وخصّصت نيّة الحالف" التسولي محمّد بن عليّ (ت: ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٩م)

---

(١) انظر: مختصر خليل، ص١٠٤.

(٢) في [ب]: "أشهَرُ".

(٣) انظر: مختصر خليل، ص١٠٤. وانظر المسألة في: التّاج والإكليل مع مواهب الجليل، كتاب الأيمان، ٤٣٢/٤.

(٤) انظر: مختصر خليل، ص١٠٤. وانظر المسألة في: التّاج والإكليل مع مواهب الجليل، كتاب الأيمان، ٤٣٥/٤.

(٥) انظر: مختصر خليل، ص١٠٤. والجملة بتمامها: "أوِ استُحلِف مُطلَقا في وثيقة حقٍّ، لا إرادةِ ميّتة أو كذِب". وانظر المسألة في: التّاج والإكليل مع مواهب الجليل، كتاب الأيمان، ٤٣٤/٤.

(٦) الحديث أخرجه الطّبراني من طريق أبي أمامة الأنصاري. انظر: المعجم الكبير، الطّبراني سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السّلفي، مكتبة ابن تيميّة، القاهرة، د.ت، رقم: ٧٩٨، ٢٧٤/١. والحديث بتمامه وصيغته: ((من اقتطع بيمينه حقّ امرئ مسلم حرّم الله عليه الجنّة، وأوجب له النّار)).

النّيّة مساوية أم لا[1]، في الفتوى أو القضاء، وكانت بالله أو بغيره. إلاّ أنّ اليمين بالله لا يدخُلُها القضاء كما يأتي أواخر الهبة، في قوله: **"وإن قال: داري صدقَةٌ، بيَمينٍ مُطلَقًا"**[2] الخ، والمراد بالحقّ ما يُطالَب به من ديْن أو وديعة أو نحو ذلك. فإذا[3] حلف على وديعة أنّها ليست عنده، نوى حاضرة؛ فإنّ هذه النّيّة وإن كانت مساوية، يُمكن إرادة ما نواه وعدمُه على السّواء لا تنفعه[4]. وهذا من[5] تخصيص العامّ بالنّيّة. لأنّ قولَه: ليست عندي عامّ في الأزمنة والأمكنة. فتخصيص ذلك العموم بكونها حاضرة عنده في هذا الزّمان والمكان لا ينفعه؛ لأنّ نيّته[6] وإن كانت مساوية يمكن إرادة ما نواه وعدمُه على السّواء. لكن عارَض ذلك الوعيد المتقدّم، فلذلك كانت على نيّة المحلِّف.

[البِساط معمول به عند عدم النّيّة]

وكذا من حلف بالطّلاق ليقضينّ غريمَه غدا، فلم يقْضه، وقال: نويتُ طلْقة واحدة. وقال المحلِّف: نويتَ الثّلاث، أو لم أنْوِ شيئا. فإنّ الحالف لا تنفعه نيّته، ويلزمه الثّلاث؛ لأنّ نيّته وإن كانت مساوية أيضا، مخصّصة للعامّ ببعض أفراده، لكن عارضها ما تقدّم. ولأنّ بساط المحلِّف حيث لا نيّة له، يدلّ على أنّه إنّما يأخذ عن حقّه أشدّ[7] الأيْمان، وأكملها، وذلك لا يحصُل بالواحدة، لتمكّنه من مراجعتها قبل زوج، فكأنّه لم يحلف.

وقد علمتَ أنّ البساط معمول به عند عدم النّيّة قائم مقامها، فلذا قلنا يلزمه الثّلاث حيث لا نيّة للمحلَّف، وأحرى إن نواها.

ثمّ بعد كتْبي هذا وقفت على عج[8] فوجدتُه نقل في مسألة الطّلاق قولين، وأنّ القول بلزوم الثّلاث هو قول ابن القاسم[9]، والقول بلزوم الواحدة عملا بنيّة الحالف قول ابن وهب[10].

---

(١) في [ب]: "أو لا".

(٢) انظر: مختصر خليل، ص٢٩٠. وانظر المسألة في: التّاج والإكليل مع مواهب الجليل، باب الهبة، ٣٤/٨.

(٣) في [ب]: "فإن".

(٤) في [ب]: "لا تنفعه مطلقا".

(٥) في [ب]: "في".

(٦) في [ب]: ".. في هذا الزّمان أو المكان لا تنفعه نيّته"، وفيها سقط وخلط.

(٧) في [ب]: "لشدّة".

(٨) عج: هو مصطلح مختصر للفقيه عليّ الأجهوري، وهو: عليّ بن محمد بن عبد الرّحمن، أبو الإرشاد، نور الدّين، الأجهوري، المصري، المالكي. عالم، أديب، مشارك في الفقه والكلام والحديث والسّيرة والمنطق وغيرها. ولد بمصر سنة: ٩٦٧هـ/١٥٦٠م، وتوفّي بها سنة: ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م. من آثاره: مواهب الجليل في تحرير ما حواه مختصر خليل، شرح الدّرر السّنيّة في نظم السّيرة النّبويّة للعراقي. انظر: خلاصة الأثر، ١٥٧/٣، ١٦٠. شجرة النّور، رقم: ١١٧٤، ٣٠٣/١، ٣٠٤.

(٩) ابن القاسم هو: عبد الرّحمن بن القاسم بن خالد، أبو عبد الله، العُتَقي، المصري. الشّيخ الصّالح، الحافظ، الحجّة، الفقيه، أثبت النّاس في مالك وأعلمهم بأقواله. تفقّه بالإمام مالك ونظرائه. ولد بمصر سنة: ١٣٢هـ/٧٥٠م، وتوفّي بها سنة: ١٩١هـ/٨٠٦م. من تآليفه المدوّنة. انظر: الدّيباج المذهّب، رقم: ٣٠٤، ص٢٣٩. معجم المؤلّفين، رقم: ٦٩٤٠، ١٠٦/٢.

(١٠) ابن وهب هو: عبد الله بن وهب بن مسلم، أبو محمد، الفهري، القرشي بالولاء. فقيه، مفسّر، محدّث، مقرئ. ولد بمصر سنة: ١١٥هـ/٧٣٣م، وتوفّي بها سنة: ١٩٧هـ/٨١٣م. له تآليف كثيرة منها: سماعه من مالك ثلاثون كتابا، وموطّؤه الكبير، وجامعه الكبير وغيرها. انظر: الدّيباج المذهّب، رقم: ٢٦٥، ص٢١٤، ٢١٧. شجرة النّور، رقم: ٢٥، ٥٨/١، ٥٩.

قال: "وفيه إشارة لترجيح القول الأوّل". هـ[1]. وعلى ما أشار له من التّرجيح اعتمد ز. وبه يسقط الاعتراض عليه. وما في الموّاق[2] عن اللّخمي[3] إنّما يتمشّى على ما لابن وهب. ولذلك نظر فيه الموّاق، كما يُعلم بالوقوف عليه[4].

[من خالف عرف النّاس في قصْد حلِفه لا يُصدَّق]

وقوله[5]: "لا إرادةِ ميِّتةٍ، أو كذِب في: طالقٌ[6]، أو حرامٌ، وإنْ [أ/٨] بِفَتْوى"[7]: يعني أنّه إذا حلف بالطّلاق أو العتق لا دخلَ الدّارَ مثلا، فدخلها؛ وقال: نويت زوجتي الميتة وأمتي الميتة. أو قال: امرأتي حرام، وقال: نويت كذبها حرام؛ فإنّه لا يُصدَّق ولو في الفتوى. لأنّ قصْد طلاق الميتة أو عتقها لا عرفَ به عند النّاس. وكذا قصْد حُرْمة كذبها.

ومن هذا النّمط أيضا إذا قال: عليه الطّلاق لا وطئ زوجته أو جاريته[8]، وقال: نويت بقدمي، فإنّه لا يُصدَّق عندنا اليوم؛ لأنّ الوطء بالقدم لا يقصِدُه النّاس في عُرفنا.

وكذا إن قال: نويت بالطّلاق عتق الأمة؛ لأنّ الطّلاق لا يُطلَق[9] على العتق في عرفنا اليوم. وما تقدّم من أنّه يُصَدَّق في الفتوى دون القضاء إنّما هو إذا كان الطّلاق يُطلَق على العتق، والوطءُ بالقدم يُقصَد في عرفهم؛ لكن على وجه مرجوح[10].

ومن هذا القسم أيضا إذا قال: عليه الطّلاق ليعتقنّ عبيده، وقال: أردت بعبيدي دوابّي. والعلاقة بين العبيد والدّوابّ الملك، فإنّه لا يُصَدَّق مطلقا لعدم إرادة هذا المجاز في عرفنا اليوم، ولا سيما حيث لا قرينة تدلّ عليه.

وكذا إذا قال: والله لأعتقنّ عبيدي، وقال: أردت بالعتق البيع. أو قال: لأعتقنّ من عبيدي ثلاثة، وقال: نويت بيعَ ثلاثةٍ من دوابّي. أو قال لزوجته: أنتِ طالق ثلاثا، وقال: نويت ثلاث مرّات من الولادة. فإنّه

تقييد على قول أبي الضياء خليل "وخصّصت نيّة الحالف" التسولي محمّد بن عليّ (ت: ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٩م)

---

(١) لم أقف على هذا القول للأجهوري؛ لأنّ شرحه على مختصر خليل لا زال مخطوطا.

(٢) الموّاق هو: محمد بن يوسف بن أبي القاسم، أبو عبد الله، العبدري، الأندلسي، الغرناطي، الشّهير بالموّاق. فقيه مالكّي، عالم عامل فاضل، خاتمة علماء الأندلس. توفّي في شعبان سنة: ٨٩٧هـ/١٤٢٩م. من آثاره: التّاج والإكليل في شرح مختصر خليل، وسنن المهتدين في مقامات الدّين. انظر: كفاية المحتاج، رقم: ٦٠٤، ١٩٧/٢، ١٩٩. شجرة النّور، رقم: ٩٦١، ٢٦٢/١.

(٣) اللّخمي هو: عليّ بن محمد، أبو الحسن، الرّبعي، الصّفاقصي، القيرواني الأصل، المعروف باللّخمي. فقيه مالكي حافظ، حاز على رئاسة الفقهاء في إفريقية. توفّي سنة: ٤٩٨هـ/١٠٨٥م. من آثاره: تعليق كبير على المدوّنة، سمّاه التّبصرة. انظر: الدّيباج المذهّب، رقم: ٣٩٣، ص٢٩٨. معجم المؤلّفين، رقم: ٩٩٦٢، ٥٠٣/٢.

(٤) قال الموّاق عند شرح قول خليل: "لا إرادةِ ميِّتة، أو كذِبٍ في: طالقٌ وحُرّة، أو حرام، وإن بفتوى"؛ قال: "وقال اللّخمي: إن كانت يمينه بالطّلاق أو العتق في حقّ على الحالف وأحلفه الطّالب، وعليه بيّنة؛ قضى بظاهر يمينه، ولم يُصدَّق أنّه نوى غير ذلك". التّاج والإكليل مع مواهب الجليل، كتاب الأيمان، ٤٣٧/٤.

(٥) كلمة غير ثابتة في [ب].

(٦) في [ب]: "لا إرادة ميتة وكذب في طالق وحرّة".

(٧) انظر: مختصر خليل، ص١٠٤. والصّيغة هناك: "لا إرادةِ ميّتة، أو كذِبٍ في: طالقٌ وحُرّةٌ، أو حرامٌ، وإن بفتوى".

(٨) في [ب]: ".. لا وطئ جاريته أو زوجته".

(٩) في [ب]: "لا يصدُق".

(١٠) في [ب]: ".. مرجوح كما مرّ".

لا يُصدَّق في شيء من ذلك مطلقا، لعدم العرف بإطلاق الطّلاق على شيء من ذلك اليوم وما في زمن[1] تصديقِه في الفتوى. إنّما هو إذا كان عرفُهم إطلاق الطّلاق على ذلك مجازا، مع ظهور القرينة، حتّى أنّه إذا استمرّ ذلك المجازُ وصار مساويا للحقيقة في الإطلاق فإنّه يصَدَّق مطلقا.

ومن هذا النّمط أيضا ما مرّ من أنّه إذا حلف ليعتِقنّ عبديْن، وقال: نويت واحدا. أو حلف ليُكرِمَنّ رجلا، وقال: نويت امرأة؛ فإنّه لا يُصدّق.

ومثلُه ما إذا قال: كلُّ نسائي طوالق، وقال: أردت فلانة فقط. لأنّ "كُلّ" لابدّ أن تقع على متعدّد، وهكذا[2].

تنبيهـان: الأوّل: [المحاشاة "التّخصيص" في المحلوف به]

المحاشاة[3] المتقدّمة في كلام المصنّف إلاّ أن يعزل في يمينه أوّلاً، كالزّوجة في الحلال عليَّ حرام، هي التّخصيص بالنّيّة مِن غير فرق بينهما، وبين قولِه: **"وخصّصت نيّة الحالف"**[4]، فتجري فيها الأقسام الثّلاثة المذكورة هنا، مِن مساواتها ومخالفتها لأمر مرجوح، ومخالفتها لأمر [أ/٩] بعيد.

وسواء كانت المحاشاة أوّلا أو في الأثناء، فلا مفهوم لقوله: "أوّلا". وما قالوه في المحاشاة من أنّه يُصدَّق في الفتوى والقضاء، إنّما هو إذا كانت النّيّة مساوية، كمثال المصنِّف في: **"الحلال عليه حرام"**، وإمّا لو كانت[5] مخالفة لأمر مرجوح، كما لو قال: عليه الحرام لا دخل الدّار، ونوى بالحرام الطّلقة الرّجعيّة. والعرفُ في بلدهم

إطلاق الحرام على البائن غالبا وعلى الرّجعيّ نادرا، فإنّه يُصدَّق في الفتوى أنّه نوى الرّجعيّ دون القضاء، وهكذا.

فإن كان عُرفُهم في الحرام أنّه لا يُطلق إلاّ على البائن كما عندنا اليوم فإنّه لا يُصدَّق أنّه نوى به الرّجعيّ مطلقا؛ لأنّ النّيّة خالفته لأمر بعيد لا يقصده النّاس في عرفهم.

وعليه، فما فرّق به ز وغيره من أنّ المحاشاة في المحلوف به والتّخصيص في المحلوف عليه لا يُعوَّل عليه، بل المحاشاة هي التّخصيص، كما قال القرافي. فتجري[6] عليه كما مرّ.

وأيضا فالعرف المذكور يقتضي أنّ من حلف بالحرام لا أَكَل سمنا، وأخرج البائن من الحرام، وسمنَ

---

(١) في [ب]: "-بياض- مِن"، وهو تحريف لكلمة "زمن".

(٢) انظر هذ الشّرح من بداية المسألة إلى هنا بتصّرّف في: شرح الزّرقاني على مختصر خليل، باب اليمين، ١١٧/٣.

(٣) المحاشاة هي تسمية عند الفقهاء، وهي عند قول خليل: "الحلال عليّ حرام"، إذ لا تدخل الزّوجة في جميع ما أملِكه إلاّ أن يريد إدخالها. والمحاشاة هي من قبيل العامّ الذي أريد به الخصوص. انظر: شرح الزّرقاني على خليل، باب اليمين، ٩٧/٣. وقال خليل في تعريفها: "المحاشاة وهي أن يعزل في أصل عقد يمينه شيئا. قاله في الجواهر". التّوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، خليل بن إسحاق (ت٧٧٦هـ)، تحقيق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التّراث، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، الأيمان والنّذور، ٣٠٢/٣.

(٤) انظر: مختصر خليل، ص١٠٤.

(٥) في [ب]: "كانت النّيّة".

(٦) في [ب]: "فيجري".
ونقل علّيش قول القرافي؛ فقال: "القرافي: المحاشاة هي التّخصيص بعينه من غير زيادة ولا نقصان، فليس شيئا غير التّخصيص". شرح منح الجليل، باب اليمين، ٦٣١/١.

البقر من السّمن؛ أنّه يُصدَّق في إخراج البائن مطلقا، وفي إخراج سمن البقر في الفتوى دون القضاء؛ لأنّ البائن محلوف به، والسّمنَ محلوف عليه؛ وذلك تحكّم مخالف لِما نصّ عليه هنا من أنّ المحاشاة هي التّخصيص بعينه، كما يأتي.

الثّاني: [التّخصيص بالنّيّة هي من مسائل العامّ الذي أريد به الخصوص]

قد علمتَ ممّا مرّ أنّ مسألة التّخصيص بالنّيّة هي مِن(١) العامّ الذي أريد به الخصوص، لا من العامّ المخصوص؛ خلافا للقرافي في جعْلها من الثّاني، قائلا: ذكر الخاصّ بعد العامّ مقرونا(٢) بحكمه، يؤكّده ولا يُخصّصه، كما تقرّر في علم الأصول. فإذا قال: والله لا لبست ثوبا، وقال: نويت ثوب الكتّان، فعلى أنّه من العامّ الذي(٣) أريد به الخصوص لا يحنِث إلاّ بثوب الكتّان، ولا يحنث بلبس غيره من الصّوف والقطن. وإن لم يتعرّض في نيّته لإخراجهما لأنّه(٤) لم يُرِد بالعامّ إلاّ بعض أفراده، وهو الكتّان. فكأنّه قال: والله لا لبست ثوب الكتّان، فالمحلوف عليه [ح](٥) هو خصوص الكتّان، فلا يحنث إلاّ به. وعلى أنّه من العامّ المخصوص يحنث بالكتّان وبغيره من الصّوف والقطن، [لأنّه لم يُخرجهما بل غفل عنهما، ولم يتعرّض لهما في نيّته بنفي ولا إثبات، حنِث في الكتّان المنوى بمقتضى اللّفظ والنّيّة، وفي ثوبي الصّوف والقطن](٦) بمقتضى اللّفظ. لأنّه حيث لم يُخرجهما بنيّته كانا داخليْن في عموم اللّفظ. وغاية النّيّة [أ/١٠] أنّها أكّدت الحكم في المنوى، وما سواه باقٍ في الشّمول". نظيره قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴿٢٣٨﴾﴾(٧). وقوله تعالى(٨) ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾(٩). فإنّ الوسطى لا تُخصِّص(١٠) عموم الصّلوات بالمحافظة،

وجبريل وميكائيل لا يُخصِّص عموم الملائكة بالعداوة. بل الوسطى ثبت لها وجوب المحافظة بلفظ العموم والخصوص، وغيرُها ثبت لها وجوب المحافظة بلفظ العموم فقط. وكذا يقال في جبريل وميكائيل.

وكذا قوله ﷺ: ((أيُّما إهاب دُبغ فقد طهُر))(١١)، مع قوله أيضا وقد مرّ بشاة: ((هلاّ أخذتم إهابها

---

(١) كلمة غير ثابتة في [ب].
(٢) في [ب]: "مقرون".
(٣) كلمة غير ثابتة في [ب].
(٤) في [ب]: "كأنّه".
(٥) حرف ورد في النّسختين، ولم أفهم القصد منه.
(٦) ما بين معقوفين ساقط من [ب].
(٧) سورة البقرة، الآية (٢٣٨).
(٨) في [ب]: "وقوله" فقط.
(٩) سورة البقرة، الآية (٩٨).
(١٠) في [ب]: "لا تخصّ".
(١١) الحديث رواه أصحاب السّنن وغيرهم، من حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما . انظر: سنن التّرمذي، محمد بن عيسى التّرمذي (ت٢٧٩هـ) اعتناء: مشهور بن حسن آل سلمان، اعتناء: الشّيخ الألباني، مكتبة المعارف، الرّياض، ط١، باب ما جاء في جلود الميتة إذا دُبغت، رقم: ١٧٢٨، ص٤٠٣. وقال التّرمذي: "حسن صحيح". سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، اعتناء: مشهور بن حسن آل سلمان، اعتناء: الشّيخ الألباني، مكتبة المعارف، الرّياض، ط١، باب لبس جلود الميتة إذا دبغت، رقم: ٣٦٠٩، ص٦٠١.

فدبغتموه، فانتفعتم بـه))[1]، فإنّ الحديث الثّاني لا يُخصِّص عموم الأوّل الشّاملِ لِمأكولِ اللّحم[2] وغيره[3]. وغايتُه أنّ مأكول اللّحم دخل[4] في الحكم بالعموم والخصوص، وغيرُه دخل[5] بالعموم فقط. نعم لو أخرج ثوبيْ الصّوف والقطن بنيّته من عموم لفظ الثّوب في المثال المذكور، فقال: نويت الكتّان لا ألبسُه، وغيرُه ألبَسُه؛ لم يحنث بالصّوف والقطن على هذه الطّريقة، لأنّ نيّته [ح][6] أدخلت الكتّان في اليمين وأخرجت غيره منها، وشرط التّخصيص المنافاة، وهي موجودة في النّيّة.

[ح][7] وإنّما كان شرطه المنافاة لقول الأصوليّين: لا يُخصّص كلامٌ كلاما إلاّ إذا كان منافيا له؛ كقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴿٤﴾ ﴾[8]، مع قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴿٢٢٨﴾ ﴾[9]؛ فوجب تخصيص الآية الثّانية بغير الحوامل. فكذلك الحالف لا لَبِس ثوبا، إن كانت نيّته منافية لمقتضى العامّ، أي مُخرِجة لبعض أفراده عن حكمه، بأن أثبتت[10] بعض ما نفى أو نفت بعض ما أثبت، فهي مخصّصة؛ كما لو قال: والله لا لبست ثوبا، ونوى ثوب الكتّان، فإن نوى مع ذلك إخراج ثوب الصّوف ونحوه لم يحنث إلاّ بالكتّان. وإن لم يُخرج ثوب الصّوف ونحوه ولم يُثبته بل غفل عنه ولم يتعرّض له في نيّته بنفي ولا إثبات حنث في الجميع بخلافه. على الطّريقة الأولى فإنّه لا حنث عليه بالصّوف والقطن، ولو لم يتعرّض لهما في نيّته بنفي ولا إثبات، كما مرّ. وهذه الطّريقة أصحّ[11].

[اعتراض قول القرافي بأنّ التّخصيص بالنّيّة هي مِن العامّ المخصوص]

واعتُرضت طريقة القرافي ومن تبعه بأنّ قياس النّيّة المذكورة على ذكر الخاصّ [أ/١١] بعد العامّ، كما في الحديث المتقدّم والآيتين قبله، لا يصحّ، لظهور الفارق، وهو أنّ التّخصيص في المقيس عليه لفظيّ لم يقارِن مخصِّصه في الزّمن لتأخيره عنه لبطلان النّطق بهما دفعة واحدة، والفرض أنّه لم يتقدّم، فبقي ذلك العامّ على عمومه. بخلاف المقيس في مسألتنا فإنّ المخصِّص هو النّيّة، ومقارنتُها ممكنة، بل

---

(١) الحديث بهذا اللّفظ أخرجه الإمام مسلم من رواية ابن عبّاس رضي الله عنهما. انظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج ش (ت٢٦١هـ)، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، باب طهارة جلود الميتة بالدّباغ، رقم: ١٠٠ (٣٦٣)، ٢٧٦/١.

(٢) في [أ]: ".. عموم الأوّل المأكول اللّحم الشّامل"، وفيها خلط وتقديم وتأخير.

(٣) انظر هذا الشّرح بتصرّف في: الفتح الرّبّاني فيما ذهل عنه الزّرقاني، ١١٣/٣. شرح منح الجليل، باب اليمين، ٦٤٨/١.

(٤) في [ب]: "داخل".

(٥) في [ب]: "داخل".

(٦) حرف ورد في النّسختين، ولم أفهم القصد منه.

(٧) حرف ورد في النّسختين، ولم أفهم القصد منه.

(٨) سورة الطّلاق، الآية (٤).

(٩) سورة البقرة، الآية (٢٢٨).

(١٠) في [ب]: "أثبت" تعود على الحالف. وفي [أ]: "أثبتت" تعود على النّيّة.

(١١) انظر هذه المسألة في: شرح منح الجليل، باب اليمين، ٦٤٨/١.الفتح الرّبّاني فيما ذهل عنه الزّرقاني، باب اليمين، ١١٣/١.

لو تأخّرت ما أفادت. وإذا كانت مقارِنة أو متقدّمة لم يتأتّى معها إبقاء العامّ على عمومه حتّى يُخصّص. بل لم يَرِد إلاّ على المنوي، فهو عامّ أريد به الخصوص، وهو المحاشاة.

وإذا كان كذلك بطُل قوله هنا: إنّ النّيّة مؤكّدة في أفراد العامّ فلا تنفي الحكم عن غيره. ووجه بطلانه أنّ العامّ لم يُرِد به إلاّ ما نوى. قاله سيدي أحمد بن المبارك[1].

وكذا اعترضه البقّوري السّبتي في اختصار الفروق[2]، قائلا: "يُرَدّ على القرافي أنّ قول القائل: نوى ثوب الكتّان وغفل عن غيره هو بمنزلة ما لو صرّح بذلك؛ فقال: والله لا لبستُ ثوب الكتّان وهو غافل عن غير الكتّان، فإنّه لا يحنث بثوب[3] الكتّان إجماعا. فكذلك ما نحن فيه[4]. هـ.

(١) انظر هذه المسألة بتمامها وقول سيدي أحمد بن المبارك، ونقله لقول القرافي واعتراضه عليه في: الفتح الرّبّاني فيما ذهل عنه الزّرقاني، باب اليمين، ١١٣/٣.

وأحمد بن المبارك هو: سيدي أحمد بن مبارك بن محمد، السّجلماسي، اللّمطي، البكري، الصّدّيقي، المالكي. عالم في البيان والفقه والأصول والحديث والقراءات والتّفسير. ولد في حدود سجلماسة سنة: ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م، وتوفّي بفاس سنة: ١١٥٥هـ/١٧٤٢م. من آثاره: أجوبة السّجلماسي، الذّهب الإبريز من كلام سيد عبد العزيز، شرح المحلّي على جمع الجوامع. انظر: اليواقيت الثّمينة، ٤٧/١، ٥١. شجرة النّور، رقم: ١٤٠٥، ٣٥٢/١.معجم المؤلّفين، رقم: ١٧٠٩، ٢٣٥/١.

(٢) البقّوري هو: محمد بن إبراهيم بن محمد، أبو عبد الله، البقوري، الأندلسي، المالكي. نسبة لبقّورة بلاد بالأندلس. فقيه، أصوليّ، محدّث. سمع من القاضي الشريف أبي عبد الله محمد الأندلسي، وأخذ عن الإمام القرافي وغيره. توفّي بمراكش سنة: ٧٠٧هـ/١٣٠٧م. من آثاره: إكمال الإكمال للقاض عياض على شرح صحيح مسلم، واختصار الفروق للقرافي في الأصول. انظر: الدّيباج المذهّب، رقم: ٥٦٤، ص٤١٠. شجرة النّور الزّكيّة، رقم: ٧٤٠، ٢١٢/١. معجم المؤلّفين، رقم: ١١٥٢٨، ٣٩/٣.

واختصار الفروق: هو تأليف للشّيخ البقّوري، حيث قام باختصار كتاب شيخه القرافي المسمّى بالفروق في القواعد الفقهيّة، ورتّبه أحسن ترتيب. فقال البقّوري عن سبب وضعه هذا الاختصار: "وعلمت ما شهدتُ به من فضل مؤلّفها وجلالة قدره، ظهر لي أنّه رحمه الله تعالى ما منعه أن يرتّبه ترتيبا يسهل على النّاظر فيه مطالعته.. فرأيت أن ألخّصه وأن أرتّبه، وأن أنبّه على ما يظهر خلال ذلك في كتابه، وأن ألحق به ما يناسبه ممّا لم يذكره رحمه الله، فيكون هذا كالعون على فهم الفروق المذكورة وتحصيلها". ترتيب الفروق واختصارها، البقّوري محمد بن إبراهيم (ت٧٠٧هـ)، تحقيق: أ. عمر بن عبّاد، المملكة المغربيّة، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص١٩.

(٣) في [ب]: "بغير".

(٤) انظر هذه المسألة في الفروق للقرافي، الفرق ٢٩ "في الفرق بين قاعدة النّيّة المخصّصة وبين قاعدة النّيّة المؤكّدة"، ٣٢٤/١. ترتيب الفروق واختصارها، البقّوري محمد بن إبراهيم، تحقيق: أ. عمر بن عبّاد، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، المملكة المغربيّة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٢٤٨.

[تعقيب على قول خليل: "وحنث إن لم تكن له نيّة"]

وقول المصنّف: "وحنث إن لم تكن له"[1] الخ، في هذه المسألة تفصيل كما في ز[2] وغيره. ولو قال المصنّف: "وحنث إن لم تكن له نيّة ولا بِساطٌ بفوْتِ ما حلَف عليْه، ولو لِمانع شرعيّ مؤقّت وإن تقدّم، أو لِعاديّ متأخّر مطلقا، كعقليّ إن أُطلِق. وفرّط لا أن بادر أو وقّت"، لوفّى بالمراد.

وقد نظم ذلك **عج**[3] رحمه الله، فقال:

إذا فات محلوفٌ عليه لمانعٍ ... فإن كان شرعيّا بحنْث وأطْلَقَا
كعقليٍّ أو عاديٍّ أن يتأخّرا ... وفرّط متى فات دام لك البقَا
فإن أُقّتَت أو كان منه تبادُرٌ ... فحِنْثُه بالعاديّ لا غيرَ مُطلَقَا
وإن كان كلٌّ منهُما قد تقدَّمَا ... فلا حِنْث في حالٍ فخُذْه محقَّقَا[4]

ثمّ هذا التّفصيل بين التّقدّم والتّأخّر إنّما هو في اليمين بالله، لا في الطّلاق والعتق. [والفرق أنّ اليمين بالله في المتقدّم لغو أو غموس، بخلاف الطّلاق والعتق][5] فلا يدخلهما ذلك.

وأمّا في العقلي المتأخّر إذا بادر أو وقّت، كقوله: عليه الطّلاق ليذبحنّ هذا الحمام اللّيلة، أو في[6] [أ/١٢] هذا الشّهر فمات قبلَ الأجل، فإنّه لا يحنِث لا في الطّلاق ولا في غيره؛ لأنّه مغلوب مُكرَه. انظره عند قول المصنّف: **"إن لم يُكرَه بِبِرّ"**[7] الخ. والله أعلم.

وإنّما أطنبتُ في الأمثلة ووسّعت الكلام في هذه المسألة تقريبا على المبتدئين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. هـ

[جزى الله مقيّده عن المسلمين، وأسكنه مع المقرّبين من النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء ولصّالحين بجاه قطب دائرة المرسلين][8].هـ

---

(١) انظر: مختصر خليل، ص١٠٤. والنّصّ كما هناك: "وحنِث إن لم تكن له نيّة، ولا بِساطٌ بفوْت ما حلَف عليه، ولو لمانع شرعيّ أو سرِقة، لا بِكموْتِ حمامٍ في ليذْبحنّه".

(٢) ز = الزُّرقاني عبد الباقي بن يوسف، وهو: عبد الباقي بن يوسف بن أحمد، أبو محمد، الزّرقاني. الإمام، العلاّمة، النّظّار، العمدة المحقّق. أخذ عن العلاّمة النّور الأجهوري والبرهان اللّقّاني والنّور الشّبراملسي، وعنه أخذ ابنه محمد وأبو عبد الله محمد الصّفّار القيرواني. ولد بمصر سنة: ١٠٢٠هـ/١٦١١م، وتوفّي سنة: ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م. من آثاره: شرح على مختصر خليل، وشرح على خطبة خليل للنّاصر اللّقّاني وشرح العزّيّة وغيرها. انظر: خلاصة الأثر، ٢٨٧/٢. شجرة النّور، رقم: ١١٧٧، ٣٠٤/١، ٣٠٥. معجم المؤلّفين، رقم: ٦٢٢٦، ٤٥/٢.
انظر المسألة في: شرح الزّرقاني على مختصر خليل، باب اليمين، ١٢١/٣، ١٢٢.

(٣) في [ب]: "وقد نظم ذلك الشّيخ عليّ الأجهوري".

(٤) هذه الأبيات للشّيخ عليّ الأجهوري. انظرها في: شرح الزّرقاني على مختصر خليل، باب اليمين، ١٢٢/٣. ضوء الشّموع شرح المجموع، الأمير المالكي، باب الأيْمان، ١٦١/٢.

(٥) ما بين معقوفين ساقط من [ب].

(٦) في [ب]: "وفي".

(٧) انظر: مختصر خليل، ص١٠٤. والنّصّ هناك: "وأجْزأتْ قبل حِنْثِه، ووجَبَت به إن لم يُكرَه بِبِـرٍّ". وانظر المسألة في: مواهب الجليل، باب الأيْمان، ٤٢١/٤ فما بعدها.

(٨) ما بين معقوفين غير ثابت في [ب].

المصادر والمراجع

- **إتحاف أعلام النّاس بجمال أخبار حاضرة مِكناس**، ابن زيدان عبد الرّحمن بن محمد المكناسي (ت١٣٦٥هـ)، تحقيق: د. علي عمر، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠٠٨م.
- **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثّالث عشر والرّابع**، عبد السّلام بن عبد القادر ابن سودة، تنسيق وتحقيق: محمد حجّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- **الإحكام في أصول الأحكام**، الآمدي عليّ بن محمد، اعتناء: الشّيخ عبد الرّزّاق عفيفي، دار الصّميعي، الرّياض، المملكة العربيّة السعوديّة، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، أحمد بن خالد النّاصري، تحقيق: جعفر النّاصري ومحمد النّاصري، دار الكتاب، الدّار البيضاء، المغرب، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- **أشهر الأحداث العالميّة (١-١٨٩٩م)**، د. فؤاد صالح السّيّد، مكتبة حسن العصريّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- **الأعلام** "قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، الزّركلي خير الدّين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- **أنوار البروق في أنواء الفروق "الفروق"**، القرافي أحمد بن إدريس (ت٦٨٤هـ)، تحقيق: خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- **التّاج والإكليل، المواق**، اعتناء: الشّيخ زكريّا عميرات، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- **ترتيب الفروق واختصارها**، البقّوري محمد بن إبراهيم (ت٧٠٧هـ)، تحقيق: أ. عمر بن عبّاد، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، المملكة المغربيّة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- **التّوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب**، خليل بن إسحاق (ت٧٧٦هـ)، تحقيق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التّراث، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- **جامع الشّروح والحواشي** "معجم شامل لأسماء الكتب المشروحة في التّراث الإسلامي وبيان شروحها"، عبد الله محمد الحبشي، المجمّع الثّقافي، أبو ظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- **جمع الجوامع في أصول الفقه**، السّبكي عبد الوهاب بن عليّ، اعتناء: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد عليّ بيضون، دار الكتب العلميّة، بيورت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣هـ١٤٢٤م.
- **حاشية العطّار على شرح الجلال المحلّي على جمع الجوامع لابن السّبكي**، العطّار، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.ت.
- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، المحبّي محمد أمين بن فضل الله (ت١١١١هـ)، المطبعة الوهبيّة، مصر، ١٢٨٤هـ.
- **الدّيباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ابن فرحون إبراهيم بن نور الدّين (ت٧٩٩هـ)، تحقيق: مأمون بن محيي الدّين الجنّان، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- **زهر الآس في بيوتات أهل فاس**، الشّريف الكتّاني عبد الكريم بن هاشم (ت١٣٥٠هـ)، تحقيق: د. علي بن المنتصر الكتّاني، منشورات النّجاح، الدّار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م.
- **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أُقبر من العلماء والصّلحاء بفاس**، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتّاني (ت١٣٤٥هـ)، تحقيق: عبيد الله الكامل الكتّاني وغيره، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

تقييد على قول أبي الضياء خليل "وخصصت نيّة الحالف" التسولي محمّد بن عليّ (ت: ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٩م)

- **سنن ابن ماجة**، محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، اعتناء: مشهور بن حسن آل سلمان، اعتناء: الشّيخ الألباني، مكتبة المعارف، الرّياض، ط١، د.ت.
- **سنن التّرمذي**، محمد بن عيسى التّرمذي (ت٢٧٩هـ) اعتناء: مشهور بن حسن آل سلمان، اعتناء: الشّيخ الألباني، مكتبة المعارف، الرّياض، ط١، د.ت.

شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة، محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السّلفيّة ومكتبتها، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

- **الشّرب المحتضر والسّرّ المنتظر من معين أهل القرن الثّالث عشر**، الشّريف جعفر بن إدريس الكتّاني (ت١٣٢٣هـ)، تحقيق: الشّريف محمد حمزة بن عليّ الكتّاني، د.ت.
- **شرح الزّرقاني على مختصر سيدي خليل**، الزّرقاني عبد الباقي بن يوسف (ت١٠٩٩هـ)، اعتناء: عبد السّلام محمد أمين، منشورات محمد عليّ بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجّاج النّيسابوري (ت٢٦١هـ)، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- **ضوء الشّموع "شرح المجموع"**، محمد الأمير المالكي، تحقيق: محمد محمود المسومي، دار يوسف بن تاشفين، مكتبة الإمام مالك، نواكشوط، موريتانيا، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- **عمدة الرّاوين في تاريخ تِطّاوين**، الرّهوني أبو العبّاس أحمد، الرّهوني، تحقيق: د. جعفر بن الحاج السُّلمي، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- **الفكر السّامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، الحجوي محمد بن الحسن الثّعالبي (ت١٣٧٦هـ)، اعتناء: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- **فهرس الخزانة العلميّة الصّبيحيّة بسلا**، د. محمد حجّي، المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
- **الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"**، مؤسّسة آل البيت للفكر الإسلامي، عمان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- **الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"**، مؤسّسة آل البيت للفكر الإسلامي، عمان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠١م، ج٥.
- **الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"**، مؤسّسة آل البيت للفكر الإسلامي، عمان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- **الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط "الفقه وأصوله"**، مؤسّسة آل البيت للفكر الإسلامي، عمان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، عبد الحيّ بن عبد الكبير الكتّاني، اعتناء: د. إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- **فهرست الكتب العربيّة المحفوظة بالكتبخانة الخديويّة المصريّة**، ط١، المطبعة العثمانيّة، مصر، ١٣٠٦هـ.
- **فهرس الكتب الموجودة بدار الكتب المصريّة لغاية سنة: ١٩٢١**، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.
- **فهرس المخطوطات بدار الكتب الوطنيّة**، سوق العطّارين، تونس، د.ت،
- **فهرس المخطوطات بدار الكتب الوطنيّة**، سوق العطّارين، تونس، نوفمبر، ١٩٧٧م.

- **فهرس المخطوطات بدار الكتب الوطنيّة**، سوق العطّارين، تونس، نوفمبر، ١٩٨١م.
- **فهرس المخطوطات بمركز دراسة جهاد اللّيبيّين ضدّ الغزو الإيطالي**، إعداد: إبراهيم سالم الشّريف، دار الكتب، طرابلس، ليبيا، ط١، ١٩٨٩م.
- **فهرس المخطوطات العربيّة المحفوظة في الخزانة العامّة بالرّبط**، القسم الثّاني (١٩٢١-١٩٥٣)، اعتناء: ي.س. علّوش وعبد الله الرّجراجي، منشورات الخزانة العامّة للكتب والوثائق، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- **فهرس المخطوطات العربيّة المحفوظة في الخزانة العامّة للكتب والوثائق بالمغرب**، قسم ٣ (١٩٥٤-١٩٥٧)، مطبوعات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة والثّقافة، مطبعة التّومي، الرّباط، المغرب، ١٩٧٣م، ٢٠٤/١، ٢٠٥، قسم٣، ج١.
- **فهرس المكتبة الأزهريّة**، مطبعة الأزهر، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.
- **الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة المسجد الأعظم بوزّان**، د. بدر العمراني الطّنجي ومحمد سعيد الغازي، إشراف: د. عبد اللّطيف الجيلاني، منشورات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، المملكة المغربيّة، دار أبي رقراق، الرّباط، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- **كشّاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنيّة**، إنجاز: عمر عمّور، تقديم: أحمد شوقي بنين، منشورات الخزانة الحسنيّة، المغرب، دون تاريخ.
- **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج**، أحمد بابا التّنبكتي، تحقيق: أ. محمد مطيع، مطبوعات المملكة المغربيّة، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- **المطبوعات الحجريّة في المغرب** "فهرس مع مقدّمة تاريخيّة"، فوزي عبد الرّزّاق، دار نشر المعرفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرّباط.
- **المعجم الكبير**، الطّبراني سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السّلفي، مكتبة ابن تيميّة، القاهرة، د.ت.
- **معجم المؤلّفين** "تراجم مصنّفي الكتب العربيّة"، عمر رضا كحالة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- **معجم المطبوعات المغربيّة**، إدريس بن الماحي الإدريسي القيطوني الحسني، تقيدم الأستاذ: عبد الله كنّون، مطابع سلا، المغرب، ١٩٨٨.
- **معلمة الفقه المالكي**، عبد العزيز بنعبد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- **معلمة المغرب**، جماعة من الباحثين، دار الأمان، الرّباط، المغرب، ط٢، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ٢٣٧١/٧.
- **مواهب الجليل، محمّد الحطّاب الرّعيني**، اعتناء: الشّيخ زكريّا عميرات، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- **موسوعة أعلام المغرب**، تنسيق وتحقيق: محمد حجّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٨م.
- **هديّة العارفين "أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين"**، إسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف الجليّة، إستانبول، ١٩٥١.
- **اليواقيت الثّمينة في أعيان مذهب عالم المدينة**، محمد البشير ظافر الأزهري، مطبعة الملاجئ العبّاسيّة التّابعة لجمعيّة العروة الوثقى، ١٣٢٤هـ.

The study showed the rapid impact and spread of these diseases and epidemics as the Ottoman Empire was keen to maintain several measures and procedures to reduce them and because it overlooked global trade routes such as land routes from the side of the Indian subcontinent, the Mediterranean Sea and the Red Sea. Moreover, these seas were very important for the state, global trade and the movement of passengers and travellers. It was necessary to control these roads, whether land or sea, impose preventive measures and precautionary measures, and detect these diseases and epidemics.

"The Thalatheen" taken from Imam Ahmad in "Sahih Muslim"

Abdullah bin Muhammad Saeed Al-Hussaini / Bahrain

For one of the greatest signs of Allah Almighty's support is to help a scholar attend in the hands of the great imams. Allah Almighty granted Imam Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushayri Al-Naysaburi (206 AH - 261 AH) to be a student in the presence of his sheikh, Imam Ahmad bin Muhammad bin Hanbal Al-Shaybani (164 AH - 241 AH), to learn the narration from him directly in his book "The Sahih" .

A commentary on the saying of Abu Al-Dia' Khalil "if swearing saying is in particular not in general"At- Tasawwuli Muhammad bin Ali (d. 1258 AH / 1849 AD)

Abdel Qader Baji / Algeria

There are many obscure and rare Maliki books that have not yet achieved and exposed to light, as well as the explanations, commentaries and footnotes that were placed on Sheikh Khalil's summary. Rather, the commentators competed in explaining parts, paragraphs, and sentences of that glorious summary, which Allah Almighty has placed acceptance on earth.

And this composition that I chose is one of the building blocks that are added to the Maliki jurisprudence, which is marked with: A commentary on the saying of Abu Al-Dia' Khalil "if swearing saying is in particular not in general) of Sheikh At-Tasawwuli.

The Biography of the Poet as a Standard in Literary Criticism for the Arabs

Prof. Walid Ibrahim Al-Qassab/ Saudi Arabia

Is the poet's biography considered a criterion of literary criticism? Is there a relationship between the poet's behaviour and the critical judgment on him by presenting or delaying? Does our knowledge of the poet's religion, morals and creed improve our acceptance of what he says and in judging him? Is the lesson in what is said and not in what was said, and that the origin is the text and not the poet, and that wisdom is accepted whoever it was from which it was issued; Based on the well-known Islamic rule "wisdom can be taken wherever found"

Literary genres in the Arab Critical Heritage: The book " Alburhan fi Wujuh Al Bayan" by Ibn Wahb Al-Katib as a model

Karim Al-Tibi / Morocco

In this study, we seek to stand at the theory of "literary genres" in the ancient Arab critical and rhetorical heritage by examining the book "Alburhan fi Wujuh Al Bayan" by Ibn Wahb al-Katib. We see in this book a conscious presence of gender classification. In this study, we will try to answer the following questions: What is the theory of literary genres? Was the ancient Arab criticism aware of this theory? What is the extent of the presence of literary genres in Arab criticism?

Silk industry in the Maghreb and Andalusia, an Arab pure exellence, during the Middle Ages

Dr. Essam Mansour Saleh Abdel Mawla / Libya

Attempting to know the method, technique, experience and skill that the Arabs adopted in bringing and settling the mulberry tree, which is the basis for the silk production process. Unfortunately, our historical sources did not disclose all of this, as it certainly needs a special care and knowledge of how in the science of agriculture, in terms of choosing the right place, this process is. It is suitable for its cultivation, i.e. similar to its first environment in the countries of the Orient, and this is to grow on something which indicates that the silk industry in the Maghreb is an Arab industry with distinction, in addition to the experience in raising the worm, the silkworm that feeds on mulberry leaves, and producing silk as the bee produces Honey .

Infectious Diseases in the Ottoman Empire" A Study of the Nineteenth Century

Dr. Ahmed Saleh Ali Muhammad / America

This study deals with research of the history of infectious diseases in the Ottoman Empire during the nineteenth century AD. Since those epidemics swept the Ottoman lands, they have killed many people due to the lack of experience in dealing with these rapidly spreading deadly diseases.

Abstracts of Articles

Effects of crises; methods of managing them in Morocco and Andalusia during the Almowahidin era: "A study of the relationship of the state and the society"

Hisham Al-Mutawakil / Morocco

During the Almowahideen rule, the Islamic West witnessed a series of crises, which made the region know a series of twists and turns. The crises of drought, famine and high prices were among the most severe calamities that affected the path of the state and the way of life during the Almowahidin era (). Hence this attention came to unveil some of the difficult stages of the history of governance and the Almowahidin society, especially since studies have spread to talk about the stages of prosperity and civilization upgrading in that era(), and neglected, on the other hand, the stages of weakness and crises, and the latter remained one of the episodes of forgotten history, which must Connect it if we want to build an integrated historical system around the history of the region and its transformations

The problem of repetition in geographical dictionaries caused by correction, distortion and translation: The dictionary of countries as a model

Abdullah Yahya Al-Suraihi / UAE

Our ancient heritage in general, and geographical heritage in particular, has been plagued by the beginnings of falsification and distortion, and hardly any book is free from that such as converting ya to baa or ghain to ayn. As for distortion, it takes place in the form of convergent letters; such as the transformation of the waw into a raa, or thaal into a zai, or a daal into a raa, or a daal into a lam,

or a nun into a zai, and distortion may be by an increase or decrease in speech, and it may be by changing some of its words or carrying it against what they are intended for.

The Parrot of India, the poet Amir Khusraw, and his position in Arabic literature

Dr. Mohamed Ali Al-Wafi kirwatel / India

What amazes us and stirs our admiration is that these poets were not confined to the Urdu or Hindustani language only, but most of them had a great knowledge of the Arabic language as well. These pioneers are distinguished by their unique quality in the field in which they are famous. They have left us recall their memory over the ages and ages. Among these prominent figures in the world of Persian, Urdu, Hindustani, and Arabic poetry was Sheikh Abul-Hasan Yameen al-Din Khusraw, better known as Amir Khusraw, who had the wonderful title Parrot of India. And because of his remarkable impact on the development of Urdu literature, he is called by another title, "Father of Urdu Literature."

INDEX

Editorial

Reasons for failure to write the prophetic biographyEditing

Editing Director 4

Researches Titles:

Effects of crises; methods of managing them in Morocco and Andalusia during the Almowahidin era: "A study of the relationship of the state and the society"

Hisham Al-Mutawakil 6

The problem of repetition in geographical dictionaries caused by correction, distortion and translation: The dictionary of countries as a model

Abdullah Yahya Al-Suraihi 26

The Parrot of India, the poet Amir Khusraw, and his position in Arabic literature

Dr. Mohamed Ali Al-Wafi kirwatel 44

The Biography of the Poet as a Standard in Literary Criticism for the Arabs

Prof. Walid Ibrahim Al-Qassab 58

Literary genres in the Arab Critical Heritage: The book " Alburhan fi Wujuh Al Bayan" by Ibn Wahb Al-Katib as a model

Karim Al-Tibi 73

Silk industry in the Maghreb and Andalusia, an Arab pure excellence, during the Middle Ages

Dr. Essam Mansour Saleh Abdel Mawla 87

Infectious Diseases in the Ottoman Empire" A Study of the Nineteenth Century

Dr. Ahmed Saleh Ali Muhammad 104

Manuscripts' Verification

''The Thalatheen" taken from Imam Ahmad in "Sahih Muslim"

Abdullah bin Muhammad Saeed Al-Hussaini 141

A commentary on the saying of Abu Al-Dia' Khalil "if swearing saying is in particular not in general"At- Tasawwuli Muhammad bin Ali (d. 1258 AH / 1849 AD)

Dr. Abdel Qader Baji 161

Abstracts 198

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Published by:
The Department of Studies,
Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org
Website: www.almajidcenter.org

Volume 29 : No. 114 - Dhul-Qadah - 1442 A.H. - June 2021

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in the "Ulrich's International Periodicals Directory" under record No. 349378

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR
Dr. Azzeddine Benzeghiba

EDITING SECRETARY
Dr. Muna Mugahed Al Matari

EDITORIAL BOARD
Dr. Ababakr El Saddik
Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi
Dr. Fekry Abdelmonem Elnagar
Dr. Mohamed Vadel El hattab

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of their authors and do not necessarily reflect those of the center or the magazine, or their officers.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون الكتاب جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍّ كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوص شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون الكتاب سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ كتاب مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون الكتاب مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة، مبيّنًا اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون الكتاب تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطيّة المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.

١١ – تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمةً للأمّة ورفعًا لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديل أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

١ – ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبّر عن فكر أصحابها، ولا يمثّل رأي الناشر أو اتجاهه.

٢ – لا تُردّ الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواءً نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلاّ لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.

٤ – يُستبعد أيّ كتاب مخالف للشروط المذكورة.

٥ – يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Juma Al Majid Center for Culture and Heritage - Dubai

Volume 29 : No. 114 - Dhul-Qadah - 1442 A.H. - June 2021

العنوان: مشكاة المصابيح
المؤلف: التبريزي: محمد بن عبد الله الخطيب العمري ولي الدين، أبو عبد الله ٧٤١هـ
تاريخ النسخ: آخر رمضان ٧٣٧هـ

Title: Meshkat Almasabih
Author: Al-Tabrizi: Muhammad bin Abdullah Al-Khatib Al-Omari Wali Al-Din, Abu Abdullah 741 AH
Date of copy: the end of Ramadan 737 AH

Published by:
Department of Studies, Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage